من شواهد السنن والآثار
على مودة الصحابة الأخيار

إخراج فني

محيي الدين حسين يوسف

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

ISBN 978-9948-8592-2-2

هذا الكتاب مُحَكَّم علمياً

دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي
إدارة البحوث

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١+ فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١+
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
mail@iacad.gov.ae www.iacad.gov.ae





من شواهد السنن والآثار

على مودة الصحابة الأخيار

بقلم

محمد سعد خلف الله الشحيمي

الباحث بإدارة البحوث


بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة للمحكم العلمي لهذا الكتاب

يقول المحكم :

« على كثرة ما قرأتُ مما أرسل إليّ للتحكيم من كتب وبحوث علمية، أستطيع أن أقول: إنه لم يؤثر فيّ شيء منها تأثير هذا البحث !! .. حقاً إنها لعبارات مشرقة تمس شغاف القلب، وتحرك الساكن من مكنون الحب، وتثير لوعة الشوق، وتنهض بالهمم، وتدفع إلى مواصلة السير، وتبعث على حسن الاقتداء والاتباع، فلا غرو إن قلت: إنه لسفر قيم مبارك، وجهد ظاهر مشكور، غزير العلم، قوي الدلالة، كثير النفع، عظيم الفائدة، له تأثير واسع بإذن الله تعالى، وإني لأؤكد النصح بقراءته، وإمعان النظر فيه .

جزى الله تعالى مؤلفه خيراً، ورزقنا جميعاً محبة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ومنّ علينا بحسن التأسي بهم، وجمعنا معهم في مستقر رحمته على الرضا والمحبة، آمين ».

أ. د. عيادة أيوب الكبيسي

* * *

افتتاحية

الحمد لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فيسر « **دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي - إدارة البحوث** » أن تقدِّم إصدارَها الجديد: « **من شواهد السنن والآثار على مودة الصحابة الأخيار** » لجمهور القراء من السادة الباحثين والمثقفين والمتطلعين إلى المعرفة.

ويأتي هذا البحث في إطار ربط الأمة بالجيل الرباني الأول، وهو جيل أصحاب رسول الله ﷺ، الذين هم خير القرون، لنقف على جانب عظيم من جوانب حياتهم، وهو جانب المودة والتراحم بينهم، طلباً لمعرفة حقيقة ما كانوا عليه جميعاً من الأخوة في الله عَزَّ وجَلَّ، مما يثمر معرفة قدرهم، وزيادة محبتهم، والاقتداء بهم، ورعاية حق صحبتهم .

فنقف إن شاء الله تعالى على بعض السمات العامة لمجتمع الصحابة رضي الله عنهم التي تدل على تحابِّه وتقاربه وتواصله، وكيفية تعظيمهم لحق صحبة رسول الله ﷺ، وأدبهم رضي الله عنهم عند الاختلاف في الاجتهاد.

ونقف أيضاً على شواهد المودة بين آل بيت رسول الله ﷺ والخلفاء الثلاثة الراشدين رضي الله عنهم أجمعين، وكيف كانت علاقتهم صورة من أسمى العلاقات، من المحبة والتعاون والثناء وإظهار الفضل بينهم .

ثــم نقف على بعــض آداب بيت النبوة، فنتعرف على بعض شــواهد المودة بين أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن، ثم نعرج على نموذج خاص نتعرف من خلاله على حقائق من المودة والثناء بين أم المؤمنين السيدة عائشة وآل بيت رســول الله ﷺ، متمثلة في العلاقة بينها وبين الســيدة فاطمة الزهراء، وســيدنا عــلي بن أبي طالب، وســيدنا عبد الله بن عباس، وغيرهــم من القرابة رضي الله عنهم جميعاً .

وهذا الإنجاز العلمي يجعلنا نقــدم عظيم الشكر والدعاء لأسرة آل مكتوم حفظها الله تعالى التي تحب العلم وأهله، وتؤازر قضايا الإسلام والعروبة بكل تميز وإقدام، وفي مقدمتها **صاحب الســمو الشــيخ محمد بن راشد بن سعيد آل مكتوم**، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي الذي يشــيد مجتمع المعرفة، ويرعى البحث العلمي ويشجع أصحابه وطُلابه.

راجين من العلي القدير أن ينفع بهذا العمل، وأن يرزقنا التوفيق والسداد، وأن يوفق إلى مزيد من العطــاء على درب التميز المنشــود.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصَلَّى الله على النَّبيِّ الأميِّ الخاتم سيدنا محمَّــد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدكتور سيف بن راشد الجابري

مدير إدارة البحوث

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد: فإنَّ الله عَزَّ وجَلَّ قد وصف أصحاب رسوله ﷺ في كتابه الكريم بأنهم رحماء بينهم، قد تولى بعضهم بعضاً ، وخفض بعضهم الجناح لبعض، ليناً وإيثاراً ورحمة، فقال عَزَّ وجَلَّ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (١) وقال: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ (٢) فكانت مودتهم وأخوتهم مضرب المثل، ودلالة على رسوخ الإيمان في قلوبهم.

وإن معرفة شواهد ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ من المودة والرحمة هو من معالم التصديق لكتاب الله عَزَّ وجَلَّ وسنة رسوله ﷺ ، وإن تدبر سيرهم ومواقفهم وما وصفهم به الله تعالى ورسوله لهو من جنس الآيات والقصص التي أمرنا أن نتدبرها ونعتبر بها ، وكفى بذلك المقصد الشريف داعياً إلى بذل الوقت وحث الهمة إلى التعرف عليهم والارتباط بهم (٣).

وغرضي الأكبر من هذا البحث هو الوقوف على هذا الشموخ والسمو

---

(١) سورة الفتح ، من الآية ٢٩ .

(٢) سورة التوبة، من الآية ٧١ .

(٣) وقد جاءتني فكرة هذا البحث، وأخذت بمجامع نفسي أثناء حضوري دروس تفسير سورة الفتح على فضيلة العلامة الشيخ مصطفى أحمد عبد الرحمن البحياوي الحسني المغربي – أطال الله في عمره وجزاه عنَّا خيراً – بالشارقة في عام ٢٠٠٧ م . والحمد لله على ما أنعم، وما بشر به عبده وأكرم .

الـذي كان عليه أصحاب رسـول الله ﷺ ، ومعرفة أنهـم بحق جيلٌ تميَّزَ في كل أبـواب التميز، مع أخوة تامة وإخلاص منقطع النظير؛ لنعرف بعض فضلهم، ولنجتمع جميعاً على محبتهم وتقديرهم، وحفظ حق صحبتهم لرسول الله ﷺ، وجهادهم في سبيل الله .

وكـذا للتـأسي بهم - مجتمعاً وأفـراداً - فيما كانوا عليـه من تلك الأخلاق الكريمـة، ولنعلـم هـذا المثـل الذي كلـما اقتربنـا منـه كان مرقـاةً إلى الصلاح والفلاح، وإلى رضوان الله عَزَّ وجَلَّ ، واسـتجلاباً لنصرته تعالى وعونه، وكلما ابتعدنا عن هديهم، كان ذلك مؤشراً على تنكب الصراط .

ونقـف هنـا - إن شـاء الله تعـالى - عـلى بعـض جوانـب مـن أخوتهم في الله ، ونتعرف من قرب على بعض سمات مجتمعهم ، وما كان يشيع فيه من مظاهر مودتهم ومحبتهم ومروءتهم، ونقف على أطراف من ثناء بعضهم على بعـض، ودفاع بعضهم عـن بعض، ونصرة بعضهم لبعـض، وإيثار بعضهم لبعض، وجوانب من محبتهم لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وجوانب من آداب زوجات رسول الله ﷺ فيما بينهن، وكيف أَلَّفَ الله تعالى بين قلوبهن، وشواهد من المودة والمحبة بينهن وبين قرابته صلى الله عليه وآله وسلم، يقف بها المؤمن على حقائق يزداد بها محبة فيهم وتعظيماً لهم ، واعتزازاً وافتخاراً بهم .

ولعل هذه الشواهد وهذه الوثائق تُسْعِفُ المسلم في إيضاح الصورة المشرقة لأصحاب النبي ﷺ ، وكذا في الدفاع عنهم، وتزيد المؤمن يقيناً بإحسان الظن

بهم، وحسـن التفهم لمواطن خلافهم، وكذا ترفع من حِسِّ المسلم في التَّشَكُّكِ فيمـا نقـل عنهم مما لا يليق بهم رضي الله عنهم. وأن يتنبـه القارئُ فيُعْرِض عن تلـك الأخبار التي اختلط فيها الصحيح بالسـقيم، والثابـت بالموضوع، ويَرُدَّ تلـك التحليلات والمواقف الفاسـدة التي بنيت عليهـا، والتي وقع فيها بعض الكتاب قديماً وحديثاً ، إذ ما بني على باطل فهو باطل، وما اختلطت علينا فيه الأمور رددناه إلى المحكم من الأصول .

ومـا جعلت هذا الكتـاب للإجابة عن الشـبهات التي تلصـق بهم زوراً، فقـد أجاب عن ذلك الكثير مـن العلماء قديماً وحديثـاً، ولكن ربما أشرت إلى بعضها، فلعل القارئ – إن شـاء الله تعالى – يجد الإجابـة عن بعض ما قد يثار من تسـاؤلات، وما يصحح به المفاهيم والأفـكار التي قد تعترضه أو تعترض الآخرين .

وقد تتبعت في جمع هذه الشـواهد المباركة كثيراً من أبواب كتب الصحاح والسـنن، وبعض مسـانيد الصحابة في كتب المسـانيد، والكثير من كتب السير وفضائـل الصحابة، والمصنفات في الحديث، وكثيراً من كتب التراجم القديمة والحديثـة، والـشروح المعتمـدة للصحـاح والسـنن، والتقطـت الفوائـد مـن تعليقـات العلماء والباحثين المحققين ومن كتب العقائد، والدراسـات الحديثة لتاريخ الصحابة.

وقـد تحريـتُ في اختيار النماذج والشـواهد أن تكون مـن أصح ما وقفت عليه، فكان أغلبها بين الصحيح والحسن، وما سوى ذلك فهي أحاديث وآثار

صالحة للاستشهاد بها في أبواب الفضائل والسير، وما كان في هذه الأحاديث والآثار من ضعيف فأبينه غالباً من خلال كلام أهل الشأن.

وقد أوردت فيه ما أطمئن إليه، وذلك لأني قد قصدت أن يتضمن الكتاب حججاً لمن أراد أن يحتج، وأن يكون بإذن الله تبصرة لمن أراد أن يتبصر، ولذلك تحريت فيه قدر الطاقة، وإن كان يكفي المسلم في هذا الباب ما أورده القرآن الكريم من مدحهم ، وأصول العلاقة بينهم، والتي يتجاوز صدقها الزمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ويكفيه أصول ما مدحهم به المعصوم ﷺ.

وقد استخرت الله تعالى، وشاورتُ كثيراً من أهل العلم والفضل في مواضع، وقد أخذتُ بنصائحهم شكر الله لهم، حتى خرج بهذه الصورة التي أسأل الله أن تكون نافعة لكاتبها ولجميع المسلمين .

وكان من فضل الله تعالى أن قرأتُ ما شاء الله تعالى من هذا الكتاب أثناء العمل فيه، بحرم الله بمكة، وبمسجد رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة، وبروضته ﷺ، في رمضان عام ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م ، وفي الحج من العام نفسه.

فالحمد لله تعالى على ما أنعم.

خطة الكتاب:

قسمتُ الكتاب إلى: مقدمة، وتمهيد ، وأربعة فصول، وخاتمة .

المقدمة: في أهمية هذا البحث والغرض منه .

التمهيد: في مكانة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

الفصل الأول: السمات العامة لمجتمع الصحابة رضي الله عنهم في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته .

وقد قسمته إلى المباحث والسمات الآتية:

المبحث الأول: قيام الصحابة بمسؤولياتهم تجاه المجتمع .

المبحث الثاني: ترك العادات ونوازع الأهواء استجابة لله ولرسوله ﷺ .

المبحث الثالث: معالم التكافل بين الصحابة .

المبحث الرابع: مجالس الصحابة ولقاءاتهم وتزاورهم .

الفصل الثاني: أدب الصحبة وأثرها في حياة الصحابة رضي الله عنهم.

وقد قسمته إلى المباحث الآتية:

المبحث الأول: تعظيم الصحابة لحق الصحبة .

المبحث الثاني: أدب الصحابة مع الاختلاف في الاجتهاد .

المبحث الثالث: من أدب الصحابة في دفاع بعضهم عن بعض(١) .

الفصل الثالث: المودة والثناء بين الخلفاء الراشدين وآل بيت رسول الله ﷺ .

وقد قسمته إلى المباحث الثلاثة الآتية:

المبحث الأول: مكانة الشيخين عند سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

المبحث الثاني: مودة الشيخين لآل بيت رسول الله ﷺ .

---

(١) آثرت أن أفرده بمبحث لمزيد التفصيل فيه ، وإن كان متفرعاً عن المبحث الأول .

المبحث الثالث: المودة بين أميري المؤمنين عثمان وعلي رضي الله عنهما.

الفصل الرابع: المودة والثناء بين آل بيته ﷺ (الزوجات والقرابة) .

وقد قسمته على مبحثين:

المبحث الأول: المودة والثناء بين نساء النبي ﷺ .

المبحث الثاني: المودة والثناء بين آل بيت رسول الله ﷺوزوجاته (السيدة عائشة نموذجاً).

الخاتمة: في خلاصة هذا البحث .

هذا، وأسأل الله عَزَّ وجَلَّ أن يجازي خير الجزاء كل من أعانني في هذا البحث، ومن حكَّمه أو قرأه من الأساتذة أو الزملاء، فأسدى لي فيه نصحاً، أو سدَّ فيه خللاً، أو نبهني إلى فكرة، والله ولي التوفيق.

❊ ❊ ❊



تمهـــيد

في مكانة الصحابة

رضي الله عنهم أجمعين

التمهــيد

إنَّ أعظـم جيل عرفته الإنسـانية هو الجيل الذي رباه رسـول الله ﷺ، وهو الجيل الذي أشرقت عليه أنواره، وظهرت فيه آثاره، ولا تجد في تاريخ أصحاب الأنبياء أزكى من تاريخهم، فقد تبوؤوا أعلى المراتب صدقاً وعطاء، وكيف لا ؟ وهم معجزة من معجزات نبيهم، وشـاهد صدقٍ لحُسـن بلاءِ رسـولِهم ؛ حيـث صاغهم بهدي الله فأحسـن صوغهم، وألـف بينهم على اختـلاف طباعهـم، حتى صاغوا مجتمعـاً هو خير مجتمعـات البشرية، ألفة ومحبة وإيماناً، وورعاً وشجاعة واعتدالاً .

وقـد كانـوا كذلك بشـهادة كتـاب الله، وشـهادة رسـول الله ﷺ ؛ حيث جعلهـم الله تعـالى قدوة لمـن قبلهم قبل أن يكونـوا قدوة لمـن بعدهم، ولذلك ذَكَـرَ أوصافهم في الكتب المنزلة على الأنبياء مـن قبل، يقيسُ بها أتباعُهم مدى صدقهم، ويصلحون بها أحوالهم، فكانوا هم الجيل المنتظر الذي انتظرته البشرية ليقوموا مع نبيهم بأعباء البلاغ إلى كل من استطاعوا من أهل الأرض، من غير توان ولا تبديل، فكنا نحن حسنةً من حسناتهم وأثراً من آثار جهادهم.

وهـذا الجيل المتميز قـد ضرب أروع الأمثلة في الوفـاء لدينه، والصدق والأدب مـع ربه، فلم يصابوا بما أصيبت به الأمم السـابقة، حيث آمنوا فلم يشـكوا ، وأُمروا فلم يسـاوموا، واسـتُنْفِروا في سـبيل الله فنفروا، لم يرهقوا نبيهـم ولـم يتعنتـوا في طلـب الآيات، كـما فعل مـن كان قبلهم ، فـما قالوا: ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً ﴾ [1] كـما قـال قوم موسـى عليه السـلام، ولا قالوا: ﴿ هَلۡ

---

(١) سور النساء: من الآية ١٥٣ .

يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[1] كما قال قوم عيسى عليه السلام ، بل قالوا: « يا رسول الله ، امض لما أمرت به ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾[2]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون »، وقالوا: « فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك »[3]، ولم يصدر عنهم شيء من سوء الظن بالله أو إساءة الأدب مع الله ، ولا تحريف أو تبديل لكلام الله، بل بلَّغوا كما تحملوا ، فسبحان من اختارهم لصحبة نبيه ﷺ ، ولحمل دينه .

من فضائل الصحابة في الكتاب والسنة:

وقد امتدحهم الله في كتابه بمدائح كثيرة، فوصفهم بأنهم هم الصادقون، وأنهم هم المفلحون، وأنهم هم الراشدون، وأنه تعالى حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وأخبر الله تعالى أنه تاب عليهم ورضي عنهم في قوله تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾[4]، وأنه تعالى لا يخزيهم:

---

(١) سورة المائدة من الآية ١١٢ .

(٢) سورة المائدة من الآية ٢٤ .

(٣) أخرجها البيهقي في دلائل النبوة، جماع أبواب المبعث، باب ذكر سبب خروج النبي ﷺ لبدر ٣/ ٣٤ .

(٤) سورة التوبة الآية ١١٧ .

﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١)، ووعدهم الله الخيرات في قوله: ﴿ لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (٢)، وذكر الله بشارة كبرى لهم بالحسنى في قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٣).

يقول الإمام الطحاوي رحمه الله: « فثبت بذلك أن من صحب رسول الله ﷺ، فمعه الفضل على الناس جميعاً، وأن من صحبه يتفاضلون بما كان منهم » (٤).

وأمر الله تعالى رسوله ﷺ بمشاورتهم فيما يهمه من الأمر، تطييباً لقلوبهم وإعلاماً بإخلاصهم ورجاحة عقولهم، وقوة دينهم؛ إذ لا يستشار إلا العاقل المؤتمن، فما أعظمه من توجيه حمل هذه المنقبة العظيمة.

وجعل الله سبيلهم هو السبيل القويم الذي من تنكبه فقد شذ وهلك، قال الإمام ابن أبي حاتم رحمه الله: « وندب الله عَزَّ وجَلَّ إلى التمسك بهديهم

---

(١) سورة التحريم من الآية ٨.

(٢) سورة التوبة آية ٨٨ – ٨٩.

(٣) سورة الحديد من الآية ١٠.

(٤) شرح مشكل الآثار ٩/ ١٩٨.

والجري على منهاجهم والسلوك لسبيلهم والاقتداء بهم فقال: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[1]. اهـ، ولذلك كان ما هم عليه من الهدي ميزاناً عند الاختلاف، وتمييزاً للحق من الباطل، كما هو واضح في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ﴾[2]، وفي قول رسول الله ﷺ: « ... **وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة،** قالوا: ومن هي يا رسول الله ؟ قال: **ما أنا عليه وأصحابي** »[3].

وكما جاء مدحهم في كتاب الله، جاء مدحهم على لسان رسول الله ﷺ، فمدحهم الرسول عامة ، كما امتدح أفراداً منهم خاصة ، وبشر الكثير منهم بالجنة، وشهد لهم بالإيمان، فهم خير القرون، كما قال ﷺ: « **خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم** ... »[4]، وجعل وجودهم في الأمة، بل وجود التابعين لهم ثم من تابعهم سبباً من أسباب عافيتها وأمنها من الفتن، فقال ﷺ فيما رواه عنه واثلة بن الأسقع رضي الله عنه: « **لا تزالون بخير ما دام فيكم من رآني وصاحبني ، والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رآني**

---

(١) سورة النساء الآية ١١٥ . وينظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١/ ٧ .

(٢) سورة البقرة، من الآية ١٣٧ .

(٣) سنن الترمذي (الجامع)، أبواب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ٤/ ٣٨١ . وقال الترمذي: حسن غريب .

(٤) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ٣/ ١٣٣٥ . ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، رقم ٢٥٣٣ .

وصاحب من صاحبني ، والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رآني وصاحب من صاحب من صاحبني » [1] .

وضرب هـذا الجيل المثـل الأعلى في المحبة والإخـلاص لنبيه ﷺ، ففدوه بأرواحهـم ، وقدمـوه عـلى أنفسـهم وأهليهـم وأولادهـم، فزيـد بـن الدثنـة رضي الله عنـه وقـد قدمتـه قريش للقتـل بمكة يـرد على أبي سـفيان بن حرب حـين قال لـه: « أتحب أن محمداً عندنـا الآن بمكانك يضرب عنقـه ، وأنك في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شـوكة تؤذيـه وأني جالس في أهلي. فقال أبو سـفيان: ما رأيت مـن الناس أحداً يحب أحـداً كحـب أصحـاب محمد ﷺ محمـداً » [2] . وسـعد بن الربيـع الأنصاري رضي الله عنه وهو في رمقه الأخير يقول يوم أحد وقد وجدوا فيه سبعين ضربة وطعنة: « قل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله أن يُخْلَصَ إلى رسول الله ﷺ وفيكم شَفْرٌ يَطْرِف . قال: وفاضت نفسه رحمه الله » [3]. وتقدمه المرأة على أبيها وأخيها وزوجها ، فعن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص ، قال: كانت امـرأة مـن الأنصار من بني ذبيـان، قد أصيب زوجها وأخوها يـوم أحد ، فلما

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الفضائل، باب ما ذكر في الكف عن أصحاب النبي ﷺ (١٧/ ٣٠٩)، وحسَّـن إسـناده الحافظ ابن حجر في الفتح (٧/ ٧)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني من طرق، ورجال أحدها رجال الصحيح.

(٢) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة، ترجمة زيد بن الدثنة ٣/ ١١٨٤ .

(٣) أخرجـه الحاكـم في المسـتدرك، كتاب معرفة الصحابـة، ذكر مناقب سـعد بن الربيع، ٣/ ٢٠١ ، وقـال الذهبـي: صحيـح . وأخرجـه البيهقـي في الدلائل، بـاب تحريض النبي ﷺ أصحابه على القتال ٣/ ٢٨٥ ، وقال: « طرف يطرف ».

نُعُوا لها قالت: ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا: خيراً ، يا أم فلان ، فقالت: أرونيه حتى أنظر إليه ، فأشاروا لها إليه ، حتى إذا رأته قالت: « كل مصيبة بعدك جلل » (١). أي كل مصيبة بعدك هينة .

وقد تركوا الأوطان، وهجروا الآباء والأبناء فراراً بدينهم إلى الله، وانطلاقاً بالدعوة في أرض الله، وأصيبوا في سبيله في أنفسهم وأبنائهم وإخوانهم وأهليهم وفي أموالهم فما وهنوا عن جهادهم ونصرة دينهم ، بل احتسبوه فصبروا ، ومنَّ الله عليهم بفتحه وببركاته فشكروا .

أعتق الأغنياء منهم العبيد ، فهم سادة أعتقوا سادة ، وآثر الأنصار منهم المهاجرين بأموالهم ودورهم، وعرضوا عليهم أن يزوجوهم بمن يختارون من نسائهم ، فوفوا بعهدهم والله يتولى جزاءهم، يقول الله تعالى مادحاً الأنصار: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢) .

منهم من اهتز لموته عرش الرحمن تبارك وتعالى (٣)، سروراً واستبشاراً

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل، جماع أبواب غزوة أحد ٣/ ٣٠٢ .

(٢) سورة الحشر الآية ٩ .

(٣) وهو سعد بن معاذ الأنصاري رضي الله عنه كما في حديث مسلم عن جابر بن عبد الله (صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل سعد بن معاذ ١٥/ ٢٤٠)

بصعـود روحـــه، ومنهــم مــن بُلِّـغَ مــن الله تعــالى الســلام [١] ، ومنهــم من تعجـب الله مـن فعله رضاً بما عمـل [٢] ، ومنهم من سـماه الله في كتابه [٣] ، أو ذكره عز وجل بصفته [٤] ، ومنهم من سـماه الله لرسـوله ﷺ وأمره أن يقرأ عليه كتابه [٥] .

الملائكـة ترتـاد منازلهم وتلتمس مجالسـهم ، وتسرح في طرقاتهم ، وتشـد عزمهـم وتقاتـل معهـم ، والوحـي ينـزل بينهـم ، وروح القـدس يؤازرهم ، والرسول يشهد لهم ، ويقسم على إيمانهم .

ومنهم العلماء والقراء والفقهاء والحكماء، امتلأت قلوبهم علماً بالله وعلماً بأحـكام ديـن الله ففاضوا وأفاضـوا على من بعدهـم هداية وإرشـاداً، وتعليماً

---

(١) كالسـيدة خديجة رضي الله عنها كما رواه مسـلم عن أبي هريرة رضي الله عنه (صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجـة ١٥/ ١٩٥) .

(٢) وهو في حديث الرجل وزوجته اللذين ضيفا ضيف رسول الله ﷺ كما رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير ، باب (ويؤثرون على أنفسهم) حديث رقم ٤٦٠٧ .

(٣) وهـو زيـد بـن حارثـة رضي الله عنـه في قولـه تعـالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ سورة الأحزاب من الآية ٣٧.

(٤) كأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، في قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ سورة التوبة من الآية ٤٠ . وذكر أوصاف جماعات من الصحابة في القرآن كثير.

(٥) وهـو أبي بـن كعـب الأنصـاري رضي الله عنـه كما رواه مسـلم عن أنس بـن مالك أن رسـول الله ﷺ قـال لأُبيٍّ « **إن الله أمـرني أن أقـرأ عليك** ». قال: آلله سـماني لك، قال: « **الله سمّاك لي** ». قال: فجعل أُبيّ يبكي. (صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل والحذاق فيه . شرح النووي ١٥/ ٢٣٨) .

وتزكية وإسعاداً ، فسلاسل الإسناد بهم برسول الله ﷺ متصلة، وسننه وهديه بهم منتشرة ، وما كتموا عن رسول الله ﷺ شيئاً أمروا بنشره وتبليغه ، وما خطر ببالهم أن يتقولوا على رسول الله ﷺ .

ومع كل هذا الحفظ والتوفيق فلم يعصموا، بل كانوا أقل الناس نصيباً من الزلل ، تطيش المآخذ عليهم إذا ما قورنت بفضائلهم .

وبالجملة فمناقبهم جمة ومآثرهم تترى ، وأوصافهم في الكتب السابقة وفي القرآن الكريم لا تزال تتلى.

من حقوق الصحابة:

وقد ترتبت لهم علينا حقوق كثيرة [1]، فكان من حقهم علينا أن نستغفر لهم، مصداق قوله تعالى مبيناً موقفنا منهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [2].

ومن حقوقهم: الثناء عليهم بما أثنى به الله تعالى عليهم ورسوله، وأن نترضى عنهم، ونمسك عن ذكرهم بسوء، وهذا من معاني ومقتضيات أمر الله تعالى بالاستغفار لهم ، وهو علامة من علامات حسن الاتباع لهم، ومخالفة ذلك علامة من علامات الخذلان وسوء الاتباع .

(١) للمزيد: ينظر الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، إملاء فضائل الصحابة ومناقبهم والنشر لمحاسن أعمالهم وسوابقهم ٢/ ١١٧ ، وينظر تثبيت الإمامة ص ١٧٨ ،٢١١، والشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/ ٥٢ ، وشعب الإيمان للبيهقي ٢/ ١٩٢، والشريعة للآجري .

(٢) سورة الحشر آية ١٠.

وكذا أن نعتقد عدالتهم، لأنهم الواسطة بين رسول الله وأمته، عنهم تلقينا الكتاب والسنة، فكانوا آمَنَ الناس عليهما، ولعل هذا هو السر في تعديل القرآن لهم جميعاً، إذ كان من لوازم حفظ الله تعالى لكتابه الثقةُ بنقلته.

ومن حقوقهم: محبتهم وموالاتهم جميعاً في دين الله ، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [1]، وأن ندافع عنهم، ونذب عن أعراضهم أكثر من غيرهم؛ إذ هم آباؤنا، بل هم أمَنُّ الآباء علينا وعلى الأمة جميعها، وأن نذكر محاسنهم ، وننشر سيرهم وفضائلهم ، محبةً فيهم وفي رسول الله ﷺ، واقتداءً بهديهم ، وربطاً للقلوب بهم، وتحصيناً للأجيال من شبهات ومفتريات من لا يعرفون قدرهم .

التحذير من انتقاص الصحابة:

ولذلك ولما ثبت لهم كان منتقصُهُم هو محل الاتهام والازدراء؛ كما صرح بذلك العلماء، فلا ينتقصهم إلا جاهل قد أوقع نفسه في هاوية مهلكة، أو معاند قد ركب هواه فأرداه، أو من يكيد للإسلام، تبطَّنَ ذلك أو أظهره، أو متأثر بمناهج غير المسلمين باسم الحرية أو النقد العلمي فإذا به يقع في طامات لعدم أهليته للبحث، وقلة معرفته بقواعد القبول والرد للنصوص، فتختلط عليه ويسوء فهمه، وكذا لغفلته عن الثوابت العقدية التي يجب ألا تغفل عند دراسة تاريخهم .

---

(١) سورة المائدة من الآية ٥٥ .

يقـول الإمام أحمـد رحمه الله: « إذا رأيـت رجلاً يذكر أحـداً من الصحابة بسوء، فاتهمه على الإسلام » [(١)] .

ويقول الإمام أبو زُرعة الرازي رحمه الله: « إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسـول الله ﷺ ، فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن الرسـول ﷺ عندنا حق ، والقرآن حقٌّ ، وإنما أدّى إلينا هذا القرآن والسنن أصحابُ رسول الله ﷺ ، وإنما يريدون أن يجرحوا شـهودنا ليبطلوا الكتاب والسـنة ، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة » [(٢)].

وهـذا الذي ذكرت من حقـوق الصحابة، ومن التحذير مـن انتقاصهم، هـو مـا عليه السـلف الصالح جميعـاً، وهو مـا دُوِّن في كتب عقائد أهل السـنة سلفاً وخلفاً، وهو ما درسناه وتلقيناه على يد علمائنا بالأزهر الشريف، وهو ما وجدت عليه شيوخنا من أهل التعليم والإرشاد والتزكية .

التحذير من بعض المؤرخين:

وقد نبه الكثير من العلماء على ما ذكره بعض المؤرخين وجهلة الرواة فيما فيه مطعن على الصحابة[(٣)]، وأوصوا بالإعراض عنه . وليُعلم أن كثيراً من كتب

---

(١) تاريخ دمشق ٥٩/ ٢٠٩ ، والبداية والنهاية ٨/ ١٣٩ ط المعارف.

(٢) الكفاية للخطيب البغدادي: ٦٧ .

(٣) قد تكلم عن ذلك فأفاد كل من الدكتور يحيى إبراهيم اليحيى في مقدمة كتابه، مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، عصر الخلافة الراشدة.

وكـذا الدكتـور محمد امحـزون في البـاب الأول من كتابـه تحقيق مواقـف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين، في كل من الفصل الأول تحت عنوان: =

التواريخ والأدب لم تخل من روايات مستغربة، أو مستنكرة، أو موضوعة، بل كان بعض أصحابها ممن يتهمون، قد حملهم الهوى على ما ذهبوا إليه، فلينتبه المسلم لذلك [١].

يقول الإمام الذهبي في نحو هذا: « وما زال يمر بنا ذلك - يعني الطعن في بعضهم - في الدواوين والكتب والأجزاء، ولكن أكثر ذلك منقطعٌ وضعيف، وبعضه كذب » [٢].

ويقول القاضي عياض رحمه الله تعالى في بيان حقوق الصحابة، وأنها تابعة لحق رسول الله ﷺ: « ومن توقيره وبره - أي رسول الله ﷺ - توقيرُ أصحابه وبرُّهم، ومعرفةُ حقهم، والاقتداء بهم، وحسن الثناء عليهم، والاستغفار

= (التاريخ الإسلامي: عوامل تحريفه ومنهج دراسته). وفي الفصل الثالث المبحث الثالث تحت عنوان: (منهجه - الطبري - في كتابة تاريخه).

وكذا رسالة السيد محب الدين الخطيب رحمه الله تعالى تحت عنوان: (حملة الإسلام الأوائل وما كانوا عليه من المحبة والتعاون على الحق والخير ...).

وكذا أجاد الشيخ محمد صالح الغرسي في كتابه فصل الخطاب في مواقف الأصحاب رضي الله عنهم.

ولا يستغنى عن مطالعة الرسالة النفيسة للعلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري، وعنوانها: من عبر التاريخ، وخاصة ما ذكره تحت الفصل المعنون بجولة في مصادر السير والأخبار. وغيرهم الكثير مما سنذكره أثناء هذا الكتاب.

(١) ولم أجد فيما وقفت عليه ممن جمع في توضيح الموقف من بعض اختلافات الصحابة - خاصة في الجمل وصفين وفي أبواب الفضائل مما له تعلق بهما - أشرح للصدر من كتاب المصنف للإمام ابن أبي شيبة، ثم المعرفة والتاريخ للفسوي، وإن فرق الأخير الروايات تبعاً لمنهجه في الكتاب.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٩٢.

لهم، والإمساك عما شجر بينهم، ومعاداة من عاداهم، والإعراض عن أخبار المؤرخين وجهلة الرواة ... القادحة في أحد منهم » [1].

ويقول العلامة الطاهر بن عاشور في التحذير من الأخذ بكل ما نقله أهل التواريخ، وخاصة في حق الصحابة: « ولا ينبغي تَقَلُّدُ كلامِ المؤرخين على عِلاّته؛ فإن فيهم من أهل الأهواء، ومن تلقّفوا الغثّ والسمين » [2].

ومن جهة الأمانة العلمية، ينبه الإمام الجليل أبو جعفر الطبري رحمه الله تعالى في مقدمة تاريخه - وهو يبين منهجه - كُلَّ من يطالع في كتابه أنه إن وجد خبراً مستغرباً فليس ذلك من عنده، بل ذلك ما وقف عليه الإمام من الروايات، ويُعْلِمُهُ أنه لم يشترط الصحة، وأن كتابه ديوان عام.

يقول الدكتور يحيى بن إبراهيم اليحيى عن منهج الطبري في تاريخه: إنه لم يشترط الصحة في كتابه ، وإنما ذكر الروايات وأسندها إلى رواتها تاركاً الحكم للقارئ ، وأوضح ذلك في مقدمته بقوله: « فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قِبَلِنا، وإنما أُتِيَ من قِبَلِ بعض ناقليه إلينا، وإنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أُدِّي إلينا » [3].

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/ ٥٢ .

(٢) التحرير والتنوير، سورة الأحزاب (آية ٣٣) ٢٢/ ١٢ .

(٣) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ص ١٣ . والنص في مقدمة تاريخ الطبري ١/ ٨.

قلتُ: وهذا منهج علمي معروف، فقد قالوا: « من أسند فقد أحالك » [1].

ويقولُ الإمام محمد زاهد الكوثري رحمه الله تعالى، وهو يتكلم عن بعض مناهج المؤرخين: « وأما ابن جرير الطبري صاحب التاريخ فجليل القدر في الحديث والتفسير والفقه، لكنه لم يضمن صحة ما أورده في تاريخه »، ثم ساق نصّ ابن جرير السابق، وقال: « فبهذا تعلم أنه تبرأ من عهدة رواياته في التاريخ، وحملها على أكتاف رواتها له » [2].

قلتُ: ولم يضع الإمام الطبري كتابه للعامة، وإنما للعلماء وأهل النظر، وهم الذين يتوجه إليهم تنبيه الإمام الطبري في مقدمة كتابه هذا، وقد وضع هذا التاريخ لا ليكون تاريخاً مسلَّماً كله، وإنما ليستخرج منه التاريخ بميزان القبول والرد، على أن إيراده في بعض الأحداث روايات عدة، رغم أن بعض رواتها لا يعتد بهم في إثبات أصل الرواية، لا يخلو من فائدة، تنتج من المقارنة بين الروايات من الترجيح والتكميل والتفسير، فضلاً عن التعرف على الواهي والموضوع والمستغرب فيرد، ولذلك أسند أخباره إلى رواتها، ولا شك أن حال كل من نقل عنهم لا يخفى على أهل العلم. فكتابه مرحلة من مراحل الجمع المنظم المسند للتاريخ، تتبعها مرحلة التمحيص، والتي بذل العلماء فيها جهوداً مشكورة، ولا زلنا بحاجة إلى المزيد.

يقول الدكتور محمد امحزون في شأن المؤرخين المنصفين كالطبري وابن

---

(١) ذكره الإمام السيوطي في تدريب الراوي، باب المرسل ١/ ١٦٣ .

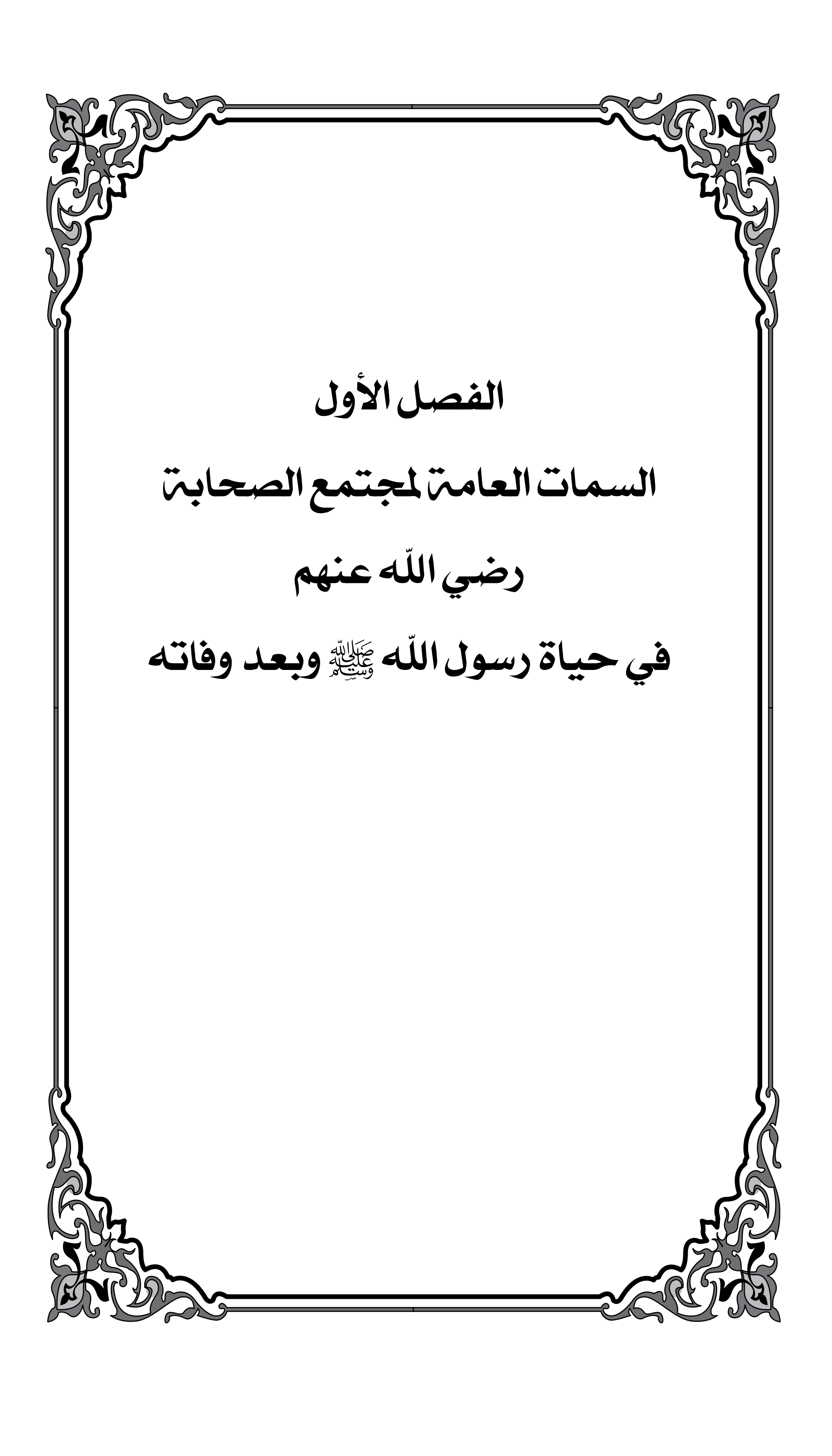
(٢) من عبر التاريخ ص ٤٦ .

عساكر وغيرهم: « وقد أثبت هؤلاء أسماء رواة الأخبار التي أوردوها ليكون الباحـث على بصيرة من كل خبـر بالبحث عن حال روايته. وقد وصلت إلينا هذه التركة، لا على أنها هي تاريخنا، بل على أنها مادة غزيرة للدرس والبحث يستخرج منها تاريخنا، وهذا ممكن ميسور إذا تولاه من يلاحظ مواطن القوة والضعف في هذه المصادر وفق المقاييس الشرعية، فيستخلص بذلك حقيقة ما وقع، ويجردها عن الذي لم يقع، مكتفياً بأصول الأخبار الصحيحة مجردة عـن التحريفات الطارئة عليها، وإن الرجـوع إلى كتب الحديث وملاحظات الأئمة والعلماء مما يسهّل هذه المهمة »[1].

وقـد ذكرت ذلـك وأطلت للتنبيه كـما ذكر الأئمة، صيانة لمقـام الصحابة رضي الله عنهـم، أن نقبـل في حقهـم كلَّ ما نجده خاصة في كتـب التواريخ أو التراجم أو الأدب وبعض كتب السنن، فإنها لا تخلو مما سبق .

***

(١) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدِّثين ١/ ٦٣ .



الفصل الأول

السمات العامة لمجتمع الصحابة

رضي الله عنهم

في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته

الفصل الأول

السمات العامة لمجتمع الصحابة رضي الله عنهم

إن الناظر في مجتمع أصحاب رسول الله ﷺ في حياته وبعد وفاته يراه مجتمعاً تأسس على التقوى، وحفته الفضائل، وتداخلت فيه خِلالُ الخير، فما تستطيع حصرها، وتجد أنك من أي ناحية نظرت إليه، ومن أي وجه تفحصته، بُهرت به، ورأيت فيه حقاً مظهراً ومجلىً صادقاً للخيرية التي نطق بها قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾(1) الآية. وأيقنت أنه كان بحق دليل صدق من دلائل نبوته ﷺ، وأن أصحابه استحقوا التنويه بهم في الكتب السماوية السابقة، في قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾(2)، وظهر لك بحق أنَّ البشرية على مر التاريخ لم تعرف مجتمعاً ربانياً مثل هذا المجتمع، وأن المدن الفاضلة التي حلم بها الفلاسفة قد تحققت في مجتمع مدينة رسول الله ﷺ في حياته وفي ظلال أصحابه بعد وفاته، ولكن بمقاييس الوحي الرباني الذي ارتضاه الله لعباده لا بمقاييس العقول القاصرة، ولذلك كان هذا المجتمع هو ذروة ما تتطلع إليه البشرية .

---

(1) سورة آل عمران من الآية ١١٠ .

(2) سورة الفتح من الآية ٢٩ .

وحديثنا عن سمات مجتمع الصحابة حديث واسع، والذي يخص موضوعنا هو سمات التواد ومظاهر الأخوة، التي نستشرفها، ولا تزال تتعطش إليها الإنسانية، بالإضافة إلى الوسائل التي كانت كفيلة بترعرع وحفظ هذا التواد وهذه الخيرية، فنجد الطاعة لله ولرسوله هي منطلقهم، ونجد الأخوة والمساواة بينهم ، وأن الضوابط والمعايير التي يتحاكمون إليها قد حفظت لهم الحقوق، وصانت لهم الكرامة، متمثلة في كتاب الله عَزَّ وجَلَّ وسنة رسوله ﷺ .

ومن سمات التواد في هذا المجتمع قربُ الحاكم من المحكوم، وقيامُ كلٍّ بمسؤوليته تجاه الآخر قدر استطاعته، بالطاعة أو النصيحة أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتشاور الحاكم معهم خاصة مع ذوي الرأي والفقه منهم، وتشاورهم فيما بينهم في أمورهم الحياتية الدالة على شيوع الثقة في هذا المجتمع، ونجد فيهم المعرفة لأقدار الكبار وتوقيرهم وإنزالهم منازلهم، كل هذه سمات كانت بمثابة القاعدة التي تُثبِّت هذا المجتمع، أو بمثابة السياج الذي يحفظه.

وأما سمات الجمال فيه فكثيرة جداً، والتي ترجع إلى المروءة أو ترجع إلى الرحمة، ومَرَدُّها جميعاً إلى مفردات الأخلاق التي وصف الله تعالى بها المؤمنين في كتابه، والتي رأوها عياناً في رسول الله ﷺ .

فنجده مجتمعاً يتسم باليسر في غير تبذل، والتكافل والبذل في غير تمنن، فقد تعلموا كيف يقصدون به وجه ربهم ، وكيف يتواضعون وينكرون ذاتهم ،

وأن العصبية التي كانت شائعة قد ترقت وانتُقي منها مظاهر الخير فيها فأقرت، وطرح منها ما اعوج .

ونجـد تفقُّد بعضهم لأحوال بعـض، وتواصلهم بالهدايـا والصدقات وتحمـل الديـون، والتـزاور، والاجتـماع في الصلـوات وفي مجالـس العلـم ومجالسـهم العامة التي كانت تفوح بالكرم والأدب والمحبة، وغير ذلك من العادات الطيبة التي تقتضيها المخالطة وحسن الجوار .

وقد ترسـخت فيهم تلـك الأخلاق، فكانت سـلوكاً وسـجية من غير تكلف، ولست مبالغاً أبداً فيما أقول، ولا يضرهم أبداً ولا يطعن في أخوتهم وتوادهم اختلافُهم في بعض الأمور، فتلك سـنة من سـنن الاجتماع لا يخلو منها البشر .

كانت هذه مقدمة لبعض سمات ومظاهر الأخوة والتواد، ولنعش مع عبير هذا المجتمع الفاضل بالوقوف على بعض الشواهد والمواقف، التي تزيدنا إيماناً بالله ورسوله، وتزيدنا بهؤلاء الصحابة معرفة ومحبة، نزكي بها أنفسنا ومجتمعنا، وندفع بها في وجه من ينتقص أصحاب نبينا ﷺ.

وسوف نتناول هذه السمات من خلال المباحث الآتية:

١- قيام الصحابة بمسؤولياتهم تجاه المجتمع .

٢- ترك العادات ونوازع الأهواء استجابة لله ولرسوله .

٣- معالم التكافل بين الصحابة .

٤- مجالس الصحابة ولقاءاتهم وتزاورهم .

* * *

المبحث الأول

قيام الصحابة بمسؤولياتهم تجاه المجتمع

لقد بذل الصحابة قصارى ما يقدرون عليه تجاه مجتمعهم وتجاه إخوانهم فقاموا بحقوق الولاية لهم ، والرعاية لشؤون دينهم، واعتبر كل واحد منهم نفسه مسؤولاً عن الحفاظ على هذا الدين، وعلى سلامة إخوانه المسلمين.

وسوف نتناول هذا المبحث من خلال السمات الآتية:

١ - اهتمام الحاكم بالرعية، وقربه منهم .

٢- التشاور بين الصحابة .

٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

أولاً: اهتمام الحاكم بالرعية، وقربه منهم:

لقد قام الخلفاء الراشدون بأعباء الخلافة بعد رسول الله ﷺ من منطلق أداء الواجب، والمسؤولية التي سوف يسألون عنها يوم القيامة ، فقاموا بالحفاظ على شرائع الدين ، والحفاظ على أمن المسلمين في الداخل بتدبير شؤون المعايش، والفصل في القضاء ، وإيصال الحقوق إلى أهلها، ووضع التراتيب المناسبة لإدارة هذا المجتمع ، واختيار أهل الخبرة والأمانة ليعينوهم على ذلك، مع الرقابة عليهم ، وقاموا بالمحافظة على أمن المسلمين من الخارج بالوفاء بالعهود التي يمضونها، وإعداد الجيوش، ونشر الدعوة إلى الله .

وحديثنا في مبحث السمات ليس عن تلك النظم التي وضعها الصحابة لإدارة المجتمع ، ولكن عن شواهد تلك الرعاية الدالة على المودة بينهم.

فمن تلك الشواهد الدالة على حسن رعاية خلفاء رسول الله ﷺ لرعيتهم: تلك الوصية الجامعة لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يوصي فيها بعض الحجاج الواردين على المدينة، فيقول: « **أوصيكم بالمهاجرين فإن الناس سيكثُرون ويقلُّون، وأوصيكم بالأنصار فإنهم شِعْبُ الإسلام الذي لَجَأ إليه، وأوصيكم بالأعراب فإنهم أصلُكم ومادّتُكُم، وأوصيكم بأهل ذمَّتِكُم فإنهم عهدُ نبيكم ورزقُ عيالكم** » [1] .

وجاء في روايةٍ للبخاري عن عمر رضي الله عنه يوصي الخليفة من بعده فيقول: « **أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين، أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم، أن يُقبل من محسنهم وأن يُعْفَى عن مُسيئِهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً، فإنهم رِدْءُ الإسلام وجُباةُ المالِ وغيظُ العدوِّ، وأن لا يؤخذ منهم إلا فَضْلُهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيراً فإنهم أَصْلُ العرب ومادة الإسلام، أن يؤخذ من حواشي أموالهم ويرد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ أن يوفَى لهم بعهدهم وأن يقاتَلَ من ورائهم، ولا يكلَّفوا إلا طاقَتَهُم** » [2].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ٥١ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان ٣/ ١٣٥٣ . وفي مواضع أخرى من الصحيح منها ١/ ٤٦٩-٤٧٠ .

فقد جمعت هذه الوصية ألواناً من الرعاية ومكارم الأخلاق، والشعور بالمسؤولية، مما يظهر واضحاً في عباراتها ومضامينها من غير تأمل، فقد أوصى عمر رضي الله عنه فيها بكل من تحته من المسلمين وغيرهم ، فأوصى بأصحاب رسول الله ﷺ، وأوصى بأهل البلاد التي دخلت في الإسلام ، وبغيرهم ممن حولهم من الأعراب خيراً، إذ هم أصلهم وعونهم على الجهاد، بأن يرفق بهم، فلا تُؤْخَذَ منهم في الزكاة كرائمُ أموالهم، بل يؤخذ ما ارتضته نفوسهم مما يجزئ في هذه الفريضة، وأن يحملوا ويعينوا فقراءهم ، وكذلك وصّى بمن كانوا على غير دينهم من أهل الذمة، فلا يُعْتَدى عليهم ولا يُظْلَمون حقَّهم ، وأن يقاتلوا معهم عدوهم.

فهكذا كانت صورة هذا المجتمع .

ويحدد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في خطبته مهمة الأمير أو الراعي - في مثال يعد نموذجاً لما كان عليه الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم من حسن السياسة وتحديد المسؤوليات - فعن أبي فراس[1] قال: « **خطب عمر بن الخطاب فقال: يا أيها الناس ... إني والله ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم، فمن فُعِلَ به شيء سوى ذلك فليرفعه إلي، فوالذي نفسي بيده إذن لأُقُصَّنه منه ...** » ثم

---

(١) هو أبو فراس النهدي، أحد التابعين، قال المزي في ترجمته في تهذيب الكمال (٣٤/ ١٨٣): روى عن عمر بن الخطاب ، وروى عنه أبو نضرة العبدي . ا.هـ ، وقال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب: أبو فراس النهدي ، قيل: اسمه الربيع بن زياد، مقبول من الثانية .

قال: « **ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تجمروهم فتفتنوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم** »[1].

فيبين عمر رضي الله عنه أن الإمارة ليست بالقهر والتعالي على الرعية، وإنما بالشفقة وحسن الرعاية، وإقامة العدل، وتعليم الرعية، وصيانة دينها وكرامتها، وأن يكون أميرها في وسطها فلا يحتجب عنهم ولا يغلق بابه دون حوائجهم، وأوصى بوصايا خاصة لأمراء الجيوش بما يحفظ عليهم سلامتهم، فنهى عن تجمير الجيش: وهو جمعهم في الثغور وحبسهم مدداً طويلة عن العودة إلى أهلهم فتكون فتنة لهم، ونهاهم عن منعهم حقهم في المال وغيره، مخافة أن يعصوا أو يرتدوا، وأن يسيروا بهم في الطرق التي تجهدهم، فقال: « ولا توطئهم وعراً فتؤذيهم »، وأمرهم أن يلتمسوا لهم مواقع السلامة فلا ينزلوهم الغياض: وهي الشجر الملتف، حتى لا يتفرقوا فيه فيتمكن منهم عدوهم[2]، زاد الطبري عن عمر قال: « **فإن رجلًا من المسلمين أحب إلي من مائة ألف دينار** »[3].

فهكذا كانت رعايتهم لدقائق الأمور، وهكذا كان اهتمامهم بجميع الشؤون.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ٤١، وابن أبي شيبة في المصنف كتاب السير ١٧/ ٤٩٦، والحاكم في المستدرك ٤/ ٤٣٩، وقال الذهبي: على شرط مسلم، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٩/ ٢٩، وقال: « خطبنا عمر بن الخطاب ».

(٢) ينظر النهاية في غريب الحديث، مادة: جمر، وكفر، وغيض.

(٣) تاريخ الطبري ٤/ ١١٥، وقد كتب به عمر بن الخطاب إلى النعمان بن مقرن رضي الله عنه حين أمره بالسير إلى نهاوند لقتال أهل فارس حين تجمعوا لقتال المسلمين.

وكان الخلفاء في كل ذلك قريبين من إخوانهم ؛ مخالطين لهم في صلواتهم، ومجالسهم، وشؤون حياتهم ، لا يحتجبون عنهم ؛ ولا يتميزون عليهم إلا بحق الطاعة في المعروف، فقد كان أول ما أعلنه أبو بكر رضي الله عنه في خطبة بيعته أنه ليس بخيرهم ، وأن طاعته إنما تكون في المعروف .

روى أنس بن مالك قال: « لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر فتكلم .... ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد: **أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني ... وأطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم** » (١) .

وكان الجميع أمام حدود الله سواء، فأعطى الخلفاء القصاص من أنفسهم في أقل الأشياء، إبراءً لذممهم أمام الله تعالى، فأقاد أبو بكر من لطمة، وأقاد عمر من ضربة بالدرة (٢)، قال ابن شهاب: « إن أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهم أعطوا القود من أنفسهم، فلم يستقد منهم وهم سلاطين » (٣) ، وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنّ أبا بكر الصديق ضرب رجلاً بخطام ، بسبب أنه دخل عليهم بغير إذن، وهو يقسم إبل الصدقة، وكان أبو بكر نهى أن يدخل عليهم إلا بإذن، قال عبد الله:

---

(١) سيرة النبي ﷺ لابن هشام ٤/ ٣٦٩ ، وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٥/ ٢٤٨ : (وهذا إسناد صحيح)، وقال:« فقوله رضي الله عنه: وليتكم ولست بخيركم ، من باب الهضم والتواضع، فإنهم مجمعون على أنه أفضلهم وخيرهم رضي الله عنهم ».
(٢) صحيح البخاري ، كتاب الديات، باب إذا أصاب قوم من رجل هل يعاقب؟ ١٢/ ٢٣٦ .
(٣) السنن الكبرى للبيهقي ، كتاب الجنايات، باب ما جاء في قتل الإمام وجرحه ٦/ ٥٠ .

« فلما فرغ أبو بكر من قسم الإبل دعا بالرجل فأعطاه الخطام وقال: استقد، فقال له عمر: والله لا يستقيد لا تجعلها سنة، قال أبو بكر: **فمن لي من الله يوم القيامة ...** »[1].

فهكذا كانت صورة خلفاء رسول الله ﷺ، من الاهتمام بالرعية في كل شؤونهم وعدم التميز عليهم، والإيصاء بهم، كما يوصي الواحد منهم بأهله أو أشد، فكانوا أعظمَ وأبرَّ وأتقى جماعةٍ عرفتها البشرية، فبؤساً لمفتونٍ قليلِ الدين لا يستهويه إلا التقليل من قدر الصحب الكرام.

ثانياً: التشاور بين الصحابة:

تعد ظاهرة التشاور بين أصحاب رسول الله ﷺ سمة من سمات مجتمعهم، تدل على تماسكه، وعلى قيام أفراده بتحمل مسؤولياتهم تجاه دينهم وإخوتهم، وعلى عدم استبداد أولي الأمر بالرأي، وشعورهم بالأمانة التي تحملوها، وأنهم سوف يسألون عنها يوم القيامة، جرياً على ما أمرهم به الله تعالى في قوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[2]، وما أصَّله فيهم رسول الله ﷺ حينما رأوه أكثر الناس تشاوراً، حتى إنه ليستشير في أموره الخاصة، فضلاً عن المصالح العامة.

وقد كان الخلفاء الراشدون والأئمة من بعد رسول الله ﷺ يستشيرون فيما لا يعلمون، وفيما يعلمون تورعاً حتى يستوثقوا لأنفسهم، وتطمئن قلوبهم، ويستشيرون أيضاً فيما اتسع فيه الأمر طلباً للتيسير على الناس، يقول

---

(١) السابق، التخريج نفسه.

(٢) سورة الشورى من الآية ٣٨.

الإمام البخاري في صحيحه: « وكانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها »(١).

من مشاورات أبي بكر الصديق:

وقد استشار أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خلافته في أمور كثيرة، فاستشار في حروب الردة وفي جمع القرآن ، وغير ذلك ، وفعل مثله الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه في جمع الناس على مصحف واحد،كما سيأتي إن شاء الله (٢) .

وكان من هدي أبي بكر الدال على تحريه، وعلى تفاعل هذا المجتمع واندماجه، ما رواه البيهقي بسند صحيح عن ميمون بن مهران قال: « كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله، فإن وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به، وإن لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله ﷺ في ذلك الأمر سنة قضى به، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين، فقال: أتاني كذا وكذا، فهل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء ؟ فربما اجتمع إليه النفر كلهم يذكر من رسول الله ﷺ فيه قضاءً، فيقول أبو بكر: الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ على نبينا، فإن أعياه أن يجد فيه سنة من رسول الله ﷺ جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم، فإن أجمع رأيهم على أمر قضى به »(٣). فهكذا كان المجتمع في عهد أبي بكر الصديق .

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قوله تعالى: (وأمرهم شورى بينهم) ٦/ ٢٦٨٢ .

(٢) ينظر: فتح الباري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ١٣/ ٣٥١ .

(٣) أخرجه الدارمي في سننه، كتاب المقدمة، باب الفتيا وما فيه من الشدة ١/ ٢٦٢ ، والبيهقي في الكبرى، كتاب آداب القاضي، باب ما يقضي به القاضي ويفتي به المفتي ١٠/ ١١٤ . وصحح الحافظ إسناده عن ميمون في الفتح ١٣/ ٣٥٤ .

من مشاورات الفاروق عمر:

وأما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد كان من أكثر الناس مشورة، وذلك لكثرة الحوادث والمستجدات في عصره، فقد استشار في حد الخمر، وفي تدوين الدواوين، وفي تقسيمه أرض السواد بالعراق لمّا فتحها الله عليهم، وأشار عليه عثمان وعليٌّ وطلحة وعبد الله بن عمر بعدم تقسيمها [1]، واستشارهم في حكم المرأة إذا اعتَدَتْ على جنينها الذي في بطنها، أو اعتدي عليها، فسقط الجنين بعد أن نفخ فيه الروح، وهو المعروف بإملاص المرأة[2]، وفي التوجه بنفسه إلى قتال فارس، وأشار عليه عليٌّ رضي الله عنه وغيره بعدم التوجه بنفسه، وغير ذلك كثير [3].

وكانت لعمر بن الخطاب مجالس للاستشارة، كما قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فيما رواه البخاري: « كان القراءُ أصحابَ مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباباً » [4]، والقراء هم العلماء العباد، وقد كان يُكْثِرُ أن يشاور أهل بدر من المهاجرين والأنصار، ومشيخة قريش ممن هاجروا

---

(١) تنظر الروايات في الخراج للقاضي أبي يوسف ص ٢٤ - ٢٧، وغيرها .

(٢) عن المسور بن مخرمة قال: « استشار عمر بن الخطاب الناس في ملاص المرأة، فقال المغيرة بن شعبة : شهدت النبي ﷺ قضى فيه بغرة عبد أو أمة، قال: فقال عمر: ائتني بمن يشهد معك، قال: فشهد له محمد بن مسلمة » . أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، باب دية الجنين، ٦/ ٢٥٣١، ومسلم في صحيحه، كتاب القسامة، باب دية الجنين، ٣/ ١٣١١، وهذا لفظه .

(٣) ينظر فتح الباري ١٣/ ٣٥٤ . وينظر البداية والنهاية ٤/ ١٠٩ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب التفسير، سورة الأعراف، باب (خذ العفو وأمر بالعرف) ٤/ ١٧٠٢ .

بعد فتح مكة ، كما ورد في حديث انتشار الطاعون بالشام وهم في الطريق إليها، ولم يكن عندهم في ذلك علم من كتاب أو سنة، فاستشارهم أيدخلون الشام أم يرجعون ؟ فاستقر الرأي على أن يرجعوا .

فقد روى البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: « قال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين، فدعاهم فاستشارهم، وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا ... ثم قال: ادع لي الأنصار، فدعوتهم، فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم، فلم يختلف منهم عليه رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر، فأصبحوا عليه، ... فجاء عبد الرحمن ابن عوف وكان متغيباً في بعض حاجته فقال: إن عندي في هذا علماً، سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه** » قال: فحمد الله عمر ثم انصرف » [(١)].

وعلى هذا المنوال سار الخلفاء من بعدهم: عثمان، وعلي، والحسن بن علي، ومعاوية رضي الله عنهم أجمعين [(٢)]، ومَن بعدهم مِن أئمة المسلمين، وعلى هذا المنوال كان الناس في حياتهم وأمورهم الخاصة، مما تعلم منه أن هذا المجتمع كان مجتمعاً حياً متفاعلاً متواداً، قريباً بعضه من بعض .

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون ٥/ ٢١٦٣ - ٢١٦٤، ومسلم في السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة، رقم ٢٢١٩.

(٢) وستأتي بعض النماذج .

وهذه الخصلة العظيمة توارثها المسلمون، وتوارثتها الأجيال من بعدهم، فكانت سمة مميزة للمجتمع المسلم، وكان تفعيلها رمزاً لحياة الأمة وعافيتها، وسبباً في تجنب الكثير من المزالق والمهالك.

ثالثاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهذا المجتمع لم ينزع يداً من طاعة، فإن أعطى العهد لولي الأمر لم يستحلَّ لنفسه أن يخرج عن طاعته [1]، كما جاء فيما بايعوا عليه رسول الله ﷺ، قال: « بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرا بواحاً عندكم من الله فيه برهان » [2].

وليس ما قدموه من توجيه أو تصحيح لولي الأمر مما يدخل في باب المنازعة، بل في باب المناصحة الواجبة عليهم، وتلك المناصحة هي إحدى مميزات مجتمعهم، ودليل من دلائل عافيته، كما قال رسول الله ﷺ: « **الدِّينُ النصيحة** » قلنا لمن ؟ قال: « **لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم** » [3].

ولذلك كانت الرقابة الذاتية لهذا المجتمع عالية، ولكن ربما نقلت هذه

---

(١) وما جاء بخلاف ذلك فليس خروجاً، بل مؤولاً عند أهل الحق .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: سترون بعدي أموراً، ٦/ ٢٥٨٨ -٢٥٨٩ . ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة، الأمراء في غير معصية، رقم ١٧٠٩ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم ٩٥ (شرح النووي ٢/ ٢٢٥) .

السـمة نقـلاً خطـأً أو تُعُمِّـدَ تشـويهُها في النقل ، فيظـن القارئ أنـه مظهر من مظاهـر الخـلاف، والحق أنه كان مظهراً من مظاهر بقاء الأمة وتماسـكها، طالما كان بضوابطه .

ومما سـبق يتبين لنـا مدى ما كان يشـعر بـه أصحاب رسـول الله ﷺ من المسـؤولية عن المجتمع وعـن إخوانهم، ويتضح لنا كيـف كانت رعاية الحاكم لرعيتـه وقربه منهم وعدم تميزه عليهم، وتشـاوره معهم ، وقيـام الرعية بأمانة الرقابة والنصيحة، مما ظهر أثره في بناء الأمة وقوتها وظهورها على غيرها .



المبحث الثاني
ترك العادات ونوازع الأهواء استجابة لله ولرسوله

ونتناوله من خلال السمات الآتية:

١- المسارعة بالطاعة والتعالي على الرغبات .

٢- التواضع وإنكار الذات .

٣- كسر حدة العصبية .

أولاً: المسارعة بالطاعة والتعالي على الرغبات:

إن الناظر في سير مجتمع الصحابة يجده مجتمع طاعة لله ولرسوله ، وأن أصحابه كانوا أسرع استجابة إلى ترك ما اعتادته أنفسهم وجرت به عاداتهم طالما كان في ذلك رضا الله ورسوله ، وأن تلك الطاعة قد شملت شؤون حياتهم العامة والخاصة ، وكانت مظهراً مجلياً لرسوخ الإيمان في قلوبهم، فنجد أنهم عندما خاطبهم الله تعالى بالقطع بتحريم الخمر، امتنعوا عنها وتخلصوا منها ، وقالوا: « انتهينا ربنا انتهينا ربنا » (١) ، ورئيت سكك المدينة وقد أريقت بها تلك الخمور .

وكما استجابوا للأحكام المتعلقة بالحلال والحرام، استجابوا للأحكام المتعلقة بالأخلاق الاجتماعية ، فتساموا على الفوارق وأعراف الجاهلية، وكان اختيار الله ورسوله أحب إليهم من اختيارهم لأنفسهم .

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره، سورة المائدة الآية رقم ٩١ .

ومـن أوضح الصور على تقديم أمر الله ورسـوله على رغبات النفس هذه المـرأة التي تقبل أن تتـزوج صحابياً كان حظه أن يكون فقيراً دميم الخلقة، غير مرغـوب في الـزواج منـه ، فقد قبلته امرأة شـابة لكون رسـول الله ﷺ أرسـله إلى بيتهـم يخطـب إليهـم ابنتهـم، وقالـت لأبويهـا: « أتريـدون أن تـردوا على رسـول الله ﷺ أمـره ؟! إن كان رضي لكـم فأنكحوه. قـال: فكأنها جلت عن أبويهـا، وقالا: صدقتِ، فذهـب أبوها إلى النبي ﷺ فقال: إن كنتَ رضيتَهُ فقد رضيناه » [1] فكان لها من الخير ما كان ، قال أنس بن مالك رضي الله عنه راوي هذا الحديث: « فلقد رأيتها وإنها لمن أنفق بيت في المدينة ».

وتلك فاطمة بنت قيس رضي الله عنها يتقدم لها رجلان من أشراف العرب، وهما معاوية بن أبي سـفيان وأبو الجهم رضي الله عنهما، فجاءت تستشـير النبي ﷺ أيهما تختار، فيشـير إليها النبي ﷺ أن تتزوج أسـامة بن زيد، فكرهت ذلك أولاً ؛ إذ كان رجلاً شديد السواد ومن الموالي [2]، ولكنها تزوجته فقط لإشارة رسول الله ﷺ، إذ قال لها: « **انكحي أسامة بن زيد** ». قالت: فكرهته، ثم قال: « **انكحي أسامة** ». قالت: فنكحته فجعل الله فيه خيراً واغْتَبَطْتُ به [3].

وقد عفا الصحابة عن أسراهم من أهل هوازن، وتنازلوا عن حقهم فيهم عندما عرض عليهم رسول الله ﷺ ذلك ، وذلك حينما جاء وفد قبيلة هوازن

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ١٣٦ ، وقال الهيثمي في المجمع ٩/ ٣٦٨: رواه أحمد والبزار إلا أنه قال: « فكأنما حلت عن أبويها عقالاً ». ورجال أحمد رجال الصحيح .

(٢) ينظر شرح النووي على مسلم ١٠/ ٣٣٧ - ٣٣٨ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها (شرح النووي ١٠/ ٣٣٧ – ٣٣٨) .

إلى رسـول الله ﷺ تائبـين، فكان في ذلك تأليف لقلوبهم، ودعوة لمن لم يسـلم منهم، فقد روى البخاري عن المسـور بـن مخرمة رضي الله عنهما ومروان: « أن النبـي ﷺ حـين جـاءه وفد هوازن قـام في الناس فأثنى على الله بـما هو أهله ثم قال: « **أما بعد، فإن إخوانكم جاؤونا تائبين، وإني رأيت أن أرد إليهم سـبيهم، فمـن أحـب منكم أن يُطَيِّبَ ذلك فليفعل، ومن أحب أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل** » فقال الناس: طيَّبنا لك » [1] . أي أعتقناهم وطبنا بذلك نفساً .

ومـا تحملـوا أن يروا رسـول الله ﷺ أرِقاً، رقة منه ﷺ لما سـمع أنين عمه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، وهو في وثاقه عندما أسر ببدر، فعن ابن عباس ، قال : لمّا أمسى رسول الله ﷺ يوم بدر والأسارى محبوسون بالوثاق، بـات رسـول الله ﷺ سـاهراً أول الليل ، فقـال له أصحابه : يا رسـول الله ما لـك لا تنـام ؟ - وقد أسر العباس رجل من الأنصار - فقال رسـول الله ﷺ : « **سـمعت أنـين عمي العباس في وثاقه** »، فأطلقوه ، فسـكت، فنام رسـول الله ﷺ [2].

وعـن يزيد بـن الأصم أن العبـاس عم رسـول الله ﷺ كان ممن خرج مع المشركـين يـوم بـدر فـأسر فيمـن أسر منهـم، وكانوا قد شـدوا وثاقه، فسـهر النبـي ﷺ تلـك الليلة ولم ينم، فقال له بعض أصحابه: ما أسـهرك يا نبي الله؟

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الهبة، باب من رأى الهبة الغائبة جائزة ٢/ ٩١٣، وفي مواضع أخرى .

(٢) أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ، ١/ ٥٠٥- ٥٠٦، أخبار عبد الله بن عباس، وأبيه العباس. وأخرجه البيهقي في سننه ٢/ ٢٧٧، كتاب السير، باب الأسير يوثق.

فقال: « **أسـهر لأنـين العباس** »، فقام رجل من القـوم فأرخى من وثاقه، فقال رسـول الله ﷺ: « **مالي لا أسـمع أنـين العباس؟** » فقال رجـل: أنا أرخيت من وثاقه. فقال رسول الله ﷺ: « **فافعل ذلك بالأسرى كلهم** »[1].

فهذه الأمثلة وغيرها تدل على تعالي هذا المجتمع على رغبات نفسـه إلى ما يحبه الله ورسوله، وأنه ما كان له ولا يعقل أبداً أن يتحول هذا المجتمع بمجرد وفاة رسول الله ﷺ ، كما توهمه بعض المتوهمين ، وإن سرعة هذه الاستجابة لا تزال مؤثرة فينا حتى الآن وهي تمثل لنا قدوة صالحة .

ثانياً: التواضع وإنكار الذات:

ومن سمات هذا المجتمع أيضاً أنه ترقت أخلاقه فأصبح الفيصل عنده هو

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ، ترجمة العباس بن عبد المطلب. وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ، العباس بن عبد المطلب ١/ ٥١٠ .

بـل إنهـم رجعوا عـن غضبهـم، وتنازلوا عـما يمكن أن يكـون حقاً لهـم، إكراماً لرسـول الله ﷺ، وتجنباً لإيذائه ﷺ في أمر لا يخلو منه الناس، حباً لأهلهم عندما توجـد أسـبابه، فعن ابـن عباس رضي الله عنهـما: « أن رجلاً وقـع في أب كان له في الجاهليـة، فلطمـه العباس، فجاؤوا قومـه فقالوا : ليلطمنه كما لطمه، فلبسـوا السـلاح، فبلـغ ذلك النبي ﷺ فصعد المنبر فقال: « **أيهـا الناس، أي أهل الأرض تعلمـون أكـرم على الله عز وجل؟** » قالوا: أنت، قال: « **فإن العباس مني وأنا منه، لا تسـبوا أمواتنا فتؤذوا أحياءنا** » فجاء القوم فقالوا: يا رسـول الله نعوذ بالله من غضبك، استغفر لنا » . أخرجه النسائي في سننه، كتاب القسامة، القود من اللطمة ٧/ ٨، وهذا لفظه . والحاكم في المستدرك ٣/ ٣٢٩، كتاب معرفة الصحابة، ذكر إسـلام العبـاس . وقـال الذهبي : صحيح. وصحح العراقي إسـناد النسـائي في المغني عن حمل الأسفار- تخريج أحاديث الإحياء ٢/ ٧٨٢ .

الاستقامة، لا المظهر ولا كثرة المال، فكانوا ما استطاعوا أبعد الناس عن الكبر ورؤية حظوظ النفس، فلا يحقر أحدهم أخاه، ولا يستعلي غني على فقير، ولا حاكم على محكوم، ولا قوي على ضعيف، استجابة لقوله ﷺ: « **بحسب امرئ من الإثم أن يحقر أخاه المسلم** » [١].

وقد أوقفهم رسول الله ﷺ على تلك الحقائق في مواقف عدة، فبين لهم أن مقام الإنسان بعمله، وبحسن بلائه في سبيل الله، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « كان رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له: جليبيب، في وجهه دمامة، فعرض عليه رسول الله ﷺ التزويج، قال: إذن تجدني كاسداً. فقال: « **غير أنك عند الله لست بكاسد** » [٢]، وبعد انتهاء غزوة أحد يقول النبي ﷺ: « **هل تفقدون من أحد ؟** ». قالوا: لا. قال ﷺ: « **لكني أفقد جليبيباً فاطلبوه** ». فطلب في القتلى، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، فأتى النبي ﷺ فوقف عليه فقال: « **قتل سبعة ثم قتلوه، هذا منِّي وأنا منه، هذا منِّي وأنا منه** » [٣].

(١) ينظر المجتمع المدني ص ٨٥ . والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره (شرح النووي ١٦/ ٣٣٦-٣٣٧) .

(٢) رواه أبو يعلى في المسند ٦/ ٨٩ ، وقال الهيثمي ٤/ ٢٧٥ : رواه أبو يعلى ورجاله ثقات،وله طرق في المناقب رواها أحمد وغيره.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل جليبيب رضي الله عنه (شرح النووي ١٦/ ٢٤٥).

من مواقف الصحابة:

وقد أثمرت توجيهات الله ورسوله في أنفسهم تواضعاً، وإنكاراً لذاتهم، فما كانوا يستنكفون أن يعملوا تحت إمرة من يختاره رسول الله ﷺ أو خليفته من بعده ، حتى ولو كان أصغر منهم، ولا مانع عندهم أن يعود أحدهم مأموراً بعد أن كان أميراً، وأن يرجع إلى الحق إذا تبين له، هذا كله له من الوقائع الكثيرة ما يدلل عليه.

فنجد أبا بكر الصديق رضي الله عنه يبعثه رسول الله ﷺ أميراً على الحج بالمسلمين في العام التاسع، ثم يرسل رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ ليبلغ للناس سورة براءة في الحج، فيلحق بأبي بكر فيقول له أبو بكر رضي الله عنه: « أمير أم رسول ؟ قال: بل رسول، أرسلني رسول الله ﷺ ببراءة أقرؤها على الناس في مواقف الحج » (١)، فأبو بكر هو الذي يسأل ولو علم أن رسول الله جعله أميراً ، لترك له منصب الإمارة .

وأسامة بن زيد رضي الله عنهما – وهو ابن ثمانية عشر عاماً – يُؤَمِّرُهُ الرسول ﷺ على جيش لغزو الشام وفي الجيش عمر بن الخطاب والكبار من الصحابة، فلم يسر حتى توفي رسول الله ﷺ (٢)، فنجد أبا بكر الصديق وهو الخليفة يمشي إلى أسامة يكلمه أن يترك له عمر لعدم استغنائه عنه،

---

(١) أخرجه النسائي، كتاب مناسك الحج، الخطبة قبل يوم التروية ٥/ ٢٤٧، والدارمي كتاب المناسك ٢/ ١٢١٩، وقال محققه حسين سليم أسد: إسناده صحيح، والبيهقي كتاب الحج، باب الخطب التي يستحب للإمام أن يأتي بها في الحج ٥/ ١١١ .

(٢) ينظر سير أعلام النبلاء ، ترجمة أسامة بن زيد ٢/ ٤٩٧ .

فيأذن أسـامة لعمر . يقول عروة بن الزبير: « فما رئي جيش كان أسـلم من ذلك الجيش » [1].

وفي موقف السـقيفة لاختيار خليفة للمسـلمين بعد رسـول الله ﷺ نجد أبـا بكـر لا يقدم نفسـه، بل يقول للأنصـار وللحاضرين - كـما يرويه عمر بن الخطـاب -: « قد رضيت لكـم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شـئتم، فأخذ بيـدي وبيـد أبي عبيدة بن الجراح » ، يقول عمر: « فلم أكره مما قال غيرها، كان والله أن أُقـدَّم فتـضرب عنقي - لاَ يُقَرِّبُني ذلكَ مِنْ إِثْمٍ - أحبَّ إلي من أن أتأمَّرَ عـلى قـوم فيهم أبو بكر » [2]. ثم تكون الاسـتجابة من الأنصار والمهاجرين في هـذه الجلسـة فيختارونه عن رضـا [3]، فأبو بكر لا يقدم نفسـه وعمر لا ينكر من قوله إلا أنه قدمه للبيعة، والأنصار أسرع اسـتجابة للحق بعدما تبين لهم ، فهـذه هي مواقف الرجال، وهذه هي تربية رسول الله ﷺ ! .

ومن شـواهد هـذا التواضع أيضاً ما كان من عـلي بن أبي طالب رضي الله عنـه إذ يسـأله ابنـه عن خير الناس بعـد أبي بكر وعمر، يقول ابنـه: « قلت: ثم أنت ؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين » [4].

ونجـد سـيدنا سـعيد بـن زيـد يخبر عـن رسـول الله ﷺ بأسـماء العشرة

(١) ينظر الطبقات الكبرى لابن سعد ترجمة أسامة ٤/ ٥٠ .
(٢) أخرجه البخاري كتاب المحاربين، باب رجم الحبلى من الزنا ٦/ ٢٥٠٦.
(٣) سيأتي ص ١٣٠-١٣٣ في مبايعة علي لأبي بكر رضي الله عنهما .
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ : لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر ٣/ ١٣٤٢ .

المبشريـن بالجنـة ، فيخـبر بتسـعة ولا يذكـر نفسـه مـع أنـه منهـم ، فيقـول: « ولو شـئتُ لسـميتُ لكم العاشر » [١]، وفي رواية الترمذي والنسـائي قالوا: « ننشدك الله يا أبا الأعور، من العاشر ؟ قال: نشدتموني بالله ، أبو الأعـور في الجنـة » [٢] . وهو سعيد بن زيد، يعني نفسه .

فـكل هذه أمثلة لمـا كان عليـه الصحابة مـن التواضع وإنـكار الذات، والرجـوع إلى الحـق، ولا شـك أن مجتمعـاً تعالى عـن الكبر ورؤيـة حظوظ النفس يحق له أن يكون مجتمع اسـتقرار وأمن وتواد وتآلف، وأن يكون خير ما نتمثله في حياتنا .

ثالثاً: كسر حدة العصبية:

ومن سـمات هذا المجتمع أنه قد كسرت فيه حدة العصبية القبلية، وتطهر من عصبية الجاهلية، حتى كادت تتلاشى بعد أن كانت مترسخة في نفوسهم ، كل ذلك بتوجيهات كتاب الله وتربية رسول الله ﷺ، المبينة لمنزلة أخوة الإيمان وأن المسلمين نسيج واحد ، وأن الولاء إنما يكون لله ولرسوله ، وما سوى ذلك دعـوى جاهلية منتـة، قد أمروا بتركها كما قال ﷺ: « **ما بـال دعوى الجاهلية** » ثـم قـال لهم: « **دعوها فإنها منتنـة** » [٣]، وقـال في حجة الوداع مبيناً ما أنعم الله

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في الخلفاء ٥/ ٢٠٥ .

(٢) أخرجـه النسـائي في فضائل الصحابة ص ١٠٧ ، والترمذي في سـنن أبواب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف ٦/ ١٠١ .

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب التفسير، سورة المنافقين، باب قوله: (سواء عليهم أستغفرت لهم) ٤/ ١٨٦٢ ، ١٨٦٣ .

بـه عليهم بالإسـلام وشرائعـه: « **إن الله تعالى قد أذهب عنكـم عُبِّيَة الجاهلية ، وفخرهـا بالآبـاء ، إنما هو مؤمن تقي ، أو فاجر شـقي ، النـاس كلهم بنو آدم، وآدم خلـق مـن تـراب ، قـال الله تعـالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ »(١).

ومعنى عُبِّيَة الجاهلية أي: فخرها وتكبرها ونخوتها .

فنجد تلك العصبية قد استبدلت بالولاء لله وللرسول وحلت محلها أخوة الإيـمان، ووُجِّهَت هـذه القبلية التوجيه الصحيح، حتى لم تعـد إلا تنظيماً إدارياً نافعـاً ، قـد تعلقت به بعض الأحـكام الشرعية القليلة التـي مرجعها إلى تنظيم شؤون الحياة والتكافل فيما بينهم ، وأن كل واحد منهم قد حُكِمَ بما حُكِمَ به جميعُ أفراد المسلمين من الطاعة لله ولرسوله ، ومن ثَمَّ الطاعة لولي أمر المسلمين.

ولا شـك أن أعلى صور هذا الولاء وهذه الأخوة كانت في مجتمع المدينة المنورة، على ما فيه من تنوع قبلي، وأفراد من أماكن شتى ، وقد ظل هذا المجتمع قدوة لبقية مجتمعات الصحابة والمسلمين .

يقـول الدكتـور أكـرم ضيـاء العمـري: « وخلاصـة القـول أن المجتمـع المـدني الـذي أقامه الإسـلام كان مجتمعـاً عقديًّـا يرتبط بالإسـلام، ولا يعرف

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسـنده ٢/ ٥٢٣ واللفظ له، وأخرجه أبو داود في سـننه، كتاب الأدب، بـاب في التفاخـر بالأحسـاب ٤/ ٣٣١، والترمـذي في سـننه ، كتاب أبواب تفسـير القرآن ، سورة الحجرات ، والبيهقي في سـننه، كتاب الشهادات، باب شهادة أهل العصبية ٥/ ٧٣٥، ١٠/ ٢٣٢ بلفظ مقارب .

المـوالاة إلا لله ولرسـوله وللمؤمنـين، وهـو أعلى أنـواع الارتبـاط وأرقاها إذ يتصل بوحدة العقيدة والفكر والروح ، فالمؤمنون بعضهم أولياء بعض تتكافأ دماؤهم، ويسـعى بذمتهـم أدناهم، وهم يد على من سـواهم، وهـذا المجتمع مفتوح لمن أراد أن ينتمي إليه مهما كان لونه أو جنسه، على أن ينخلع من صفاته الجاهلية، ويكتسب الشخصية الإسلامية ليتمتع بسائر الحقوق »[١] .

* * *

(١) المجتمع المدني ص ٨٤ .

المبحث الثالث

معالم التكافل بين الصحابة

إن من أبرز المظاهر التي تعبر عن التواد والإخاء بين الصحابة التكافلُ فيما بينهم، والذي يعد سمة من سمات مجتمعهم، ويضع نموذجاً فريداً للوحدة والأخوة الإسلامية .

وليس حديثنا هنا عن الزكاة التي تؤخذ من الأغنياء فترد على الفقراء، ولا عن مَثَلٍ من أعظم أمثلة التكافل في التاريخ، وهو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، التي كان من أعمالها أن المهاجرين ظلوا يشاركون الأنصار ثمارهم حتى فتح الله عليهم خيبر في العام السابع من الهجرة، فأصبح عندهم ما يكفيهم كما جاء في حديث البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « لما فرغ من قتل أهل خيبر- يعني قتالهم - فانصرف إلى المدينة، رد المهاجرون إلى الأنصار منائحهم التي كانوا منحوهم من ثمارهم »[1] .

وليس حديثنا أيضاً عن صدقات عظيمة حصلت منهم عند شدة الحاجة، كما تصدق عمر بن الخطاب بنصف ماله ، وأبو بكر الصديق بماله كله لمّا دعاهم رسول الله ﷺ للصدقة ، فقد روى عمر بن الخطاب قال: « وأتى

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الهبة، باب فضل المنيحة ٢/ ٩٢٦ -٩٢٧ ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد، باب رد المهاجرين إلى الأنصار منائحهم (شرح النووي ١٢/ ٣١٩)

أبـو بكر بكل ما عنده فقال رسـول الله ﷺ: « **يا أبـا بكر ما أبقيت لأهلك ؟** »، قـال: أبقيـت لهم الله ورسـوله »[1] . أو كتجهيز عثمان بـن عفان رضي الله عنه لجيش العسرة بماله، وتكفله فيه بكل شيء حتى خطام الناقة وعقالها[2] .

وحديثنا هنا عن صور أخرى ظلت مستمرة في مجتمعهم ، وعن أنواع من التكافل والبر شاعت في حياتهم .

نتناولها من خلال السمات الآتية:

١ - الهدايا والصلات .

٢- تبادل المنافع فيما بينهم .

٣- الوقف .

٤- إنظار المعسرين .

٥- قضاء الديون .

أولاً: الهدايا والصلات:

يعد التواصل بالهدية سمة من سمات الخير في مجتمع الصحابة رضي الله عنهم، وهو أحد الأسباب المقربة بينهم، فهو من ناحية سبب لتحصيل

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الزكاة، باب الرخصة في ذلك ٢/ ٣٧٩ ، والترمذي في سننه ، في المناقب باب مناقب أبي بكر الصديق ٦/ ٥٢ ، قال هذا حديث حسن صحيح.

(٢) تنظر الرواية في صحيح البخاري ، كتاب الوصايا، باب إذا أوقف أرضاً وبئراً واشترط ٣/ ١٠٢١ وغيره، وسنن النسائي ، كتاب الأحباس ، باب وقف المساجد ٦/ ٢٣٣- ٢٣٦ ، ومسند أحمد ١/ ٧٠ .

التواصل، وإذهاب للحرج عمن يتحرج أن يقبل الصدقة، وهو إذهاب للوحشة بين الشخص وبين من لا يعرفه، ومؤكد للمودة بين المتجاورين والمتخالطين، ومن ناحية أخرى سبب من أسباب تسكين النفس وتهدئة القلب، إن وُجِدَت الشحناء أو حصلت العداوات .

وقد كانت سنة التهادي من السنن التي دلهم رسول الله ﷺ عليها، فقال: « **تهادوا تحابوا** » (١) ، وكان رسول الله ﷺ المثل في ذلك، يقبل الهدية ويثيب عليها، كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: « كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها » (٢) .

فكان الصحابة يُقَدِّمون من الهدية ما يجدون وما يقدرون عليه حتى ولو كان عظماً قليل اللحم، كما قال رسول الله ﷺ للنساء: « **يا نساء المسلمات لا تحقرنَّ جارةٌ لجارتها ولو فِرْسَنَ شاةٍ** » (٣) . والفرسن هو الظلف، وهو عظم قليل اللحم، فلا تمتنع المرأة عن إعطاء الهدية، ولو كانت قليلة، مبالغة

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب قبول الهدية ٢/ ٢٤٠، وأبو يعلى في مسنده ١١/ ٩ ، والبيهقي في سننه، كتاب الهبة، باب التحريض على الهبة والهدية ٦/ ١٦٩، وحسَّن ابن حجر إسناده في بلوغ المرام ص ٢٠٩، وفي التلخيص الحبير كتاب الهبة ٣/ ٦٩-٧٠ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الهبة، باب المكافأة في الهبة ٢/ ٩١٣ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الهبة وفضلها، باب فضلها والتحريض عليها ٢/ ٩٠٧، وغيره ، ومسلم في صحيحه كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بالقليل (شرح النووي ٧/ ١٢١) .

في تحصيل هذه الفضيلة، وخاصة بين الجيران، وتقول السيدة عائشة أيضاً: « يا رسول الله، إن لي جارين فإلى أيهما أهدي ؟ قال:« **إلى أقربهما منك باباً** »[1].

ثانياً: تبادل المنافع فيما بينهم:

وتميز هذا المجتمع بالبساطة، وعدم التكلف، فقد كانوا يتبادلون المنافع والأدوات المعيشية ، كالدواب والثياب، وغيرها .

فأمَّا استعارة الدواب، فقد ورد عن رسول الله ﷺ ، إذ استعار ﷺ فرساً من أبي طلحة الأنصاري [2] .

وكانوا يستعيرون من بعضهم الشياه والنوق ذات اللبن يحلبونها ثم يردونها لأصحابها كما جاء عن رسول الله ﷺ قال: « **نِعمَ المَنيحةُ اللِّقْحَةُ الصفِيُّ مِنْحَةً، وَالشَّاةُ الصَّفيُّ** ... » [3]. واللقحة الصفي: هي الناقة أو الشاة الحلوب ذات اللبن الكثير.

وقد دلهم رسول الله ﷺ على تلك الخصلة خاصة للحاجة إليها وتيسرها للكثير منهم ، وأكدها في جملة من جمل الخير، فقال: « **أَربَعونَ خَصلةً أَعلاهُنَّ**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الشفعة، باب أي الجوار أقرب ٢/ ٧٨٨ ، وكتاب الهبة وفضلها، باب بمن يبدأ الهدية ٢/ ٩١٦ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الهبة وفضلها، باب من استعار من الناس ٢/ ٩٢٦ ، وغيره .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الهبة وفضلها، باب فضل المنيحة ٢/ ٩٢٦ .

مَنِيحَـةُ العَنْزِ ، ما من عامل يَعملُ بِخَصلةٍ منها رجاءَ ثَوابِها وتصديقَ مَوْعُودِها إلا أَدخلـهُ اللهُ بِهـا الجنـةَ » [١] فحرصـوا عـلى هـذا التهـادي وما تيـسر لهم من الصدقات، فكانت وُصْلةً لهم، وطُعْمةً وكفايةً لمن لا يجد منهم .

وأما اسـتعارة الثياب فذاك كما جاء عن السـيدة عائشة وهي تتحدث عن أثـواب لها، مما تعـرف به هذه العـادة الجميلة، قالـت: « كان لي منهن دِرْعٌ على عهد رسـول الله ﷺ فما كانت امرأة تُقَيَّنُ بالمدينة إلا أرسلتْ إليَّ تستعيره » [٢]. والدرع هو القميص، فكانت تستعيره المرأة إذا تزوجت لتدخل به على زوجها، فانظر إلى عادات الخير بينهم.

وكذا عندما أمر النبي ﷺ النساء بحضور صلاة العيد، وبعضهن لا يجدن مـن الثيـاب ما يخرجن بـه، قالت امرأة: « يا رسـول الله: على إحدانا بأس إذا لم يكن لها جلباب أن لا تخرج ؟ فقال « **لِتُلْبِسْـها صاحبتُها مِنْ جلبابها، فَلْيَشْهدْنَ الخيرَ ودعوةَ المؤمنينَ** » [٣] .

وجـاء أيضـاً في حديـث توبة كعب بـن مالك رضي الله عنه، أنه كسـا من جـاء يبـشره بالتوبـة بما عنـده من الثياب، واسـتعار هـو ثياباً مـن جيرانه، قال

(١) السابق ٢/ ٩٢٧ .

(٢) أخرجـه البخـاري ، كتـاب الهبـة وفضلهـا، بـاب الاسـتعارة للعـروس عنـد البنـاء ٢/ ٩٢٦.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب العيدين، باب شهود الحائض العيدين ١/ ٣٣٣ ، وفي مواضع أخرى . ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة العيدين، باب إباحة ذكر خروج النساء في العيدين إلى المصلى (شرح النووي ٦/ ٤٢٠) .

كعب رضي الله عنه: « فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبَيَّ ، فكسوته إياهما ببشراه ، والله ما أملك غيرهما يومئذ ، واستعرتُ ثوبين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ » [1].

ومن الاشتراك في أدوات المعيشة ما يرويه الإمام مسلم عن السيدة أم هشام بنت حارثة بن النعمان الأنصارية رضي الله عنها قالت: « لقد كان تنورنا وتنور رسول الله ﷺ واحداً سنتين أو سنة وبعض سنة » [2]. والتنور: هو الفرن .

ومن المواقف القريبة من ذلك ما تحكيه السيدة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما من حسن جوار الأنصار، وتحننهم على من معهم، وكيف كانوا يساعدونها فيما لا تحسنه، فتقول : « تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه، قالت: فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسوسه وأدق النوى لناضحه وأعلفه وأستقي الماء وأخرز غربه وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز، وكان يخبز لي جارات من الأنصار، وكن نسوة صدق ...» [3].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك ٤/ ١٦٠٧ ، ومسلم، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه (شرح النووي ١٧/ ٩٧).

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (شرح النووي ٦/ ٣٩٩).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب النكاح، باب الغيرة ، برقم (٤٩٢٦)، ومسلم في صحيحه ، كتاب السلام ، باب جواز إرداف المرأة الأجنبية إذا أعيت في الطريق، رقم (٢١٨٢)، ومعنى الناضح هو البعير الذي يحمل عليه الماء للسقيا، ومعنى أخرز غربه أخيط وأصلح دلوه .

وقـد أوضح النبي ﷺ هذه الخصال الحميدة للأنصار فقال ﷺ فيما روته السـيدة عائشـة عنه : « **مـا ضر امرأة نزلت بين بيتين مـن الأنصار أو نزلت بين أبويها** »[1].

فهـذه بعض مظاهر حسـن الجـوار ومظاهـر الصلة والمـودة التي كانت سـائدة بينهم، فليت هذه الخلال الطيبة ، وليت تلك البساطة وهـذه السخاوة في النفوس تعـود وتحيا فينا ثانية.

ثالثاً: الوقف في سبيل الله:

ومـن مظاهـر الصلة تلـك الأوقـاف التـي كانـوا يوقفونها، فقـد أوقفوا الأراضي في سـبيل الله، يهـدى منهـا للأقـارب، ومن ينزل بهم مـن الضيوف ، وللمحتاجين، كما أوقف عمر بن الخطاب، وأبو طلحة الأنصاري وكما أوقف عثمان بن عفان بئر رومة، وكان دلوه فيها كدلاء المسـلمين، وتصدق الزبير بن العوام وغيره بدورهم ، وغير ذلك الكثير؛ كل ذلك طلباً لمرضاة الله عَزَّ وجَلَّ وصلة للرحم، وعوناً للمحتاجين ونُزُلاً للزائرين [2].

أرأيتم مجتمعاً أرقى من مجتمعهم ؟!

---

(١) أخرجه ابن حبان برقم (٢٢٦٩) ، والحاكم، كتاب معرفة الصحابة، ذكر فضيلة أخرى للأوس والخزرج ٣/ ٩٣، وقال صحيح على شرط الشيخين ، وأحمد ٦/ ٢٥٧، وقال الهيثمي ١٠/ ٤٠ : رواه أحمد والبزار ورجالهما رجال الصحيح .

(٢) تنظر الروايات في صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد ولو كانوا مشركين (شرح النووي ٧/ ٨٥)، وكتاب الوصية ، باب الوقـف . (شرح النـووي ١١/ ٨٨) . وصحيـح البخاري، كتـاب الوصايا، باب إذا أوقف أرضاً أو بئراً واشترط ٣/ ١٠٢١ ، وغيره .

رابعاً: إنظار المعسرين:

وكان من هديهم رضي الله عنهم إنظارُ المعسر والوضعُ عنه من الدين؛ رحمة به، وتخفيفاً عنه، وإعانة له على سداده، وليس ذلك من مُطْلَقِ الصدقات العامة التي اعتادوها، ولكنها صدقات وأخلاق فشت بينهم وخاصة فيما بين التجار.

وقد كان رسول الله ﷺ يأمرهم إذا نزلت بمال أحدهم مصيبة بحيث لا يستطيع أن يوفي ما عليه أن يخففوا عنه، كما روي عن جابر بن عبد الله: « أن النبي ﷺ أمر بوضع الجوائح » [1] .

وكان ﷺ يرشدهم إلى الوضع عن المدين إذا أعسر، بحيث يتصالحون عند حلول ميعاد الدين على ما فيه رفق بهذا المعسر، كما رُوِيَ من أمر النبي ﷺ لكعب بن مالك أن يتنازل عن نصف دينه لعدم قدرة المدين على الوفاء به كاملاً ، وذلك فيما رواه البخاري ومسلم: عن عبد الله بن كعب بن مالك قال: « فخرج إليهما [أي النبي ﷺ] حتى كشف سِجْفَ حجرته، فنادى: « **يا كعب** » . قال: لبيك يا رسول الله . قال: « **ضَعْ من دينك هذا** » . وأومأ إليه أي الشطر، قال: لقد فعلت يا رسول الله. قال:« **قم فاقضه** » [2].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب وضع الجوائح (شرح النووي ١٠/ ٤٦٢) .

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المساجد، باب التقاضي والملازمة في المسجد ١/ ١٧٥، وكتاب الخصومات، باب كلام بعض الخصوم في بعض ٢/ ٨٥١ وغيرها، ومسلم كتاب المساقاة، باب استحباب الوضع من الدَّيْن (شرح النووي ١٠/ ٤٦٤) . وسجف الحجرة: هو الستر الذي يوضع على بابها .

فكل هذه مظاهر للمروءة، والتعاون على البر والتقوى، ومواساة المحتاج، والرفق بأصحاب الأعذار، وكلَّما عاش المسلمُ مع سيرة أصحاب رسول الله ﷺ وجدهم على قمة سلم الفضائل، وأيقن أنهم كانوا نعم الأثر لرسول الله ﷺ، وهكذا يجب أن نعرفهم.

خامساً: قضاء الديون:

وقضاء الصحابة بعضهم دين بعض، وعفوهم عن ديون بعض كان حاصلاً بينهم، فقد كانوا يتحملون دين من مات منهم حتى يصلي عليه رسول الله ﷺ، يطلبون بذلك الرحمة لإخوانهم.

فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: أن النبي ﷺ أُتِيَ بجنازة ليصلي عليها فقال: « **هل عليه مِن دَيْن ؟** ». قالوا: لا، فصلى عليه، ثم أُتِيَ بجنازة أخرى فقال: « **هل عليه مِن دَيْن ؟** ». قالوا: نعم، قال: « **صلوا على صاحبكم** ». فقال أبو قتادة: عليَّ دَيْنُهُ يا رسول الله، فصَلَّى عليه »[1]. فكانوا كذلك حتى وسع الله على رسوله، فكان يسد عنهم ويقول: « **أنا أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن تُوفيَ وعليه دَيْنٌ فعليَّ قضاؤه، ومن تَرك مالاً فهو لورثته** »[2].

ومن تلك الشواهد والمواقف: التعاون على سداد دين عظيم كان على الزبير بن العوام رضي الله عنه، فقد ترك الزبير ديناً عليه بلغ ألفي ألف ومائتي ألف (٢٢٠٠٠٠٠).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الكفالة، باب من تكفل عن ميت ٢/ ٨٠٣.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الكفالة، باب الدّيْن ٢/ ٨٠٥، ومسلم في صحيحه، كتاب الفرائض، باب من ترك مالاً فلورثته (شرح النووي ١١/ ٦١).

فقـد عـرض حكيم بن حـزام بـن خويلد وهو ابـن أخي السـيدة خديجة رضي الله عنهـما ، وكان تاجـراً [1] على عبد الله بـن الزبير أن يعينه في قضاء دين أبيه ، وكذلك عرض عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما أن يتنازل عـن حقـه ، وكان لـه عـلى الزبير أربعمائـة ألف، ونجـد معاوية بن أبي سـفيان رضي الله عنهـما وغيره يشـترون من عبد الله بـن الزبير ما بقي من الأرض التي كان يبيعها لقضاء دين أبيه جبراً له وعوناً فيما بعد.

ولنلتقط من رواية البخاري بعض هذه الشـواهد، يقول الزبير بن العوام لابنـه عبـد الله: « إن مـن أكبر همـي لَدَيْنِي، أفَـتَرى يبقي ديننا من مالنا شـيئاً ؟ فقـال: يـا بني بِـعْ ما لنا فاقـض دينـي، وأَوْصَى بالثلـث » ثم يقول لـه الزبير: « يـا بنـي إنْ عجزت عنه في شيء فاسـتعن عليه مولاي . قـال: فوالله ما دريت ما أراد حتى قلت: يا أبت من مولاك ؟ قال: الله، قال: فوالله ما وقعت في كربة مـن دينـه إلا قلت: يا مولى الزبير اقض عنه دينه فيقضيه ... »، « ... قال: فلقي حكيـمُ بـن حزام عبدَ الله بن الزبير فقال: يا ابن أخي كم على أخي من الدين ؟ فكتمه فقال: مائة ألف، فقال حكيم: والله ما أرى أموالكم تسـع لهذه، فقال له عبـد الله: أفرأيتك إن كانـت ألفي ألف ومائتي ألف ؟ قـال: ما أراكم تطيقون هذا، فإن عجزتم عن شيء منه فاستعينوا بي »، ثم دعا عبد الله بن الزبير من كان له دين « فأتاه عبد الله بن جعفر وكان له على الزبير أربعمائة ألف فقال لعبد الله: إن شئتم تركتها لكم، قال عبد الله: لا، قال: فإن شئتم جعلتموها فيما تؤخرون

(١) تنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٤ .

إن أخرتـم، فقـال عبـد الله: لا، قال: فاقطعوا لي قطعة، فقـال عبد الله: لك من ها هنا إلى ها هنا، قال: فباع منها فقضى دينه فأوفاه ... »[1].

وشاهدنا هنا ليس في إكرام الله للزبير بأن أعان بنيه على سداد هذا الدين الكبـير، ولكن في موقف حكيم بن حـزام، وفي موقف عبد الله بن جعفر بن أبي طالـب، ثـم في موقف معاوية بن أبي سـفيان ومن معه؛ حيث اشـتروا ما بقـي مـن الأرض؛ حتى يكـون بيد آل الزبير مـال نقد، إذ لم يبـق معهم مال مـن أثـر هـذا السـداد، وكل ذلك ناطـق بتعاونهـم، وتكاتفهـم، ومروءتهم رضي الله عنهم أجمعين.

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الخمس، باب بركة الغازي في ماله حياً وميتاً... ٣/ ١١٣٧-١١٣٩.

المبحث الرابع
مجالس الصحابة ولقاءاتهم وتزاورهم

إنَّ مـن مظاهر التواصل بين الناس كثـرة اجتماعاتهم ولقاءاتهم، والتزاور فيـما بينهـم ، وقد كان ذلـك واضحاً جليـاً في حياة أصحاب رسـول الله ﷺ ، فمجالسـهم عامرة بإكرام الزائرين، و بالتعليم والتعليم والتذاكر والتشاور، والسمر بما يرضي الله عَزَّ وجَلَّ .

ونتناول هذا المبحث من خلال سمتين:

١- التواصل من خلال المجالس واللقاءات .

٢- التواصل من خلال التزاور .

أولاً: التواصل من خلال المجالس واللقاءات .

إذا ذكرت اللقاءات والمجالس عند المسـلمين الأوائل، فأول ما يذكر من ذلك المسـاجد، وقد كان مسـجد رسـول الله ﷺ مجمع الناس في يوم الجمعة، وعنـد مهـمات الأمـور، ومجمـع الكثـير منهـم في الصلـوات الخمـس خلـف رسـول الله ﷺ وخلـف خلفائـه من بعـده [١]، فكان محل صلواتهـم ، ومجلس

---

(١) وقـد كان في المدينـة عـلى عهد النبي ﷺ تسـعة مسـاجد كما روى الدارقطني في سـننه (كتاب الجنائز ، باب تكرار المسـاجد) عن بكير بن الأشـج أنه: « كان بالمدينة تسـعة مسـاجد مع مسـجد رسول الله ﷺ يسـمع أهلها تأذين بلال على عهد رسول الله ﷺ فيصلون في مساجدهم، أقربها مسجد بني عمرو بن مبذول من بني النجار، ومسجد بني سـاعدة، ومسـجد بني عبيد، ومسـجد بني سـلمة، ومسـجد بني راتج من بني عبد الأشـهل، ومسـجد بني زريق، ومسـجد بني غفار، ومسـجد أسـلم، ومسـجد جهينة، ويشك في التاسع).

تعلمهم، ومنتدى تشاورهم، ومجمع الكثير من أمورهم، كافياً لأن يكون سبباً للتواصل بينهم .

وقد كانت لأصحاب رسول الله ﷺ بالمدينة مجالس عدة ، فكانت مجالسهم عامة حول رسول الله ﷺ في المسجد، وهناك مجالس القراء وأهل الصفة، ومجالس الأنصار ، ومجلس المهاجرين .

وقد كانت مجالسهم في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته مجالس مؤانسة ، ومدارسةٍ لكتاب الله تعالى، وذكرٍ للآخرة ولعجائب خلق الله، ولسنن رسول الله ﷺ وآدابه وأيامه ، وأيام الجاهلية وما أنعم الله به عليهم من الإسلام.

فعن سماك بن حرب ، قال: قلت لجابر بن سمرة: « أكنت تجالس النبي ﷺ ؟ قال: نعم ، وكان أصحابه يجلسون فيتناشدون الشعر ، ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ، فيضحكون ، ويتبسم معهم إذا ضحكوا ، يعني النبي ﷺ » (١) .

وأما مجالس الذكر والتذكر، فمنها ما رواه عبد الرحمن بن سابط، قال: « كان عبدالله بن رواحة يأخذ بيد النفر من أصحابه فيقول: تعالوا نؤمن ساعة، تعالوا فلنذكر الله ونزدد إيماناً ، تعالوا نذكره بطاعته لعله يذكرنا بمغفرته » (٢).

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ، كتاب الشهادات، باب شهادة الشعراء ١٠/ ٢٤٠، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح، ولم يذكر إنشاد الشعر (شرح النووي ٥/ ١٧٥) .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الإيمان والرؤيا ١٥/ ٦٢٣ .

وكذلـك كانوا بعد وفاة رسـول الله ﷺ، فقـد كان عمر بن الخطاب يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه فيتذاكرون [١] ، وكذلك كان يفعل معاذ بن جبـل وغـيره ، فعن الأسـود بن هلال المحـاربي قال: « قال لي معـاذ اجلس بنا نؤمن ساعة – يعني نذكر الله » [٢] .

وكانوا يتذاكرون فيها الأحكام والسـنن والشعر والحكمة، ويحضر معهم التابعـون فيتعلمون منهم، فعن محمد بن عمرو العامري قال: « كنت في مجلس من أصحاب رسـول الله ﷺ فتذاكروا صلاة رسـول الله ﷺ... الحديث » [٣]، ويـروي أحـد التابعين وهـو أبو خالـد الوالبي قـال: « كنا نجالـس أصحاب رسول الله ﷺ فيتناشدون الأشعار ويتذاكرون أيامهم في الجاهلية » [٤] .

فهكذا كانت مجالسهم، وهكذا كانت مؤانساتهم .

مجلس المهاجرين:

كان للمهاجرين مجلس بمسجد رسول الله ﷺ بين القبر والمنبر، يلتقون عنـده، ويتشـاورون [٥] فيه في أمورهم وأمور المسـلمين ، وهذا المجلس هو

---

(١) ينظر مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الإيمان والرؤيا ١٥/ ٦٠٣ .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الزهد، كلام معاذ بن جبل ١٩/ ٢١٧ ، وعلقه البخاري في صحيحه بصيغة الجزم، كتاب الإيمان ، باب رقم ١ .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الصلاة ، باب افتتاح الصلاة ١/ ٤٨٦ .

(٤) أخرجـه البيهقـي في السـنن الكـبرى ، كتـاب الشـهادات، بـاب شـهادة الشـعراء ١٠/ ٢٤٠ .

(٥) سـبق الكلام في المبحث الأول من هذا الفصل عن تشـاور الصحابة ، وسـيأتي طرف منه في الفصل الثالث .

الـذي أعلـن فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه زواجه من السـيدة أم كلثوم بنت علي رضي الله عنهما .

فعـن أبي جعفـر محمـد بن علي بن الحسـين رضي الله عنهـم: « أن عمر بن الخطـاب خطـب إلى علي بـن أبي طالب ابنتـه أم كلثوم فقال عليٌّ: إنما حبسـت بنـاتي على بني جعفر، فقال عمر: أنكحنيها يـا علي، فوالله ما على ظهر الأرض رجـل يرصد من حسـن صحابتها ما أرصد، فقال عـلي: قد فعلت، فجاء عمر إلى مجلس المهاجرين بين القبر والمنبر- وكانوا يجلسون ثمَّ ، علي وعثمان والزبير وطلحـة وعبد الرحمن بن عوف، فإذا كان الشيءُ يأتي عمرَ من الآفاق، جاءهم فأخبرهـم ذلك واستشـارهم فيه - فجاء عمـر فقال: رفئوني فرفـؤوه وقالوا: بمـن يا أمـير المؤمنين ؟ قال: بابنة عـلي بن أبي طالـب، ثم أنشـأ يخبرهم، فقال: إن النبي ﷺ قال: « **كل نسـب وسـبب منقطع يوم القيامة إلا نسـبي وسببي** »، وكنت قد صحبته فأحببت أن يكون هذا أيضاً »[(١)] .

فهـذا هـو مجلـس المهاجريـن الـذي كانـوا يجتمعـون فيـه ، ويتواصلـون ويتشاورون، ويتبادلون فيه الحديث عن شؤونهم .

مجالس الأنصار:

وأمـا مجالس الأنصار، فكانت كثيرة ، وأهمها سـقيفة بني سـاعدة، بل إنه إذا ذكرت السقائف وجواز الاجتماع في المجالس ذكر الفقهاء والمحدثون تلك السـقيفة، كـما بوب البخـاري: « باب ماجاء في السـقائف، وجلـس النبي ﷺ

---

(١) أخرجه ابن سـعد في الطبقات الكبرى ٨/ ٣٣٨ ، وسـعيد بن منصور في سـننه ، باب النظر إلى المرأة إذا أراد أن يتزوجها ١/ ١٤٦ - ١٤٧ .

وأصحابه في سقيفة بني ساعدة » [1]، ويذكرون تحتها قصة اجتماع الصحابة فيها لاختيار خليفة المسلمين بعد رسول الله ﷺ .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: « وسقيفة بني ساعدة كانوا يجتمعون فيها، وكانت مشتركة بينهم ، وجلس النبي ﷺ معهم فيها عندهم ». وقال بعده في التعليق على إيراد البخاري لحديث السقيفة: « والغرض منه أن الصحابة استمروا على الجلوس في السقيفة المذكورة » [2].

وكانت للأنصار أفنية ومجالس في الطرقات يتحدثون فيها ويتسامرون ، وتقضى فيها مصالحهم ، وهي التي نهاهم الرسول ﷺ عن الجلوس فيها أول الأمر مخافة ألا يقوموا بحقها، فاعتذروا لرسول الله ﷺ بحاجتهم إليها، وأن فيها مصالحهم ، وأنهم لا يذكرون فيها إلا مالا بأس به، فأباحها لهم ودلهم على آدابها، كما جاء في أحاديث عدة .

فعن أبي طلحة الأنصاري قال: « كنا قعوداً بالأفنية نتحدث ، فجاء رسول الله ﷺ ، فقام علينا ، فقال: « **ما لكم ولمجالس الصعدات ؟ اجتنبوا مجالس الصعدات** » ، فقلنا: إنما قعدنا لغير ما بأس ، قعدنا نتذاكر ، ونتحدث، قال: « **إما لا ، فأدوا حقها: غض البصر ، ورد السلام ، وحسن الكلام** ». وفي رواية أخرى قال: « **غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر** » [3].

---

(١) فتح الباري، كتاب المظالم ، باب ما جاء في السقائف ٥/ ١٣٠ .

(٢) فتح الباري، كتاب المظالم ، باب ما جاء في السقائف ٥/ ١٣١ .

(٣) أخرجهما مسلم في صحيحه، كتاب السلام ، باب من حق الجلوس على الطريق رد السلام (شرح النووي ١٤/ ٣٦٦ – ٣٦٧) .

ومجالس الأنصار هذه مجالس ذكر للسنن وأخبار رسول الله ﷺ، فعن طارق بن عبد الرحمن القرشي قال: « جاء رافع بن رفاعة إلى مجلس الأنصار فقال: لقد نهانا نبي الله ﷺ اليوم فذكر أشياء، ونهانا عن كسب الأمة إلا ما عملت بيدها. وقال هكذا بأصابعه نحو الخبز والغزل والنفش » (١) .

وأمَّا ذكر أيام رسول الله ﷺ، ومودته للأنصار وما كان يخصهم به، فذلك كما رواه أنس بن مالك في مرض النبي ﷺ الذي توفي فيه، قال: « مر أبو بكر والعباس رضي الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون، فقال: ما يبكيكم ؟ قالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا، فدخل على النبي ﷺ فأخبره بذلك، قال: فخرج النبي ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية برد، قال: فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: « **أوصيكم بالأنصار فإنهم كَرِشِي وعَيْبَتي، وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم** » (٢) . قال الراوي: « فكان آخر مجلس جلس به النبي ﷺ » (٣) .

وهذه المجالس العامرة بالعلم هي التي فزع إليها أبو موسى الأشعري في خلافة عمر بن الخطاب يطلب منهم شاهداً لما سمعه من رسول الله ﷺ: « **إذا**

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الإجارة، باب كسب الإماء ٦/ ١٢٦ . والمراد بكسب الأمة المنهي عنه: هو ما تحصله من الزنا والفاحشة، فحرم هذا وأباح الكسب الحلال.

(٢) صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: « اقبلوا من محسنهم » ٣/ ١٣٨٣ . والمراد بقوله ﷺ: « **كَرِشِي وعَيْبَتي** »: جماعتي وخاصتي الذين أثق بهم وأعتمد عليهم في أموري .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الفضائل، باب علامات النبوة في الإسلام ٣/ ١٣٢٧ – ١٣٢٨ .

استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع » ، فعند البخاري قال: « فانطلق إلى مجلس الأنصار فسألهم فقالوا: لا يشهد على هذا إلا أصغرنا أبو سعيد الخدري، فذهب بأبي سعيد الخدري » [1].

ومما كان يدور في هذه المجالس الطيبة من الخير، تذاكر ما منَّ الله به عليهم، وافتخارهم بمناقب السابقين منهم ، لا بأمور الجاهلية، كما كان بين الأوس والخزرج، فعن أنس ، قال: « افتخر الحيان من الأنصار: الأوس والخزرج، فقالت الأوس: منا غسيل الملائكة حنظلة بن الراهب ، ومنا من اهتز له عرش الرحمن سعد بن معاذ ، ومنا من حمته الدَّبْر [2]، عاصم بن ثابت ابن أبي الأقلح ، ومنا من أجيزت شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت ، وقالت الخزرجيون: منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ لم يجمعه غيرهم: زيد بن ثابت، وأبو زيد، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل » [3] .

فهذه نماذج من مجالس الأنصار رضي الله عنهم .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب البيوع، باب الخروج في التجارة ٢/ ٧٢٧ .

(٢) والدبر بفتح المهملة وسكون الموحدة: الزنابير ، وقيل: ذكور النحل . فتح الباري كتاب المغازي ٧/ ٤٤٤ . وهي ظلة حمت عاصم بن ثابت من المشركين لما قتلوه فلم يقدروا على أخذه والتمثيل به .

(٣) رواه أبو يعلى في مسند ٥/ ٣٢٩ . وقال الهيثمي: « رواه أبو يعلى والبزار والطبراني ورجالهم رجال الصحيح ». وقال البوصيري في الإتحاف (٧/ ٣٢٦): « رواه أبو يعلى الموصلي والبزار والطبراني في الكبير بإسناد حسن وهو في الصحيح باختصار ».

مجلس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

إذا كان بذكر مجالس الشورى تذكر مجالس عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبذكر مجالس القرآن تذكر مجالس عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فإنه بذكر مجالس القرآن والفقه والعربية تذكر مجالس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فقد كانت مجالسه العلمية من أوسع المجالس، وأكثرها تنوعاً، وذلك ببركة دعاء النبي ﷺ له، كما سيأتي .

فقد أخرج البغوي في معجمه من طريق عبد الجبار بن الورد عن عطاء: « ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس أكثرَ فقهاً، وأعظم خشية، إن أصحاب الفقه عنده، وأصحاب القرآن عنده، وأصحاب الشعر عنده، يُصْدِرُهُم كلَّهُم من وادٍ واسعٍ »(1).

فهكذا كانت مجالس أصحاب رسول الله ﷺ مجالس ذكر وخشية لله تعالى، ومعاهد علم وتعليم ، ومؤانسة، وهي مجالس توارثتها الأجيال من بعدهم ، ولا شك أنها مظهر من مظاهر التقارب بينهم ، وتعكس ما كان عليه مجتمعهم من الأخوة والمودة وسلامة الصدور .

ثانياً: التواصل من خلال التزاور :

وأما تزاورهم فكثير، خاصة إذا دعت حاجة من مرض أو زواج أو غيره، وقد كان رسول الله ﷺ في كل ذلك هو المعلم لهم، فقد كان يزور القريب والبعيد، والغني والفقير، يجبر خاطرهم ويدخل بذلك السرور عليهم، بل

---

(1) الإصابة، ترجمة ابن عباس ٤/ ١٢٧ - ١٢٨ ، وأخرجه الفسوي بلفظ قريب ١/ ٥١٢، وابن سعد في الطبقات ٢/ ٢٨١ بنحوه مطولاً .

يأخذ أصحابه لزيارتهم، كما كان يزور أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث ويقول لأصحابه: « **انطلقوا نزور الشهيدة** » (١).

ونجد أبا بكر الصديق يأخذ عمر لمثل هذا، فعن أنس بن مالك قال: « قال أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما انتهينا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله ﷺ. فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء. فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها » (٢).

وقد كان الصحابة يعيشون عيشة يسر وسماحة، سماحة الإيمان وسماحة الأخلاق العربية التي مدحها وزكاها الإسلام، فيروي البخاري عن سهل ابن سعد رضي الله عنه أنه قال: « إنا كنا نفرح بيوم الجمعة، كانت لنا عجوز

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، كتاب الصلاة، باب إمامة المرأة النساء ٣/ ٨٩، وأحمد ٦/ ٤٠٥، والطبراني في الكبير ٢٥/ ١٣٤، والبيهقي في سننه، كتاب الصلاة، باب إثبات إمامة المرأة ٣/ ١٣٠. وقد رزقها الله الشهادة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما في الروايات المذكورة.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أم أيمن (شرح النووي ١٦/ ٢٢٨). يقول الإمام النووي بياناً لما في هذا الحديث من الفوائد، « فيه زيارة الصالحين وفضلها، وزيارة الصالح لمن هو دونه، وزيارة الإنسان لمن كان صديقه يزوره، ولأهل ود صديقه، وزيارة جماعة من الرجال للمرأة الصالحة، وسماع كلامها، واستصحاب العالم والكبير صاحبا له في الزيارة، والعيادة، ونحوهما. والبكاء حزنا على فراق الصالحين والأصحاب، وإن كانوا قد انتقلوا إلى أفضل مما كانوا عليه. والله أعلم ».

تأخذ من أصول سَلْقٍ لنا كنا نغرسه في أربعائنا فتجعله في قِدْر لها، فتجعل فيه حبات من شعير... ليس فيه شحمٌ ولا وَدَكٌ، فإذا صلينا الجمعة زرناها فقربته إلينا، فكنا نفرح بيوم الجمعة من أجل ذلك ...» [1]. والأربعاء جمع ربيع، وهو النهر الصغير، والمقصود بها مجاري الماء. والوَدَك دَسَم اللحم ودهنه [2].

ونجد مشهداً آخر يدل على البساطة وعدم التكلف، وعلى التعلق بمعرفة ما كان يحبه المصطفى ﷺ، وذلك في قصة زيارة الحسن بن علي وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم أجمعين لعجوز كانت تصنع طعاماً لرسول الله ﷺ، فعن عبيد الله بن علي، عن جدته سلمى امرأة أبي رافع « أن الحسن بن علي، وابن عباس، وابن جعفر أتوها فقالوا لها: اصنعي لنا طعاماً مما كان يعجب رسول الله ﷺ ويحسن أكله . فقالت: يا بني لا تشتهيه اليوم، قال: بلى، اصنعيه لنا . قال: فقامت فأخذت من شعير فطحنته، ثم جعلته في قدر، وصبت عليه شيئاً من زيت ودقت الفلفل والتوابل فقربته إليهم، فقالت: « هذا مما كان يعجب رسول الله ﷺ ويحسن أكله » [3].

فهذه سنة فاضلة من سنن الاجتماع في الإسلام، يظهر فيها تفقد المسلمين

---

(١) صحيح البخاري كتاب المزارعة، باب ما جاء في الغرس ٢/ ٨٢٧، وكتاب الجمعة، باب قوله تعالى: (فإذا قضيت الصلاة) ١/ ٣١٧، وكتاب الأطعمة، باب السلق والشعير ٥/ ٢٠٦٤ .

(٢) ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (ربع) ومادة (ودك) .

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٤/ ٢٩٩، والترمذي في الشمائل ص ١٥٠. وقال البوصيري في إتحاف الخيرة ٤/ ٢٩٨: رواه الطبراني بإسناد جيد. وقال الهيثمي (١٠/ ٢٤٧): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير فائد مولى ابن أبي رافع وهو ثقة.

بعضهم لبعض حتى للنساء، والقيام بحقوق الأخوة مضبوطاً بآدابه، وذهاب الفوارق بينهم، وفيها أيضاً التماسهم لما كان يحبه رسول الله ﷺ ، وبهذا يجب أن نعرفهم ، وفي هذا يجب أن نقتدي بهم .

وبعـــد، فلعلنا نكون قد وقفنا على بعض سمات ومظاهر التواد بين أصحاب رسول الله ﷺ ، وتبين كيف كان يعج مجتمعهم بمظاهر المروءة والأخوة في الله ! وأنه مَثَّل أعلى صور الخيرية، سواء كان في عهد النبوة أو عهد الخلافة الراشدة، أو في أفراده بعد ذلك ، بإيمانه وتآزره ، وعاداته الطيبة، وبساطته وعدم تكلفه، وأمره بالمعروف في كل صوره، ونهيه عن المنكر ، فكان مثلاً ومصداقاً لقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (١) .

كلمة لابد منها:

وعلى كل هذا التفاعل وهذا الخير وتلك الفضائل الشائعة بينهم، فإنه من الخطأ أن نتصور أن مجتمعهم لم تمر به هزات، أو لم تزلزله فتن ، أو لم تقع فيه أخطاء، سواء كان في عهد الرسول ﷺ أم بعده ؛ فالقرآن حكى عن غزوة أحد وغزوة حنين، وكيف عفا الله عنهم، وحكى عن حادثة الإفك، وقد تكلم فيها البعض بالظنّ، وكيف عاتبهم القرآن وحذرهم أن يعودوا لمثله، ولكن من الخطأ أيضاً ألا نعلم أنهم كانوا رجاعين إلى الحق ، وأنهم أسرع الناس إلى تقويم أنفسهم؛ لأن مقصودهم هو الحق، وتلك من مظاهر عافيتهم وتميزهم .

---

(١) سورة آل عمران ، من الآية ١١٠ .

ثم أقول لمن تشوهت عنده الصورة فغمس نفسه في بعض الخلافات التي جرت بين بعض الصحابة، والتي لم تدم طويلاً ، بل لا تكاد تذكر إن قسناها بما قدمـوه وبذلوه،والتي نُقِلَ الكثير منها نقلاً خطـأً، والتي مبناها في الأصل على حرص الجميع على طلب الحق حسبما ظهر له.

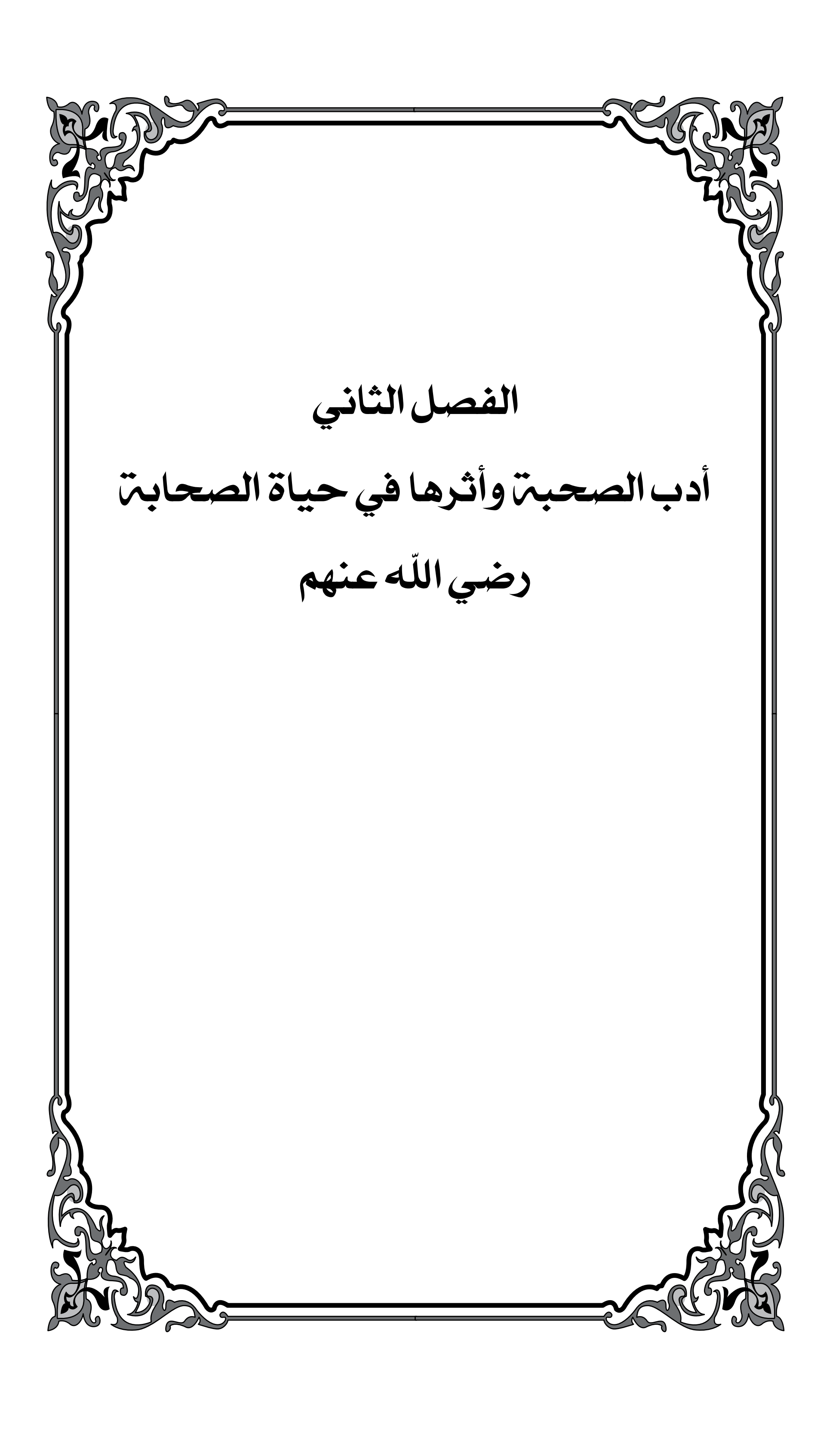
أقـول لـه: إنك قـد حرمت نفسـك من رؤية مـا تمتع به هـذا المجتمع من مظاهـر حياتهـم الحقيقية؛ مـن التراحم ، ودفـع الخلاف ما اسـتطاعوا ، وذب أحدهم عن الآخر، وذكره بالخير، والرعاية المادية والصلات وسد الحاجات، وحفظ المعروف، وإنزال الناس منازلهم، والتزاوج والتصاهر بينهم.

وأقول أيضاً: إنك حرمت نفسك من رؤيـة هـذا الخير السابق الذي قلما يتكـرر بهـذا الوضوح وهذا الكـمال في مجتمع غير مجتمعهم ، وحرمت نفسـك من رؤية المسـاجد العامرة، والليل المملوء بالسـجدات والدعوات، وارتباط المجتمع: أفراده وحكومته، وتوجهه بكتاب الله عَزَّ وجَلَّ، وغفلت عن العطاء العلمي وحركته الدائمة، ومجالس طلبه، ومجالس القضاء التي ترد فيها الحقوق إلى أهلها، ومجالس الشورى ، ونظم الإدارة التي وضعوها، وتوزيع السلطات والأعـمال ، واسـتمرار الدعوة إلى الله عَـزَّ وجَلَّ، ودخول مئـات الآلاف على أيديهم في دين الله عَزَّ وجَلَّ. هذه المظاهر كانت واضحة فيهم ،لم تنقطع عنهم، ومـن الخطـأ أن نحصر النظـرة في مظاهر الخـلاف، ونغفل عـن أدب الخلاف الذي مثلوه في حياتهم .

وإني لأُذكِّرُ من يحلو لهم انتقاد الصحابة، رضوان الله عليهم، والانتقاص مـن حقهم أن يتقـوا الله، وأن يكون لهم فيـما ذكرنا تنبيه وتذكـرة، وأن يعلموا أن مجتمع الصحابة في أشـد حالاته لا يجرؤ مجتمعنا الذي نعيش فيه في أحسـن حالاته، أن يقف في مصاف المقارنة معه .

والآن ننتقـل إلى فصل آخر من شـواهـد هـذه المودة والأخـوة فيما بينهم رضي الله عنهم .

❋ ❋ ❋



الفصل الثاني

أدب الصحبة وأثرها في حياة الصحابة

رضي اللّه عنهم

الفصل الثاني
أدب الصحبة وأثرها في حياة الصحابة
رضي الله عنهم

قد كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أعرف الناس بأقدار بعض، وأعرفهم بحقوق الأخوة، ومنزلة صحبة رسول الله ﷺ، يعرفون جهاد أصحابهم مع رسول الله، بالأموال والأنفس، ويعرفون لأهل السبق سبقهم، ولأهل القرب من رسول الله ﷺ قربهم، فينزل بعضهم بعضاً منزلته.

وقد كان يحصل بين الصحابة ما يحصل بين الإخوة من مشادة أو اختلاف، ولا يحملهم ذلك على الطعن في بعضهم، ويترافعون إلى رسول الله ﷺ وإلى خلفائه من بعده في بعض القضايا – وإن كانت على قلة – ولا يجدون في ذلك حرجاً، ويُغْضِبُ أحدهم أخاه، فيسارع في استرضائه.

ونجد الصحابة أنفسهم يوضحون لمن جاء بعدهم بعض المواقف التي ربما فهمها البعض خطأً، ويدافعون عن أصحابهم، وينشرون فضائلهم، ويعلمون التابعين منهج التحري والتثبت في الأخبار، وكيف يكون أدب المسلم مع أخيه؛ خاصة مع صحابة رسول الله ﷺ.

وعلى هذا المنوال سار كبار التابعين وعلماء أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين من بعدهم، فكانوا كثيراً ما يحدثون بفضائلهم من هذا الباب، وعلى حسب حاجة الناس؛ حتى يترسخ عند الناس فضلهم، وتندفع عنهم الشبه التي يثيرها الجاهلون حولهم، فقد روي عن سفيان الثوري رحمه الله ورضي عنه – وهو فقيه أهل العراق ومحدثها – روي عنه قوله:

« إذا كنت في الشـام فحدث بفضائل علي، وإذا كنت بالكوفة فحدث بفضائل عثمان »[1] ، وعن عمرو بن حسـان قال: « كان سـفيان نعم المداوي، إذا دخل البصرة حدث بفضائل عليٍّ ، وإذا دخل الكوفة حدث بفضائل عثمان »[2].

وعـن عثمان بن صالح السـهمي قـال: « كان أهل مـصر ينتقصون عثمان حتى نشأ فيهم الليث بن سعد، فحدثهم بفضائل عثمان فكفوا عن ذلك، وكان أهل حمص ينتقصون علياً حتى نشأ فيهم إسماعيل بن عياش فحدثهم بفضائله فكفوا عن ذلك »[3].

ونحـن نورد هنا إن شـاء الله تعـالى طرفاً من مواقـف بعضهم من بعض، وتعظيمهـم لحق الصحبة لرسـول الله ﷺ ، ودفـاع بعضهم عن بعض، وكيف كان يسترضي بعضهم بعضاً، وكيف كانوا يفسرون للناس وللسائلين المواقف عـلى وجهها الصحيح. مما يبين لك بعـض آدابهم وأخوتهم وتوادهم رضي الله عنهم، وحفظهم للحقوق وإن اختلفوا .

وسأعرض ذلك إن شاء الله من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: تعظيم الصحابة لحق الصحبة .

المبحث الثاني: من أدب الصحابة مع الاختلاف في الاجتهاد .

المبحث الثالث: من أدب الصحابة في دفاع بعضهم عن بعض .

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي والسامع، إملاء فضائل الصحابة ٢/ ١١٩ .

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي، ترجمة سفيان الثوري ١٠/ ٢٣٧ .

(٣) تاريخ بغداد في ترجمة الليث بن سـعد ١٣/ ٧ ، وتاريخ دمشـق ٥٠/ ٣٦٦ ، رواية عن الخطيب البغدادي .

المبحث الأول

تعظيم الصحابة لحق الصحبة

وسوف نتناوله من خلال النقاط الآتية:

١ - تعظيم الصحابة لمقام صحبة رسول الله ﷺ .

٢ - أدب الصحابة في استرضاء بعضهم لبعض وخوف بعضهم على بعض .

أولاً: تعظيم الصحابة لمقام صحبة رسول الله ﷺ :

لقد فهم الصحابة مقام صحبة رسول الله ﷺ ومنزلتها، وظهر ذلك في تعظيم أحدهم للآخر ومعرفة قدره ومنزلته ، وهذه مواقف كثيرة للصحابة رضي الله عنهم تبين وتظهر ذلك .

فهذا أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يذب عن معاوية رضي الله عنه، وينهى عن تناوله بسوء ، ويروي عن عمر بن الخطاب تفرقته بين من صحب رسول الله ﷺ ومن لم يصحبه ، ومراعاته لذمة صحبة رسول الله ﷺ وإنْ قَصُرَتْ؛ حيث توقف عمر بن الخطاب عن معاتبة رجل من الأعراب فضلاً عن معاقبته لكونه علم أنه لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: وقد كان تعظيم الصحابة ولو كان اجتماعهم به ﷺ قليلاً مقرراً ، ومن ذلك ما قرأت في كتاب أخبار الخوارج

تأليف محمد بن قدامة المروزي... عن نبيح يعني العنزي عن أبي سعيد الخدري: « كنا عنده وهو متكئ، فذكرنا علياً ومعاوية، فتناول رجل معاوية، فاستوى أبو سعيد الخدري جالساً ثم قال: كنا ننزل رفاقاً مع رسول الله ﷺ، فكنا في رُفْقَةٍ فيها أبو بكر، فنزلنا على أهل أبيات فيهم امرأة حُبْلى، ومعنا رجل من أهل البادية، فقال للمرأة: أيسرك أن تلدي غلاما؟ قالت: نعم. قال: إن أعطيتِنِي شاةً ولدْتِ غلاماً، فأعطته، فسجع لها أسجاعاً، ثم عَمِدَ إلى الشاة فذبحها وطبخها، وجلسنا نأكل منها ومعنا أبو بكر، فلما علم بالقصة قام فتقيأ كلَّ شيءٍ أَكَلَ ، قال: ثم رأيت ذلك الرجلَ البدويَّ أُتِيَ به عمر بن الخطاب وقد هجا الأنصار ، فقال لهم عمرُ: **لولا أن له صحبة من رسول الله ﷺ ما أدري ما نال فيها، ولكن له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم** » [1].

فانظر تعظيمهم لحق الصحبة ولو كانت قليلة، واستشهاد أبي سعيد الخدري بذلك على وجوب الأدب مع كل من صحب النبي ﷺ ، ورعاية حرمة رسول الله ﷺ فيهم، يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني تعليقاً على هذا الموقف: « وفي ذلك أبين شاهد على أنهم كانوا يعتقدون أن شأن الصحبة لا يعدله شيء » [2].

ومن شواهد تعظيمهم لحق الصحبة، تقديرهم لكل من صحب النبي ﷺ، وأنهم ببركة الصحبة كانوا خلاصة الناس، فقد جاء على لسان أحد

(١) الإصابة ١/ ١٦٤ ، والحديث أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٩/ ٢٠٥ ، وقال الحافظ ابن حجر: ورجال هذا الحديث ثقات .

(٢) الإصابة ١/ ١٦٥ .

أصحـاب رسـول الله ﷺ، وهو عائذ بن عمـرو رضي الله عنه رداً على عبيد الله ابن زياد – وكان أميراً ظالماً [١]– بعد أن وعظه ونصحه في تشديده على رعيته، وعدم رفقه بهم، فقال له: « أَيْ بني إني سـمعت رسـول الله ﷺ يقول: « **إن شرَّ الرِّعاءِ الحُطَمَةُ** [٢] »، فإياك أن تكون منهم » . فأسـاء عبيد الله الرد عليه، فقال له: « اجلس فإنما أنت من نُخالةِ أصحاب محمدٍ » . يعني: لست من فضلائهم وعلمائهـم وأهل المراتب منهم، بل من سـقطهم. فرد عليـه الصحابي رداً بليغاً فقال: « **وهل كانت لهم نخالة ؟ إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم** » وذلك كما رواه الإمام مسلم [٣].

يقـول الإمـام النووي رحمـه الله تعليقاً على رد الصحـابي: « هذا من جزل الـكلام وفصيحـه وصدقـه الذي ينقاد له كل مسـلم، فـإن الصحابة رضي الله عنهـم كلهم هم صفـوة الناس وسـادات الأمة، وأفضل ممـن بعدهم، وكلهم عـدول قدوة، لا نُخالة فيهـم، وإنما جاء التخليط ممن بعدهـم، وفيمن بعدهم كانت النخالة » [٤] !!

ومن تعظيم حق الصحبة ومكانتها ما جاء عن سـيدنا عبد الله بن مسـعود

---

(١) ولذلك قال له عبد الله بن مغفل رضي الله عنه عندما جاء عبيد الله يعوده فسأله: أتعهد إلينا شيئاً؟ قال: لا تصلِّ عليَّ، ولا تقم على قبري. تنظر ترجمة عبيد الله بن زياد في سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٤٥ - ٥٤٩.

(٢) أي العنيف برعاية الإبل. ينظر النهاية في غريب الحديث.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، (شرح النووي ١٢/ ٤٢٠). وقد جعلت نص الحديث بين أقواس ، وما بينه تعليق.

(٤) شرح النووي على مسلم ١٢/ ٤٢٠.

رضي الله عنه في هذا المعنى، قال: « أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا خير هذه الأمـة، وأبرَّها قلوبـاً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلّفاً، قـوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم وتمسـكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم » (١) .

ثانيـاً: أدب الصحابـة في اسـترضاء بعضهـم لبعـض وخـوف بعضهم على بعض:

وإن ممـا يؤكـد تعظيم الصحابة لحق الصحبـة حرصهم على تصفية أجواء المودة ما اسـتطاعوا، فإذا اشـتد أحدهم على الآخر بسـبب خلاف في الرأي لم يحمله ذلك أن يحط عليه أو ينقص من قدره، وإذا فلتت من أحدهم فلتة تشعر بالإسـاءة إلى الآخر ، انعكس ذلك بالمسارعة باسترضائه وجبر خاطره ، طلباً لرضا الله تعالى .

ومـن الشـواهد عـلى ذلـك ما حصـل لخالـد بـن الوليـد رضي الله عنه مـع عـمار بـن يـاسر رضي الله عنهـما، ومثـل مـا حصل بـين أبي بكـر وعمر رضي الله عنهما، وبين بعض المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم أجمعين، وبين الأنصار بعضهم مع بعض، ثم ما يستتبع ذلك من طلب بعضهم رضا وعفو صاحبه عنه.

---

(١) أخرجـه ابـن عبد البر في جامـع بيان العلم وفضلـه ٢/ ٩٤٧ ، وفيه انقطـاع، وأورده البغـوي في شرح السـنة ١/ ٢١٤ ، ومثله عن الحسـن البصري مـن قوله (جامع بيان العلم ٢/ ٩٤٦). والمعنى صحيح .

فقـد جاء عند الطـبراني عن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: « كان بيني وبـين عـمار بن ياسر بعض ما يكون بين الناس... » اهـ، فاشـتد خالد عليه في القـول، فلـم ينتصر عمار لنفسـه، فانتصر له رسـول الله ﷺ، وبـين فضيلة من فضائل عمار، وأن من هو مثل عمار لا يستقل بشأنه ولا يهمل رأيه، فإذا بخالد رضي الله عنه - هذا القائد العظيم، الذي هو سـيف من سيوف الله، وسيد من سـادات قريـش وبني مخزوم - سريـع الرجعة متواضـع، حريص على تحصيل عفو أخيه عمار- الذي كان مستضعفاً في قريش وأحد موالي بني مخزوم [1] -، فيواجهه خالد بالاعتذار، وبما يحب حتى يرضيه، طلباً لرضا الله تعالى.

فقـد روى ذلـك الإمام أحمـد والطـبراني والحاكم وغيرهم عـن خالد بن الوليـد رضي الله عنه قـال: « كان بيني وبين عمار بن يـاسر كلام، فأغلظت له في القـول، فانطلـق عمار يشـكوني إلى النبي ﷺ، فجاء خالد وهو يشـكوه إلى النبـي ﷺ، قـال: فجعـل يغلظ لـه، ولا يزيـد إلا غلظـة، والنبي ﷺ سـاكت لا يتكلم، فبكى عمار، وقال: يا رسول الله ألا تراه؟ فرفع رسول الله ﷺ رأسه وقال: « **من عادى عماراً عاداه الله، ومن أبغض عماراً أبغضه الله** » قال خالد: **فخرجت فما كان شيء أحب إليَّ من رضا عمار فلقيته فرضي** » [2]. وفي رواية

---

(١) انظر كيف أعز الإسـلام أهله وسـاوى بين الجميع، بل كان عمار أعلى رتبة لكونه من السـابقين الأولين إلى الإسلام، ومن البدريين، وانظر خلق الإسلام في تواضع خالد ونبله. وتنظر ترجمة عمار بن ياسر في سير أعلام النبلاء ١/ ٤٠٦.

(٢) المسـند ٤/ ٨٩، والحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مناقب عمار بن ياسر ٣/ ٣٩٠-٣٩١، واللفـظ لهـما، وصحح الذهبي إسـناده، ورواه ابن حبان في صحيحه ١٥/ ٥٥٦، والطبراني في الكبير ٤/ ١١٣-١١٤، وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٩٣): رواه أحمد والطبرانى ورجاله رجال الصحيح.

الطـبراني قـال خالـد: « **فلما سـمعت ذاك جعلت أتعـرض لعمار حتـى لقيته ، فاعتذرت إليه وسألت ما كان في نفسه عليَّ** » .

ويقـول المـلا علي القـاري في قـول خالـد: « فواجهته بـما رضي، أي: من التواضع والاسـتحلال والاعتنـاق، ونحوها من أسـباب الرضا، فرضي، أي عمار عني » [1].

فهكذا كان شأنهم ، شدة في الرجعة والفيئة إلى الحق، خوفاً من الله تعالى.

ولا يتوقـف الأمر على هـذا بل كانوا يُحَدِّثون بتلك المواقف تعليماً للناس، فنجد خالداً رضي الله عنه يحدث بذلك بعد موت رسول الله ﷺ ، وهو بالشام ويصف شـدة خوفه من ذلك الفعل، كما جاء في رواية الطبراني [2] ، وفي ذلك أيضـاً نـشر لفضيلة صاحبه عـمار، وبيان لما ينبغـي أن يكون عليـه المؤمنون في التعامل والاختلاف، فما أعظم هذه التربية !!

موقف آخر عظيم:

ومـن تلـك المواقـف موقـف بـين الشـيخين الكبيريـن أبي بكـر وعمـر رضي الله عنهـما، وهـو يمثل حـرص الصحابـة بعضهم على بعـض وخوفهم بعضهـم عـلى بعض، حيث اختلفا في أمـرٍ أغضب فيه أبو بكـر عمرَ، ثم رجع فاعتذر إليه وطلب منه أن يسـتغفر له، فأبى عمر في الظاهر أن يفعل، وإن كان

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٥/ ٦٤١.
(٢) المعجم الكبير ٤/ ١١٢ - ١١٣.

كما قال يستغفر له فيما بينه وبين نفسه، فرأى رسول الله تغيُّراً ظاهراً على أبي بكر، فعلم منه بما جرى، فغضب لعدم قبول عمر اعتذار أخيه؛ خاصة إذا كان من أبي بكر الصديق- وهو من هو مكانة بينهم- واشتد ذلك حتى أشفق أبو بكر على عمر رضي الله عنهما، وخاف عليه من غضب رسول الله ﷺ، فجثا أبو بكر على ركبتيه يناشد رسول الله العفو عنه، ويوضح له أنه هو البادئ بالمخاصمة.

ولنستمع إلى هذا الموقف الرائق كما رواه البخاري في صحيحه، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: « كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته فقال النبي ﷺ: « **أما صاحبكم فقد غامر** [1]» فسلم، وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت [2] إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى عليَّ، فأقبلت إليك، فقال [3]: « يغفر الله لك يا أبا بكر » - ثلاثاً - ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثَمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي ﷺ فسلم، فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم- مرتين - فقال النبي ﷺ: « **إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي** » مرتين، فما أوذي بعدها » [4].

---

(١) أي خاصم غيره. ينظر النهاية في غريب الحديث، مادة غمر.

(٢) أي أغضبته.

(٣) أي قال عمر بن الخطاب في نفسه، وهذا من قول الراوي.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً ٣/ ١٣٣٩.

وجـاء في حديـث ابن عمر عنـد الطبراني في نحـو هذه القصـة قول عمر رضي الله عنه: « والذي بعثك بالحق، ما من مرة يسـألني إلا وأنا أسـتغفر له ، ومـا خلـق الله من أحد أحـب إلي منه بعدك ، فقال أبو بكـر : وأنا والذي بعثك بالحق كذلك » (١).

فهـذا مثل راقٍ لما انطوت عليه قلوبهم من المحبة والألفة وخوف بعضهم على بعض، وأن الاختلاف لا يطعن في المحبة، وكذا لا يقلل من أقدار بعضهم عند بعض.

ومـن تلـك الأمثلـة أيضـاً على اسـترضاء بعضهـم لبعـض، خاصة إذا كانوا من المسـاكين؛ جبراً لقلوبهم، وإكراماً وملاطفة لهم، وبياناً لفضيلتهم، وترسـيخاً لما علـم من أن مقام المرء يقـاس بتقواه، ما جاء أن سـيدنا أبا بكر رضي الله عنـه لم يعجبه قول قاله سـلمان الفـارسي وصهيب وبلال رضي الله عنهـم أجمعـين في حق أبي سـفيان قبل أن يسـلم، فكأنه غضـب، فعاتبهم في ذلـك عتابـاً لعلـه أن يكون جرح بـه قلوبهم. ولنـترك المجـال لرواية الإمام مسـلم توضـح هـذا الموقـف الراقي، وكيـف طيب أبـو بكـر رضي الله عنه قلوبهم، وكيف لاطفوه هم واستغفروا له.

فعـن عائذ بن عمرو: « أن أبا سـفيان أتى على سـلمان وصهيب وبلال في نفر، فقالوا: والله ما أخذت سـيوف الله مـن عنق عدو الله مأخذها، قال: فقال

---

(١) رواه الطـبراني في المعجم الكبير ١٢/ ٢٨٥ ، وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٤٤ - ٤٥): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وينظر فتح الباري (٧/ ٣٠)

أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبيَّ ﷺ فأخبره، فقال: « **يا أبا بكر لعلك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم، لقد أغضبت ربك** »، فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أُخَيَّ »[1].

فهذه أمثلة توضح كيف رسخ رسول الله ﷺ فيهم دعائم الأخوة، من رعاية بعضهم لبعض، وسرعة رجوعهم إلى الحق، وطلب رضا إخوانهم، وكيف تعلموا دقائق آداب المعاملة فيما بينهم، وكيف كان القوي منهم خاصة يبادر إلى جبر خاطر الضعيف. وتلك هي القاعدة التي ربى عليها رسول الله ﷺ أصحابه، وهي التي كانوا يسيرون عليها في حياتهم.

***

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل سلمان وصهيب وبلال (شرح النووي ١٦/ ٢٨٢).

المبحث الثاني

أدب الصحابة مع الاختلاف في الاجتهاد

كان الكثير من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل الاجتهاد في معرفة الأحكام الفقهية، فربما جاءت أحدهم المسألة فأفتى فيها بما يعلم من كتاب أو سنة، فإن لم يعلم اجتهد في استخراج الحكم، أو أحال إلى غيره من إخوته .

وقد كان من هديهم التشاور في النوازل والأحكام والأقضية وفي سياسات الدولة، فإذا كان حكم المسألة راجعاً إلى الاجتهاد فربما خالف اجتهاد أحدهم اجتهادَ الآخر، وربما فَصَلَ الحاكم أو ولي الأمر فيها، ولكن كانت أكثر آرائهم على الاتفاق، ولم يكن هذا التشاور إلا لكشف حكم الله عَزَّ وجَلَّ ، ولا يعنيهم على يد من يظهر الحكم، إذ كان همهم هو الاستبراء للدين، وحل مشاكل المسلمين، فإذا احتد النقاش فإنما هو بدافع الحرص والاستيثاق لمعرفة الحق .

ومما يميزهم أنهم كانوا أحرص الناس على دفع الاختلاف ما استطاعوا؛ فقد كانوا أبعد الناس عن المماراة والجدل العقيم ، فإذا اختلفوا – فيما وسعهم الاختلاف فيه – لم يشنع أحدهم على الآخر، أو يشكك في عقله أو دينه أو حسن قصده، وإن لم يقلده فيما ذهب إليه، بل ربما أحال من جاء يسأله إلى أن يسأل هذا الذي خالفه؛ لعلمه بالسعة في ذلك، فإذا وضح الحكم رجعوا إليه.

ولا تزال اختلافاتهم رضي الله عنهم في الأحكام مصدر سعة للأمة وللمجتهدين من بعدهم في معرفة الأحكام .

ومـن النـماذج التي تعكس ذلك الأدب في اختلافاتهم ، ما كان بين عبد الله ابن مسعود وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما:

فعبـد الله بن مسـعود وعمر بن الخطاب كلاهما مـن كبار الصحابة، من كبار أهل العلم منهم، وقد اختلفوا في كثير من المسائل الفقهية الجزئية، يقول ابن القيم: « فخلاف ابن مسعود لعمر أشهر من أن يتكلف إيراده ...وحتى لو أخذ بقوله تقليداً لعمر، فإنما ذلك في نحو أربع مسائل ... وأما مخالفته له ففـي نحو مائة مسـألة » [١] . ومع حصول الاختـلاف بين هذين المجتهدين لم يكن بينهما إلا المحبة والثناء والتقدير، فقد اختار عمر عبد الله بن مسـعود أن يكـون معلـماً ومفقهاً لأهل الكوفة، وكتب عمر رضي الله عنه في ذلك إلى أهل الكوفة.

قال حارثة بن مضرب : « كتب إلينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني قد بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً ، وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وهما مـن النجباء من أصحاب محمـد ﷺ من أهـل بدر فاسـمعوا ، وقد جـعلت ابـن مسـعود على بيـت مالكم فاسـمعوا، فتعلمـوا منهما واقتـدوا بهما، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي » [٢].

---

(١) إعلام الموقعين ٢/ ١٦٧ .

(٢) المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر مناقب عمار بن ياسر ٣/ ٣٨٨، واللفظ له، وقال: صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن سعد في الطبقات ٦/ ٨٨ ، والفسوي في المعرفة والتاريخ ٢/ ٥٣٣- ٥٣٤ ، ٥٤٢ .

ونجـد عمر رضي الله عنه حين وفد إليه عبد الله بن مسـعود يتهلل وجهه فرحاً به ، ويرشد الحاضرين إلى مقام عبد الله في العلم والتقوى - وهي عادتهم في إنـزال النـاس منازلهم - فعن زيـد بن وهب قال: « إني لجالـس مع عمر بن الخطاب، إذ جاء ابن مسعود، فكاد الجلوس يوارونه من قصره، فضحك عمر حـين رآه، فجعل عمر يكلمـه، ويتهلل وجهه، ويضاحكه، وهو قائم عليه، ثم ولى، فأتبعـه عمر بصره حتى توارى، فقـال: « كُنَيِّفٌ ملئ علماً » [1]. والكُنَيف تصغير للكِنْفِ، وهو الوعاء، ويراد به التعظيم [2]، فيقول: وعاء ملئ علمًا.

ويقـول عبد الله بن مسـعود فيـما رواه البخاري: « ما زلنا أعزة منذ أسـلم عمر » [3] ويقول أيضاً فيما رواه القاسـم بن عبد الرحمن عنه: « إن كان إسـلام عمر لفتحاً، وإمارته لرحمة، والله ما استطعنا أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قابلهم حتى دعونا فصلينا » [4] .

فانظـر كيـف كان حـال الكبـار بعضهم مع بعـض، مـن الأدب والتوقير والمحبة، وهذا مما يجب أن نعرفه عنهم، ومما يجب أن نتأسى به منهم .

---

(١) أخرجـه الفسـوي في المعرفـة والتاريـخ ٢/ ٥٤٣، واللفـظ له ، وابن سـعد في الطبقات ٣/ ١١٥ ،وأبو نعيم في الحلية ١/ ١٢٩ . ومعنى يوارونه أي يسترونه ويحجبون رؤيته.

(٢) انظر النهاية في غريب الحديث: مادة كنف .

(٣) صحيح البخاري ، فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب ٣/ ١٣٤٨ ، ١٤٠٣ .

(٤) أخرجـه الطبراني في المعجـم الكبير ٩/ ١٦٥ ، وقال الهيثمي في المجمع ٩/ ٦٢ - ٦٣: رواه الطـبراني ورجالـه رجـال الصحيح، إلا أن القاسـم لم يدرك جده ابن مسـعود . ومعنـى قابلهـم: أي واجـه المشركين بشـدته . وأحاديـث ابن مسـعود في فضل عمر وتعظيم قدره كثيرة، ينظر: المعجم الكبير ٩/ ١٦٠ ، وتاريخ دمشق ٤٤/ ٣٧٣، مجمع الزوائد، كتاب البر والصلة، باب في وفاة عمر بن الخطاب ٨/ ٣٨٣ .

ومـن النـماذج التي تبين هذا الأدب: ما كان بين الفقيهين الكبيرين عبد الله ابن عباس وزيد بن ثابت رضي الله عنهما:

فزيد بن ثابت من كبار فقهاء الصحابة، والمقدم في علم المواريث، قال فيه رسول الله ﷺ وهو يمدح جملة من أصحابه كما رُوي عن أبي قلابة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: « **أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ... وأفرضهم زيد ابـن ثابـت ...** »[١]. وقد كان عبد الله بن عبـاس رضي الله عنهما يختلف معه في بعض مسـائل المواريث، ومنها مسألة في ميراث الجد، وهي في حجب الإخوة والأخـوات للأبوين أو من جهة الأب بالجـد من جهة الأب ، فزيد وغيره من الصحابـة[٢] يورثونهم مع وجود الجد، وابن عباس وغيره من الصحابة[٣] لا يورثونهم مع وجود الجد، فهو عندهم بمنزلة الأب ، وكانت هذه من المسـائل الكبـيرة التي اختلفوا فيها، حتى إن عبد الله بن عباس من شـدة قناعته ليتمنى أن لو تباهلوا فيها[٤].

ومـع هذا الاختلاف في الاجتهاد، وقناعـة كل منهما برأيه،نجد كلا منهما مثـالاً لـلأدب مع الآخـر ، فعبد الله يأخـذ بلجام فرس زيد حتـى يركب زيد، وزيـد يَكْبُرُ عليه هذا الفعل، فيأمره بترك اللجام، كما رواه عامر الشـعبي قال:

---

(١) أخرجـه الترمذي في سـننه أبـواب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبـل وزيد بن ثابت ٦/ ١٢٧- ١٢٨ وقال: هذا حديث حسـن صحيح . وأخرجه الإمام أحمد في المسـند ٣/ ٢٨١، وابن حبان في صحيحه ١٦/ ٨٥- ٨٦ ، والضياء في المختارة ٦/ ٢٢٥ .

(٢) كعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما .

(٣) كأبي بكر الصديق ، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم .

(٤) ينظـر الحديـث في مصنف عبد الـرزاق، كتاب الفرائـض ١٠/ ٢٥٥، وفيه أيضاً بعض مسـائل اختلفوا فيها .

« ذهب زيد بن ثابت ليركب، ووضع رجله في الركاب، فأمسك ابن عباس بالركاب، فقال: تنحَّ يا ابن عم رسول الله ﷺ. فقال: لا، هكذا نفعل بالعلماء والكبراء »[1].

ويقول رضي الله عنه أيضاً بعد وفاة زيد، متحسراً على فقده، وهو في جنازته: « هكذا ذهاب العلماء، دفن اليوم علم كثير »[2].

فهكذا كان أدبهم رضي الله عنهم !!

وكذلك الحال فيما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وكيف كان قول علي رضي الله عنه فيمن قاتلوه في صفين:

فسيدنا علي رضي الله عنه، رغم حصول القتال في صفين بينه وبين سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ومن معه من أهل الشام، يستغفر للفريقين، ويحكم لهم بالإيمان .

فقد روى عبد الله بن عروة قال: « أخبرني رجل شهد صفين، قال: رأيت علياً خرج في بعض تلك الليالي، فنظر إلى أهل الشام، فقال: اللهم اغفر لي

---

(١) أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ ١/ ٤٨٤ ، وهذا لفظه ، وصحح الحافظ ابن حجر إسناده في الإصابة في ترجمة زيد ٢/ ٤٩١ ،وأخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/ ٢٧٥ بلفظ قريب .

(٢) أخرجه الفسوي ٢/ ٤٨٥ ، وابن سعد ٢/ ٢٧٦، والحاكم، كتاب معرفة الصحابة، يلحق بفضائل زيد بن ثابت ٣/ ٤٢٨، واللفظ لهم ، وابن أبي شيبة في المصنف، كتاب التاريخ ١٨/ ٣٤٩ مختصراً .

ولهم »[1]، وأخرج ابن أبي شيبة عن سعد بن إبراهيم قال: « بينما عليٌّ آخذ بيد عدي بن حاتم وهو يطوف في القتلى إذ مر برجل عرفته فقلت: يا أمير المؤمنين، عهدي بهذا وهو مؤمن قال: والآن »[2]، والمعنى والآن هو مؤمن أيضاً .

وتتجلى الصورة أيضاً في معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، فإنه رغم الخلاف الشديد بينه وبين سيدنا علي رضي الله عنه بعد قتل سيدنا عثمان رضي الله عنه لا يزال يعرف له قدره، ويكاتبه في بعض المسائل والمعضلات [3].

يقول ابن عبد البر رحمه الله: « وكان معاوية يكتب فيما ينزل به ليسأل له علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك، فلما بلغه قتله، قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب » [4].

وقد حزن معاوية على وفاة علي رضي الله عنهما، فقد اخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق عن جرير بن عبد الحميد عن مغيرة: قال: « لما جاء خبر قتل علي إلى معاوية جعل يبكي ويسترجع ، فقالت له امرأته: أتبكي عليه

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة، كتاب الجمل، باب ما ذكر في صفين ٢١/ ٤١٥ ، رقم ٣٩٠٢٠.
(٢) المصنف لابن أبي شيبة، كتاب الجمل، باب ما ذكر في صفين ٢١/ ٤١٠ ، رقم ٣٩٠٠١.
(٣) ينظر ذلك في: موطأ مالك، كتاب الأقضية، باب القضاء فيمن وجد مع امرأته رجلاً ٢/ ٧٣٩ ، والمصنف لابن أبي شيبة، كتاب الديات، الرجل يجد مع امرأته رجلاً فيقتلها ١٤/ ٢٨٧ ، والمصنف لعبد الرزاق، كتاب العقول، باب الرجل يجد مع امرأته رجلاً ٩/ ٤٣٣ ، والسنن الكبرى للبيهقي، كتاب الحدود، باب الشهود في الزنا ٨/ ٢٣١ .
(٤) الاستيعاب، ترجمة علي بن أبي طالب ٣/ ٢٠٩ .

وقـد كنت تقاتله ؟ فقـال لها: ويحك إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم »[1].

هكـذا كانوا ؛ لأنهم لم يقاتلوا عـن هوى، أو طلباً للدنيا، وإنما كان ما كان ممـا قـدره الله عَـزَّ وجَلَّ، وأهل السـنة وإن قالوا بـأن الحق كان مع سـيدنا علي رضي الله عنه، فقد قالوا بإحسان الظن بجميع أصحاب رسول الله ﷺ .

يقـول الحافظ ابن حجر في الفتح: « ذهب جمهور أهل السـنة إلى تصويب مـن قاتـل مع علي ... وهؤلاء مع هذا التصويـب متفقون على أنه لا يذم واحد من هؤلاء، بل يقولون: اجتهدوا فأخطؤوا »[2].

ويقول الإمام النووي رحمه الله: « ومذهب أهل السنة والحق إحسانُ الظن بهم ، والإمسـاكُ عما شـجر بينهم ، وتأويلُ قتالهم ، وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ، ولا محض الدنيا »[3] .

وهكـذا تعبر هذه المشـاهد عما كان مـن أدب وحب وتواد بـين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، رغم اختلافاتهم في الرأي ، كما صوره إجلال عمر ابـن الخطاب لعبد الله بن مسـعود ، وتوقير عبد الله بن عبـاس لزيد بن ثابت ، وموقف سيدنا علي ممن قاتلوه في صفين، وعلاقته بمعاوية رضي الله عنه .

وهـذا المنهج الراقي والأمثلة العظيمة السـابقة يجب أن تكـون منهجاً لنا عند الاختلاف، وتكون منارات لنا لنفهم من هم أصحاب رسول الله ﷺ .

---

(١) تاريخ دمشق ٥٩/ ١٤٢ ، والبداية والنهاية ٨/ ١٥ ، ١٣٣ .
(٢) فتح الباري ١٣/ ٧٢ ، وينظر الفتح أيضا ١٣/ ٣٧ .
(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ١٨/ ٢٢٠ - ٢٢١ .

المبحث الثالث

من أدب الصحابة في دفاع بعضهم عن بعض

إن مما يؤكد تعظيم الصحابة لحق الصحبة، دفاعَ بعضهم عن بعض، وبيانَهم للأمور على وجهها الصحيح، ودفعَهم للشبه والتهم التي تلصق بأحدهم بغير وجه حق، سواء كانت في تصرفاته في حق نفسه أم في حق مسؤولياته وإدارته للأمور، قياماً بحق النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم؛ بياناً للحق، وتبرئة لساحة صاحبه، وسداً لأبواب الفتن، وذاك أدب عظيم من آداب الإسلام، وقد تمثَّله أصحاب رسول الله ﷺ .

ومن أهم الأسباب التي دعت الصحابة إلى هذا اللون من البيان، تلك الأخبار والتصرفات التي تنقل عنهم على غير وجهها الصحيح، أو التي يساء فهمها .

فمن المعلوم أن الصحابة قد تحملوا مسؤولية الأمة وأداروا دفة الدولة وفق منهج رسول الله ﷺ ، بكل صدق وأمانة، وقد جرت هذه المسؤولية بينهم في أجواء إيمانية ، وصدرت تصرفاتهم فيها بحسب ما تمليه عليهم ظروف الدولة وما يرون فيه المصلحة ، ولكن بعض تلك التصرفات ربما تفهم عند البعض أن فيها طعناً أو إساءة إلى الآخرين، فكان دورُ الصحابة هنا هو تصحيحَ هذا الفهم وإزالة ما قد يشوب الموقف من وهم ، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ربما عزل بعض قادته وولاته، فيوضح أنه ما عزلهم عن تهمة ولا خيانة .

وربما تختلف اجتهادات الصحابة في بعض الأمور العامة ذات الشأن العظيم، فيترتب عليها بعض المواقف، فكانوا يوضحون تلك المواقف دفعاً لإساءة فهمها ، ويصححونها إن وقع الخطأ في نقلها .

وربما تصدر من أحدهم فلتة في ساعة غضب، فينبهون على ذلك ،كما جاء عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وغيره ، وتعليمه للناس عدم الوقوف عند ما يجري بين الأخ وأخيه في ساعة الغضب، وأن ذلك لا يعني تقليل أحدهم لشأن أخيه .

وعلى هذا النحو جرى كبار الصحابةِ كعليٍّ بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعبدالله بن عمر، والسيدة عائشة، ثم عبد الله بن العباس رضي الله عنهم جميعاً، وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ.

ونتناول هذا المبحث من خلال ستة مواقف:

- موقفين لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهما يمثلان المسؤولية الإدارية .
- وموقفين لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وهما في حسن التفهم لما يصدر في حالة الغضب .
- وموقفين لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وهما يمثلان النصيحة ودرء الفتن .

فأمّا موقفا عمر رضي الله عنه المعبران عن مسؤوليته الإدارية كأمير للمؤمنين، فهي مواقف تبرهن على معرفة الصحابة لأقدار ومكانة بعضهم بعضاً، وأن ما يجري بينهم كقادة وأمراء وولاة إنما هو محض إدارة للمسؤولية، وتصرف بحسب المصلحة ، وأنه مهما حدث من خلاف بينهم في الرأي فإنه لا يتعدى أكثر من تعبيرهم عن آرائهم كبشر ، ولا يمس ذلك بدين أو فضل محفوظ له عند الآخرين .

فمن ذلك:

أ - موقف عزل سيدنا عمر بن الخطاب لسيدنا خالد بن الوليد عما كان عليه من التقدم على الجيوش والسرايا بالشام، في سنة سبع عشرة، فقد عزله عمر رغم جلالته وحسن بلائه في القيادة والجهاد، لأسباب ولمصلحة ظهرت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فمنها: أن خالداً ما دخل معركة إلا رزقه الله النصر [1]، فخاف عمر على المسلمين أن يعتقدوا أن النصر مرتبط بوجود خالد وقيادته.

فهذا الموقف من عمر ربما يفهم على أنه طعن في خالد رضي الله عنه ، فإذا بعمر الذي يعرف أقدار أصحابه، يرسل بالكتب إلى البلدان يبين لهم ، فقد روى الطبري وغيره عن عدي بن سهل قال: « **كتب عمر إلى الأمصار: إني لم أعزل خالداً عن سخطة ولا خيانة، ولكنّ الناس فتنوا به، فخفت أن يوكّلوا**

(١) تنظر في ترجمته في سير أعلام النبلاء ١/ ٣٧١ ، ٣٧٤ - ٣٧٥ .

إليـه ويبتلوا بـه، فأحببت أن يعلمــوا أنّ الله هـو الصانع، وألا يكونوا بعرض فتنـة »، ولمـا عاتبه خالد قال له: « **والله إنك عَلَيَّ لكريم ، وإنك إلي لحبيب، ولن تعاتبني بعد اليوم على شيء**» [(١)].

ولمّـا أراد خالـد أن يـوصي، وهو بالمدينة، أشـهد عمر بـن الخطاب على وصيته، ولما بلغ عمر موت خالد حزن عليه واسـترجع مراراً، ونكس رأسـه، وأكثـر الترحـم عليـه، وقام عمر عـلى وصيتـه[(٢)]، وترك نسـاءه يبكـين عليه، فقـال: كـما أخرجـه البخـاري: « دعهن يبكـين على أبي سـليمان مـا لم يقع نقع أو لقلقـة » [(٣)]، أي مـا لم يرفعـن أصواتهـن أو يضعن التراب على رؤوسـهن. وعـزَّى عمـر أمـه وصبَّرها بـما لخالد عنـد الله من الأجـر، كما رواه ابن سـعد بسـند صحيـح قـال: « لمّا توفي خالـد بن الوليد بكـت عليه أمـه، فقال عمر: يا أم خالد أخالداً وأجره ترزئين ؟ عزمتُ عليكِ إلا تَبَيِّتِ حتى تسود يداك من الخضاب »[(٤)]، فهكذا كان خالد عند عمر رضي الله عنهما .

ب – ومنهـا مـا جـرى من سـيدنا عمـر بن الخطاب مع سـيدنا سـعد بن أبي وقـاص؛ فقـد ولاه عمـر الإمـرة في الكثـير من فتـوح العـراق، وكان أحد الفرسـان الشـجعان، مجاب الدعوة، تولى قتال فارس في خلافته، ففتح الله على

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٦٨ ، البداية والنهاية ٤/ ٨٢ .

(٢) ينظر سير أعلام النبلاء ترجمة خالد (١/ ٣٨٢، ٣٨٣)، وينظر الإصابة ٢/ ٢١٩ .

(٣) صحيـح البخاري، كتاب الجنائز، باب مـا يكره من النياحة على الميت ١/ ٤٣٣ . وقد أخرجه تعليقاً .

(٤) تاريخ دمشق ١٦/ ٢٧٧، والإصابة ترجمة لبابة بنت الحارث ٨/ ٣٠٠، وقال الحافظ: هذا مسند صحيح، وفي تاريخ دمشق (تبيتي) بدلا من (تثبت).

يده أكثرها، وكان له فتح القادسية وغيرها، وهو الذي أنشأ الكوفة، فكان أميراً عليها لعمر، ثم عزله ثم أعاده، ثم عزله (1). فربما يُفْهَمُ من عزل عمر له أنه لم يعد أهلاً للإمارة، فإذا بعمر رضي الله عنه يوضح أنه أهل لها، ويزيل شبهة ذلك، ويظهر ذلك في مواقف عدة، منها: جعله أحد أهل الشورى الذين يختار منهم خليفة المسلمين من بعده.

فقد روى البخاري في صحيحه في وصية عمر قبل موته: « فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين، استخلف. قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ. فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء » ثم قال: « **فإن أصابت الإمرةُ سعداً فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة** » (2).

ويبين مقامه وأمانته في موقف آخر، وذلك أن عبد الله بن عمر قدم على سعد بن أبي وقاص الكوفة، فوجده يمسح على الخفين، فاستغرب ذلك عبد الله (3)، وذلك كما جاء في رواية الموطأ: « أن ابن عمر قدم الكوفة على سعد وهو أميرها، فرآه يمسح على الخفين فأنكر ذلك عليه، فقال له سعد: سل

---

(1) ينظر الاستيعاب لابن عبد البر في ترجمته ٢/ ١٧١، ١٧٢.

(2) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان ٣/ ١٣٥٥-١٣٥٦.

(3) وذلك إما لعدم وصول جواز المسح على الخفين لعبد الله بن عمر، وإما لكون سيدنا سعد يمسح في الحضر. والثاني أقوى. ينظر فتح الباري، باب المسح على الخفين ١/ ٣٣٦.

أبـاك...» [1]، فلما رجع إلى أبيه سـأله، فقال له عمـر كما رواه البخاري: « **نعم، إذا حدثك شيئاً سعد عن النبي ﷺ فلا تسأل عنه غيره** » [2].

فمثل هذه المواقف في تبرئة سـاحة هؤلاء القـادة من التهمة والخيانة، لهي مواقـف نبيلة تدل على معرفة الصحابـة بعضهم لأقدار بعض ، ومدى الطاعة التـي التزم بها الأمـراء لقيادتهم، ويظهر فيه أيضاً هـذا اللون من دفاع بعضهم عن بعض .

مواقف سعـد بن أبي وقاص:

وأما موقفا سعد بن أبي وقاص فهما يمثلان قاعدة مهمة نفهم من خلالها، كيـف نتعامل مع ما يصدر عـن الصحابة رضوان الله عليهم في حالة الغضب، وما قد يفلت منهم مما لا يعصم منه البشر .

فمن ذلك:

أ – موقف مع سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه، فعن طارق بن شهاب: « أن خالـد بن الوليد كان بينه وبين سـعد بن أبي وقـاص كلام، فَذُكِرَ خالدٌ [3] عند سعد، فقال: **مَهْ** [4] ، **فإن ما بيننا لم يبلغ ديننا** » [5].

---

(١) موطأ الإمام مالك، كتاب الطهارة، باب ما جاء في المسح على الخفين ١/ ٣٦ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب المسح على الخفين ١/ ٨٥ .

(٣) أي بسوء .

(٤) أي اسكت.

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٤/ ١٠٦ ، وأخرجه أبو نعيم في تثبيت الإمامة ١٨٣ . وقال الهيثمي: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

ب – والموقف الثاني موقف مع سيدنا علي رضي الله عنه، وكل عبارة من عبارات سيدنا سعد فيه هي ومضات للتأدب والاعتبار، فقد أخرج ابن راهويه في مسنده، والحاكم في المستدرك بسندهما عن خيثمة، وهذا لفظ الحاكم، قال: « كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في نفر، فذكروا علياً فشتموه [1]، فقال سعد: **مهلاً عن أصحاب رسول الله ﷺ** ، فإنا أصبنا دنيا [2] مع رسول الله ﷺ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾، فأرجو أن تكون رحمة من عند الله سبقت لنا . فقال بعضهم: فوالله إنه كان يبغضك [3] ويسميك: الأخنس [4]، فضحك سعد حتى استعلاه الضحك، ثم قال: **أليس قد يجد المرء على أخيه في الأمر يكون بينه و بينه ثم لا يبلغ ذلك أمانته ؟!** » [5].

ومن الشواهد على ما قاله سيدنا سعد من أن تغير الأخ على أخيه بعض الوقت لا يطعن في الأخوة مدحُ عليٍّ لأخيه سعد بن أبي وقاص بإظهار منقبة

---

(١) وكان ذلك في وقت فتنة واختلاف بعد مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه.

(٢) وهو أخذهم الفداء في الأسرى في بدر.

(٣) هذا القول ليس صحيحاً، وهو على حسب فهم القائل ، وقد صحح له سيدنا سعد هذا الفهم .

(٤) ولعل ذلك كان بسبب عدم خروجه للقتال معه في خلافته ، وكان رأي سيدنا سعد أنها أحداث فتنة، وكان لا يرى جواز القتال في الفتنة، وذاك محل اجتهاد واختلاف فيما بينهم رضي الله عنهم ، ينظر رأي سيدنا سعد ومن قعدوا عن هذا القتال في الفتح، كتاب الفتن ١٣/ ٦١ .

(٥) المستدرك، كتاب التفسير، تفسير سورة الأنفال ٢/ ٣٢٩ – ٣٣٠. وقال الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم. وحسن البوصيري إسناد ابن راهويه في إتحاف الخيرة ٧/ ٣٣٨ .

مـن مناقبه رضي الله عنه ، وذلك فيما رواه البخاري ومسـلم عن علي رضي الله عنـه قـال: « ما سـمعتُ النبـي ﷺ جمع أبويه لأحد إلا لسـعد بـن مالك، فإني سمعته يقول يوم أحد: **يا سعد ارم، فداك أبي وأمي** »[1].

ومما رواه سـعد من مناقب علي رضي الله عنهـما حديث إعطائه الراية يوم خيـبر، وحديـث المباهلـة ، ومنه ما أخرجـه البخاري في اسـتخلاف النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه على المدينة عندما خرج إلى غزوة تبوك فقال له النبي ﷺ كما رواه سعد بن أبي وقاص: « **ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه ليس نبي بعدي** »[2].

فهـذه المناقب يرويها كل منهما في حـق أخيه، وهكذا كان الكبار رضي الله عنهم .

وهذان الموقفان هما نموذج من نماذج ما كانوا عليه رضوان الله عليهم من الورع والصيانة، يصون فيها إخوته أن يذكروا بسـوء، ويضع للحاضرين ولمن بعدهـم إلى يومنا هذا قاعدة نسـتضيء بها، ونفهم من خلالهـا بعض العبارات التي ربما صدرت عن الصحابة في حال غضبهم، والتي ربما يفهم منها انتقاص

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا) ٤/ ١٤٩٠ ، وكتاب الجهاد والسـير، بـاب المجن ومن يتترس بـترس صاحبه ٣/ ١٠٦٤، وصحيح مسـلم، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص (شرح النووي ١٥/ ١٧٨-١٧٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك ٤/ ١٦٠٢ ، كتاب فضائل الصحابة، بـاب مناقـب علي بن أبي طالـب ٣/ ١٣٥٩ ، وأخرجه مسـلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابـة، باب من فضائل علي بن أبي طالب (شرح النووي ١٥/ ١٧٠- ١٧١)، وروى سعد بن أبي وقاص غير ذلك من مناقب عليّ بن أبي طالب في هذا الباب، وينظر أيضاً فتح الباري ٧/ ٩٢-٩٣.

أحدهم للآخر، فيوضح أن تلك فلتة من فلتات البشرية [1]، وأنها أمر لا يعدو التلفـظَ به، فليس له قـرار في قلب الناطق به، ولا يعني ذلـك أبداً تقليلَهُ لدين ومقـامِ صاحبه، هكذا يفسره سـيدنا سـعد، فالأمر كما يقول الحافـظ أبو نعيم عنهم في هذه المواقف: « **فأما حال الغضب، فلا اعتبار به، ولا حجة فيه** » [2].

وينبه سـيدنا سعد أيضاً إلى عدم التجرؤ أو التسرع بسوء الفهم، ويحذر مـن تتبع هـذه الفلتـات، وكل ذلك مـن تأديب رسـول الله ﷺ لهـم، وهذا اللون من المداواة بالحق هو أيضاً مما تعلموه من هدي رسـول الله، والمتتبعُ لسيرته ﷺ وسنته يعرف ذلك جيداً [3].

مواقـف عبد اللّه بن عـمـر رضي اللّه عنهما:

وأما موقفا عبد الله بن عمر ، فقد كانا في الدفاع عن عثمان بن عفان، وعلي ابن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين:

وهـذه مـن مواقف التصحيح لسـوء الفهم، نصيحة لله ولرسـوله في أئمة هـذا الديـن ، وهم أصحاب النبي ﷺ ، ونصيحة للأمـة ببيان الحق لها، وذلك بتفنيـد الأخبار التـي كان يُسَرِّبُها أعداءُ الإسـلام، والمتربصون به في الأمصار،

---

(١) وأقول: بل ربما حمله على ذلك شدة الحمية للدين، فكأنه يقول: إن هذا الفعل - الذي استعظمه مـن صاحبه، والذي رأى فيه بحسـب نظـره واجتهاده أنـه تقصير في حق الدين - هو فعلٌ كذا وكذا.

(٢) تثبيت الإمامة ص ١٨٣.

(٣) تنظر بعض المواقف فيما أورده الحافظ أبو نعيم في كتابه تثبيت الإمامة ص ١٨١ - ١٨٣.

يثيرون بها الناس ويحكونها على غير وجهها الصحيح ، مما كان سبباً في الكثير من الفتن ، وفي ظهور الخوارج الذين كانوا سبب بلاء شديد على الأمة.

أ – فقد روى البخاري عن عثمانَ بنِ عبد الله بن مَوْهَب قال:« جاء رجل من أهل مصر، وحج البيت، فرأى قوماً جلوساً ، فقال: من هؤلاء القوم؟ فقالوا: هؤلاء قريش، قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر، قال: يا ابن عمر، إني سائلك عن شيء فحدثني، هل تعلم أن عثمان فرَّ يوم أحدٍ؟ قال: نعم ، فقال: تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم ، قال: تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم ، قال: الله أكبر، **قال ابن عمر: تعالَ أُبَيِّنْ لكَ**: أما فِرَارُهُ يوم أحدٍ فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له [1]، وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له رسول الله ﷺ: « **إن لك أجرَ رجلٍ ممن شهد بدراً وسَهْمَهُ** » ، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان، فلو كان أحدٌ أعزَّ ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعَثَ رسول الله ﷺ عثمانَ، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمانُ إلى مكةَ، فقال رسول الله ﷺ بيدِهِ اليمنى: « **هذه يد عثمان** » فضرب بها على يده فقال: « **هذه لعثمان** » فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك » [2]. أي بلغ ما سمعت لمن وراءك ، ولأصحابك.

---

(١) وذلك في قول الله تعالى في كل من فر يوم أحد من المؤمنين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾. سورة آل عمران آية: ١٥٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان ٣/ ١٣٥٢– ١٣٥٣. وينظر فتح الباري ٧/ ٦٧.

ب- وموقـف آخـر له، جاء فيه رجـل كأنه من الخوارج، يسـأله عن علي وعثمان رضي الله عنهما ، كما قال الحافظ ابن حجر تعليقاً على سـؤال السـائل: « أمـا قولـه (فما قولك في علي وعثمان؟) فيؤيد أن السـائل من الخوارج، فإنهم كانوا يتولون الشـيخين ويحطون عثمان وعلياً، فرد عليه ابن عمر بذكر مناقبهما ومنزلتهما من النبي ﷺ » (١).

فقـد أخرج البخاري عن سـعد بـن عُبيدة قال: « جاء رجـل إلى ابن عمر فسـأله عن عثمان، فذكر عن محاسـن عمله، قال: لعل ذاك يسوؤك؟ قال: نعم، قـال: فأرغم الله بأنفك، ثم سـأله عن علي، فذكر محاسـن عملـه، قال: هو ذاك بيتـه أوسـط بيوت النبـي ﷺ ، ثم قال: لعل ذاك يسـوؤك؟ قـال: أجل ، قال: فأرغـم الله بأنفك، انطلـق فاجهد عليَّ جَهْدَكَ » (٢). والمعنـى: افعل ما تريد في حقي، فقد أبلغتك الحق.

قـال الحافظ ابن حجر قولـه: « فاجهد عليَّ جهدك » أي: أبلغ على غايتك في حقـي، فـإن الـذي قلته لك الحـق، وقائل الحـق لا يبالي بما قيـل في حقه من الباطل (٣).

وعنـد النسـائي قـال ابن عمـر للعلاء بـن عِـرَار: « أما علي، فلا تسـألني عنه وانظر إلى منزله من رسـول الله ﷺ، ليس في المسـجد بيت غير بيته ». وفي

(١) فتح الباري ٨/ ١٦١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب ٣ / ١٣٥٨ . وينظر فتح الباري ٧/ ٨٨ .

(٣) فتح الباري ٧/ ٩١.

رواية أخرى له: « أما علي، فهذا بيته من بيت رسول الله ﷺ، ولا أحدثك عنه بغيره »[(١)].

وهكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ ينصحون للأمة، ويجمعونها على الحق، ويظهرون فضائل إخوانهم، حتى سد الله بهم أبواب فتن كثيرة، وحافظوا على دين الله عَزَّ وجَلَّ بإظهار الثقة في حملته، وهم الصحابة رضوان الله عليهم، إذ لولا ذلك لضاع على الناس الكثير من أحكام دينهم، بل ضاع أكثر دينهم، فكان فعلهم هذا من آثار قول الله عَزَّ وجَلَّ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[(٢)].

وأعتقد أن هذه الأمثلة والمواقف السابقة، هي نموذج يمثل إحدى قواعد آداب أصحاب رسول الله ﷺ، وهي شواهد تدل على ما كان بينهم من المودة والتقدير والنصيحة، والمتتبع يجد الكثير من هذه المواقف المشرفة التي هم أهل لها[(٣)].

---

(١) أخرجها النسائي في السنن الكبرى، كتاب الخصائص، ذكر منزلة علي بن أبي طالب ٧/ ٤٤٦، ٤٤٧، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٧/ ١٩): ورجاله رجال الصحيح إلا العلاء، وقد وثقه يحيى بن معين وغيره.

(٢) سورة الحجر، آية ٩.

(٣) **ومن باب الفائدة** أورد هنا وصف عبد الله بن عباس رضي الله عنهما للخلفاء الأربعة الراشدين حينما سأله عيسى بن طلحة عنهم، فوصفهم وصفاً مجملاً دقيقاً مناسباً لسؤال السائل، مبيناً بعض ما لهم من المكانة، قال عيسى بن طلحة: « سألت ابن عباس قلت: يا أبا عباس أخبرني عن سلفنا حتى كأني عاينتهم؟ قَال: تسألني عن أبي بكر، كان والله يا ابن أخي تقيًا نقيًا سريًا، الخير كله فيه، من رجل [يصادى منه غَرْبٌ]، يعني الحدة. تسألني عن عُمَر، كان والله في علمي قويًا نقيًا، قد وضعت =

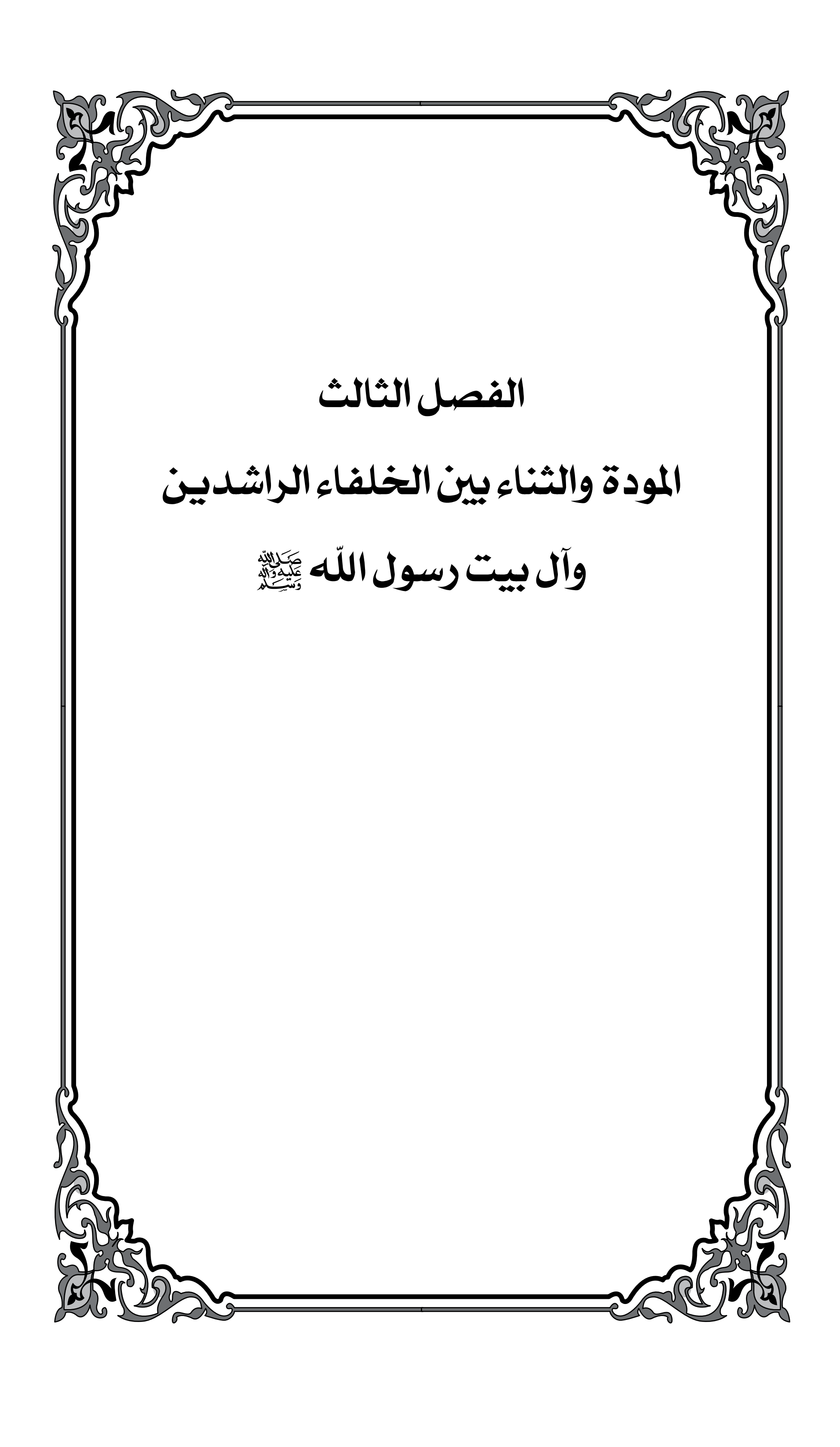
وبمثـل ذلـك اسـتقر تعظيم أصحاب رسـول الله ﷺ في قلـوب المهتدين - وذلـك مـا عليـه أهـل السـنة رضـوان الله عليهـم - وعلمـوا منهـا أن محبة أصحاب رسـول الله ﷺ هي علامة من علامات الإيمان ، وأن بغضهم علامة من علامات النفاق والخذلان !!

يقول الحافظ أبو نعيم صاحب حلية الأولياء في بيان ذلك: « **فمن انطوت سريرتـه عـلى محبتهـم، ودان الله تعـالى بتفضيلهـم ومودتهم، وتـبرأ ممن أضمر بغضهـم، فهو الفائز بالمدح الذي مدحهـم الله تعالى به فقال:** ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ »[1].

* * *

= له الحبائل بكل مرصد، فهو لها حذر، من رجل في سوقه عنف. تسألني عن عثمان، كان والله في علمي صوامًا قوامًا، من رجل يحب قومه، تسألني عن عليّ، كان والله في علمي حليمًا عليمًا، ما رأيته يقول قولاً إلاَّ أحسنه، من رجل ما اتكل على موضعه، ولم أره أشرف على شَيء يقول أنا آخذه إلاَّ أصرف عنه ... ». المعرفة والتاريخ ١/ ٤٨٢-٤٨٣، ورواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة ١/ ٤١٥ مختصراً . ومعنى يصادى منه غربٌ، أي تتحمل منه حدةٌ يسيرة .

(١) تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة ص ٥١.



الفصل الثالث

المودة والثناء بين الخلفاء الراشدين

وآل بيت رسول الله ﷺ

الفصل الثالث

المودة والثناء بين الخلفاء الراشدين

وآل بيت رسول الله ﷺ

إن الله عَزَّ وجَلَّ قد أثبت في كتابه أصل العلاقة بين أصحاب رسوله ﷺ، وهـي التراحم فيما بينهم، وذكـر لهم مفردات عظيمة أتمت لهم جوانب الأخوة في الله، وإذا كانـت هذه هي الصورة العامة للمسـلمين فـإن علاقتهم بآل بيت رسـول الله ﷺ قد تميزت بمزيد من المودة والإكرام، معرفة بأقدارهم، وحفظاً لوصية رسول الله ﷺ بهم .

وقد كانت علاقة الخلفاء الثلاثة الراشدين بآل البيت علاقة حميمة ، علاقة تتناسب مع قدر هؤلاء الخلفاء، وما كانوا عليه من شدة المحبة لرسول الله ﷺ، وصـدق القيـام بأمره، وكذا كانت للخلفاء الراشـدين أبي بكـر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين مكانة كبيرة في نفوس آل بيت رسول الله ﷺ .

كل ذلـك من خلال نصوص وشـهادات ومواقف، بلغت في جملتها مبلغ التواتر، قد حملتها كتب الصحاح والسنن والتواريخ والآثار، جليةً معانيها، قويةً دلالتها، متعددةً مناسـباتها التي قيلـت فيها، تتعطر المجالس بذكرها، وتنشرح الصدور بسماعها، ولا أطيل عليك في التقديم، فهي بين يديك قريب.

وسوف نتناول هذه المكانة من خلال المباحث الثلاثة الآتية:

المبحث الأول: في مكانة الشيخين عند سيدنا عليّ رضي الله عنه [1] .

المبحث الثاني: في مودة الشيخين لآل بيت رسول الله ﷺ .

المبحث الثالث: في المودة بين أميري المؤمنين عثمان وعلي رضي الله عنهما.

***

---

(١) آثرت أن أبدأ بهذا المبحث لأنه أظهر في الدلالة على المودة بين آل البيت المتمثلة في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وبين الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهم جميعاً .

المبحث الأول

مكانة الشيخين عند سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه

لقد كانت لسيدنا أبي بكر الصديق وسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنهما مكانة عظيمة في نفس سيدنا علي بن أبي طالب، مكانة تفرعت عن مكانتهما عند رسول الله ﷺ، فقد رأى شدة تعلق رسول الله ﷺ بهما، وكيف كان رسول الله ﷺ يمدحهما، ويذكر فضائلهما، ورأى بلاءهما في دين الله عَزَّ وجَلَّ، ورأى كيف عاشا لهذا الدين، وكيف مَثَّلا تمام الصدق في صحبة رسول الله ﷺ، وفي حياطة الأمة وتحمل أمانتها من بعده، وكيف سارا على هدي صاحبهما ﷺ حتى لقياه، فلم يَعْدِل عليٌّ رضي الله عنه بهما أحداً من المسلمين.

وقد ظهرت مكانتهما عنده في أقواله فيهما وشهادته لهما وروايته لفضائلهما، فقد تواتر عن علي رضي الله عنه مدحه لهما، بل تواتر عنه أنهما خير هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ[1]، وأن رسول الله مات وهو راض عنهما، وفي تمنيه اللحوق بهما على ما كانا عليه من الهدى، وكراهيته مخالفتهما، وأنه لزم طاعتهما في خلافتهما، ومواقف وتعبيرات أخرى نقف عليها إن شاء الله تعالى دالة على رقي تلك الأخوة، وعلى ما كانوا يتمتعون به رضي الله عنهم من نفوس كريمة صافية.

---

(١) ذكر التواتر عن علي رضي الله عنه في تقديمه لهما الذهبي في تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين ٣/ ١١٥).

وسنتناول هذا المبحث إن شاء الله تعالى من خلال النقاط الآتية:

١- ثناء سيدنا عليّ على الشيخين وروايته لفضائلهما .

٢- من أعمال عليٍّ ومواقفه الدالة على عظم مكانة الشيخين عنده .

أولاً: ثناء سيدنا علي على الشيخين وروايته لفضائلهما:

لقد كان سيدنا علي رضي الله عنه من أكثر الناس ثناء على صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فقد روى من فضائلهما ، وأعلن بها للناس في مواطن عدة وعلى منبر الكوفة ، وأنهما قد سبقا على الحق وعلى منهج النبوة، مما سنقف عليه في هذا المبحث.

وكما جاء مدحه لهما منفردين ، جاء مدحه لهما مجتمعين .

أ- فأما ثناؤه على أبي بكر وروايته لفضائله:

فمنه روايته فضيلة تسمية أبي بكر بالصديق ، وأنها نزلت من عند الله تعالى، فقد أخرج الطبراني بسند رجاله ثقات عن أبي تِـحْيَى حُكيم بن سعد، قال: سمعت علياً رضي الله عنه يحلف: « **للهُ أنزل اسم أبي بكر من السماء: الصديقُ** » [1]. وتلك منقبة عظيمة من مناقبه رضي الله عنه .

---

(١) المعجم الكبير ١/ ٥٥ ، وأخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة ١/ ٢٤. وقال الحافظ في الفتح (٧/ ١١): رجاله ثقات . وقال الهيثمي في المجمع ٩/ ٤١: رواه الطبراني ورجاله ثقات .

ومنه إشارته إلى عظم مقام أبي بكر في الصدق والتحري ، وذلك فيما رواه أحمد وأبو يعلى بسند صحيح، والترمذي وحسنه: عن أسماء بن الحكم الفزاري عن عليٍّ قال: « كنت إذا حُدِّثْتُ عن رسول الله ﷺ حديثاً استحلفت صاحبه، فإذا حلف لي صدقته، **فحدثني أبو بكر، وصدق أبو بكر**، أنه ﷺ قال: **ليس من عبد يذنب ذنباً فيتوضأ ويصلي ركعتين ويستغفر الله إلا غُفِرَ له** » (١) .

ومنه مدحه لأبي بكر رضي الله عنه وشهادته بأنه أعظم المسلمين أجراً في جمعه للقرآن الكريم ، فقد روى أبو نعيم وغيره بسند صحيح عن عبد خير ، قال: « سألت علياً رضي الله عنه عن أول من جمع القرآن في المصحف ؟ فكان أول ما استقبلني به قال: **رحم الله أبا بكر ، كان أعظم الناس أجراً في القرآن ، هو أول من جمعه بين اللوحين** » (٢) .

فهذه بعض الروايات لمدحه وثنائه على أبي بكر رضي الله عنه منفرداً .

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده ١/ ٢٣ ، ٢٥-٢٦، وأحمد في مسنده ١/ ٢، ٩ ، ١٠، وأبو داود، كتاب سجود القرآن، باب في الاستغفار ٢/ ٢٩٦، والترمذي في سننه، أبواب الصلاة، الصلاة عند التوبة ١/ ٤٣١، وابن حبان في صحيحه ٢/ ٣٨٩-٣٩٠، وغيرهم . وقال الحافظ في الفتح في كتاب الدعوات ١١/ ١٠١: حديث حسن ... أخرجه أحمد والأربعة، وصححه ابن حبان .

(٢) معرفة الصحابة لأبي نعيم ١/ ٣٢- ٣٣ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٠/ ٣٧٩-٣٨١ . وأخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ١/ ١٦٥ . وقال الذهبي في تاريخ الإسلام (٣/ ١١٥ عهد الخلفاء الراشدين): إسناده حسن . وقال الحافظ ابن حجر: (فتح الباري كتاب فضائل القرآن ٨/ ٦٢٩): أخرجه ابن أبي داود في المصاحف بإسناد حسن عن عبد خير .

ب- وأما ثناؤه رضي الله عنه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مجتمعين:

فمنه ما تواتر عنه أنهما أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ ، فعن أبي جحيفة قال: قال علي رضي الله عنه: « خيرُ هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، وبعد أبي بكر عمر، ولو شئت أخبرتكم بالثالث لفعلت » (١).

وعن عبد خير عن علي أنه قال: « ألا أنبئكم بخير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ أبو بكر ثم عمر » (٢).

قال الإمام الذهبي تعليقاً على هذا الحديث:: « هذا والله العظيم قاله عليٌّ، وهو متواتر عنه؛ لأنه قاله على منبر الكوفة » (٣).

ج- مدحه لسيرتهما ومنهجهما:

جاء ذلك في أحاديث عدة ، فعن عبدِ خيرٍ قال: قام علي رضي الله عنه على المنبر فذكر رسول الله ﷺ فقال: « قبض رسول الله ﷺ، واستُخْلِفَ أبو بكر رضي الله عنه، فعمل بعمله وسار بسيرته حتى قبضه الله عَزَّ وجَلَّ على ذلك، ثم استخلف عمر رضي الله عنه على ذلك، فعمل بعملهما وسار بسيرتهما حتى قبضه الله عز و جل على ذلك » (٤).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/ ١٠٦ ، ١١٠ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/ ١١٠، ١١٥ ، ١٢٥ .

(٣) تاريخ الإسلام - عهد الخلفاء الراشدين - ٣/ ١١٥ .

(٤) أخرجه أحمد في المسند ١/ ١٢٨ ، وابن أبي شيبة في المصنف، كتاب المغازي، ما جاء في خلافة أبي بكر وسيرته في الردة ٢٠/ ٥٨٢ ، وقال الهيثمي في المجمع ٥/ ١٧٦: رواه أحمد ورجاله ثقات.

د- ومن تلك الشواهد: شهادته لعمر رضي الله عنه على فراش موته، وإعلانه بمدى تعلق النبي ﷺ به وبأبي بكر:

جاء ذلك في شهادة عظيمة، تعبر كلُّ جملة منها عن هذا التقدير، وهذه المحبة، وقد رواها الإمام البخاري في صحيحه عن ابن أبي مليكة أنه سمع ابن عباس يقول: « وُضِعَ عمرُ على سريره، فتكنَّفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجلٌ آخذ منكبي، فإذا علي بن أبي طالب فترحم على عمرَ، وقال: **ما خلفتَ أحداً أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك** (١)، وايم الله، إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحَسِبت أني كنت كثيراً أسمع النبي ﷺ يقول: **ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر** » (٢) .

فهذا الحديث لا يحتاج إلى تعليق، فهو ظاهر بنفسه، وإنما عليك أن تقف على كل جملة فيه لتعرف مدى التقدير والمحبة،وكيف كانت مكانة الشيخين في دين الله، وقربهما من رسول الله ﷺ، ومدى تقدير سيدنا علي رضي الله عنه لتلك المكانة .

---

(١) قال الحافظ في الفتح: وفي هذا الكلام أن عليًّا كان لا يعتقد أن لأحد عملًا في ذلك الوقت أفضل من عمل عمر . وقد أخرج ابن أبي شيبة ومسدد من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن علي نحو هذا الكلام، وسنده صحيح ، وهو شاهد جيد لحديث ابن عباس؛ لكون مخرجه عن آل علي رضي الله عنهم . (فتح الباري ٧/ ٦٠) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، في موضعين في مناقب أبي بكر، وفي مناقب عمر (الفتح ٧/ ٢٦، ٥١) .

ثانياً: من أعمال عليٍّ ومواقفه الدالة على عظم مكانة الشيخين عنده:

أ- فمنها: مبايعة علي لأبي بكر رضي الله عنهما:

لقد بايع سيدنا علي رضي الله عنه سيدنا أبا بكر رضي الله عنه ، كما بايعه الناس في أول خلافته ، ورضي به كما رضي المسلمون، وجدد له سيدنا علي البيعة مرة ثانية [1]، وبيّن فيها فضل أبي بكر، وأنه أهل لهذا الفضل الذي آتاه الله إياه، وأنهم ما نَفِسوا عليه ولا حسدوه فيما اختاره الله له، ولم ينازعوه فيه ، وبيّن أنهم لم يجدوا في أنفسهم شيئاً قط إلا أن البيعة تمت من غير استشارة

---

(١) يظهر ذلك من لفظ المراجعة في قول السيدة عائشة رضي الله عنها في هذا البيعة: « وكان المسلمون إلى علي قريباً حين راجع الأمر المعروف » . كما رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ٤/ ١٥٥٠، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ: « لا نُورَثُ، ما تركنا فهو صدقة » (شرح النووي ١٢/ ٣٠٢) .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية ٦/ ٣٠١-٣٠٢: « وقد اتفق الصحابة رضي الله عنهم على بيعة الصديق في ذلك الوقت، حتى علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام ». ثم ساق الروايات الصحيحة الدالة على ذلك . وقال: « وأما ما يأتي من مبايعته إياه بعد موت فاطمة رضي الله عنها، وقد ماتت بعد أبيها ﷺ بستة أشهر فذلك محمول على مبايعة ثانية أزالت ما كان وقع من وحشة بسبب الكلام في الميراث » . وقال أيضاً: « ولكن لما وقعت هذه البيعة الثانية اعتقد بعض الرواة أن علياً لم يبايع قبلها، فنفى ذلك ، والمثبت مقدم على النافي كما هو مقرر ، والله أعلم ». وينظر ما ذكره البيهقي في الاعتقاد في ذلك (٢٧٦ – ٢٧٨)، وتنبيهه على إدراج الزهري لتأخر علي في البيعة ستة أشهر في حديث السيدة عائشة، وحِفْظ معمر له روايته للتأخر من قول الزهري منقطعاً . والله تعالى أعلم .

لهم، وأنهم من أحق من يستشار فيها [1].

---

(١) ستأتي رواية البخاري . وقد أخرج الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، أبو بكر الصديق بن أبي قحافة (٣/ ٦٦-٧٦)، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم. وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى في قتال أهل البغي، باب ما جاء في تنبيه الإمام على من يراه أهلاً للخلافة بعده (٨/ ١٥٣)، كلاهما عن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف ، في بيعة علي لأبي بكر رضي الله عنهما: « وقال علي والزبير رضي الله عنهما: ما غضبنا إلا لأنا أخرنا عن المشاورة، وإنا نرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله ﷺ، إنه لصاحب الغار وثاني اثنين وإنا لنعرف شرفه وكِبَرَهُ، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حي ». اهـ . والكُبْرُ أي الرفعة في الشرف، والكِبَرُ بمعنى السن .

والذي جدد ذلك رغم أن علياً رضي الله عنه بايع أبا بكر مع الناس، هو ما حصل من وحشة بسبب الاختلاف فيمن يلي صدقات النبي ﷺ خاصة أموال بني النضير بالمدينة، ولذلك قال الصديق مباشرة بعد كلام سيدنا علي في فضل أبي بكر كما في رواية البخاري (فتح ٦/ ٥٦٤): « وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال فلم آل فيها عن الخير ، ولم أترك أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته » . ولا يتعارض مع ما سيأتي ص (١٤٩) من ضحك عليٍّ وسروره من مداعبة أبي بكر للحسن بن علي، لأنه كان بعد البيعة الأولى والظاهر أنه كان قبل الكلام في الميراث .

وقد كان علي رضي الله عنه وغيره من آل البيت يرون أنهم أحق بتولي توزيع صدقات النبي ﷺ ، ورأى أبو بكر رضي الله عنه أن خليفة الرسول ﷺ أحق بالقيام بأمر هذه الصدقات وتولي ما كان رسول الله يتولاه ومنه أمر المال ، لما ثبت أن رسول الله ﷺ قال: « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة » ، وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه جعل عمر فقط أمر توزيع صدقات النبي بالمدينة بيد علي والعباس رضي الله عنهما بشرط أن يقوما عليه بمثل ما كان يقوم عليه رسول الله ﷺ وأبوبكر، ولما تولى علي رضي الله عنه الخلافة لم يغير شيئاً من ميراث النبي ومن صدقاته ﷺ، وظل على ما كان عليه في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم كانت صدقات النبي بالمدينة بيد حسن بن علي ثم بيد حسين بن علي، ثم بيد علي بن الحسين ، ثم بيد الحسين بن الحسن، ثم بيد زيد بن الحسن ، ثم بيد عبد الله بن الحسن ، ثم تولاها =

والمتتبع لحديث بيعة أبي بكر رضي الله عنه ليعلم أن الحاضرين بسقيفة بني ساعدة - والتي تمت فيها البيعة - لم تطب أنفسهم أن يتقدموا أبا بكر [1]،

= بنو العباس، كما ذكر أبو بكر البرقاني في صحيحه، ولم ينقل عن واحد منهم أنه تملكها أو ورثها أو ورثت عنه. تنظر الرواية المطولة للميراث في صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، وشرح الحافظ ابن حجر لها (فتح الباري ٦/ ٢٢٧-٢٢٨) وشرح الإمام النووي لهذا الحديث (مسلم بشرح النووي ١٢/ ٢٩٦-٢٩٧).

وأما سهم النبي ﷺ في الغنائم، فقد قال الإمام الشافعي رحمه الله: « وقد مضى رسول الله ﷺ بأبي هو وأمي ماضياً، وصلى الله وملائكته عليه، فاختلف أهل العلم عندنا في سهمه: فمنهم من قال: يرد على السهمان التي ذكرها الله معه، ومنهم من قال: يضعه الإمام حيث رأى على الاجتهاد للإسلام وأهله، ومنهم من قال: يضعه في الكراع والسلاح، والذي أختار أن يضعه الإمام في كل أمر حصن به الإسلام وأهله من سد ثغر أو إعداد كراع أو سلاح أو إعطائه أهل البلاء في الإسلام نفلاً عند الحرب وغير الحرب، إعداداً للزيادة في تعزيز الإسلام وأهله، على ما صنع فيه رسول الله ﷺ، فإن رسول الله ﷺ قد أعطى المؤلفة، ونفل في الحرب، وأعطى عام خيبر نفراً من أصحابه من المهاجرين والأنصار أهل حاجة وفضل، وأكثرهم أهل فاقة، نرى ذلك - والله أعلم - كله من سهمه ». (السنن الكبرى للبيهقي ٢/ ٤٧، كتاب قسم الفيء، باب سهم الله وسهم رسوله) والكراع اسم لجمع الخيل.

وقد كان علي رضي الله عنه يفعل فيه مثل ما كان يفعل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، بل أشد، فقد روى الطبري عن الأعمش، عن إبراهيم النخعي - وقد لقي عليا رضي الله عنه - قال: « كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يجعلان سهم النبي ﷺ في الكُرَاع والسلاح. فقلت لإبراهيم: ما كان علي رضي الله عنه يقول فيه؟ قال: كان عليٌّ أشدَّهم فيه ».(تفسير الطبري، تفسير سورة الأنفال، الآية ٤١).

(١) فقد أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب المغازي، ما جاء في خلافة أبي بكر وسيرته ٢٠/ ٥٧٨، وأحمد في مسنده ١/ ٢١، ٣٩٦ وغيره، والنسائي، كتاب الإمامة، ذكر الإمامة والجماعة، إمامة أهل العلم والفضل ٢/ ٧٤، ورواه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، أبو بكر الصديق بن أبي قحافة ٣/ ٦٧، وصححه =

وأنه لم يطلب البيعة لنفسه [١]، وأنهم قد أُلجِئوا إلى الإسراع بمبايعته رضي الله عنه خشية الاختلاف، فكانت بيعته رضي الله عنه حفظاً للأمة وأماناً لها من الفرقة والاختلاف، وكانت مثلاً مشرفاً لسرعة انصياع الصحابة إلى الحق بعد أن تبين لهم، بل مثلاً يندر أن يتكرر مثله في الدنيا [٢].

والمتتبع لأحاديث البيعة أيضاً في الصحيحين وفي غيرهما وما قيل في تقديم أبي بكر رضي الله عنه يعلم اتفاق الصحابة رضي الله عنهم بما فيهم علي رضي الله عنه على بيعته، وأنهم لم يقدموا أحداً عليه [٣].

= الذهبي في قصة البيعة: عن عبد الله بن مسعود عن عمر أنه قال: « يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبا بكر يؤم الناس ؟ فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر ؟ فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر ». وقال الحافظ في الفتح (كتاب الحدود ١٢/ ١٥٦): ووقع في حديث ابن مسعود عند أحمد والنسائي ... وسنده حسن، وله شاهد من حديث سالم بن عبيد الله عن عمر، أخرجه النسائي أيضاً، وآخر من طريق رافع بن عمرو الطائي، أخرجه الإسماعيلي في مسند عمر بلفظ: « فأيكم يجترئ أن يتقدم أبا بكر ؟ فقالوا: لا أينا » وأصله عند أحمد وسنده جيد. اهـ، وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ١٨٣): رواه أحمد وأبو يعلى، وفيه عاصم بن أبي النجود، وهو ثقة، وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(١) كما قال في إحدى روايات البخاري: « فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح ». البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: « لو كنت متخذاً خليلاً...» ٣/ ١٣٤٢.

(٢) تنظر روايات بيعة أبي بكر في صحيح البخاري، كتاب المحاربين، باب رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت (٦/ ٢٥٠٣-٢٥٠٧) ومسند أحمد ١/ ٥٥-٥٦ .

(٣) روى البيهقي في مناقب الشافعي (١/ ٤٣٤ - ٤٣٥)، ومعرفة السنن والآثار (١/ ١١٣) انعقاد الإجماع على ذلك فقد روى عن الحسن بن محمد الزعفراني يقول: « سمعت الشافعي يقول: أجمع الناس على خلافة أبي بكر ... » وقال: قال الشافعي: « اضطر الناس بعد رسول الله ﷺ إلى أبي بكر، فلم يجدوا تحت أديم السماء خيراً من أبي بكر؛ من أجل ذلك استعملوه على رقاب الناس » .

ومما قاله علي رضي الله عنه عند مبايعته لأبي بكر رضي الله عنه ما رواه البخاري عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: « فتشهد علي ثم قال: إنا قد عرفنا يا أبا بكر فضيلتك . وذكر قرابتهم من رسول الله ﷺ وحقهم، فتكلم أبو بكر، فقال: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي » [(١)] .

ولذلك تقول السيدة عائشة رضي الله عنه في هذه البيعة: « فسُرَّ بذلك المسلمون، وقالوا: أصبت » [(٢)] .

فهكذا كان ثناء أحدهم على الآخر، وهكذا يوضحون للناس الأمور من باب الديانة والمسؤولية؛ إزالة لأي ريب، ودفعاً لتشويش من شوش من المنافقين.

قال الحافظ ابن حجر: « قال القرطبي: من تأمل ما دار بين أبي بكر وعلي من المعاتبة ومن الاعتذار وما تضمن ذلك من الإنصاف عرف أن بعضهم كان يعترف بفضل الآخر ، وأن قلوبهم كانت متفقة على الاحترام والمحبة ، وإن كان الطبع البشري قد يغلب أحياناً لكن الديانة ترد ذلك » [(٣)] .

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ٣/ ١٣٦٠-١٣٦١ . وينظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ: «لا نورث، ما تركنا صدقة» (شرح النووي ١٢/ ٣٠١) .

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ٤/ ١٥٥٠ ، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ: «لا نورث، ما تركنا صدقة» (شرح النووي١٢/ ٣٠٢) .

(٣) فتح الباري، كتاب المغازي (٧/ ٥٦٦) ، وقد أطلت هنا بعض الشيء للحاجة ، والله الموفق .

ب- ومنهـا: كراهية سـيدنا علي مخالفتهما في الأحكام وشـهادته أن فعلهما سنة متبعة:

فبخلاف ما سـبق من مدح علي لنهج أبي بكـر وعمر، فإن ذلك يظهر من صريح قوله رضي الله عنه، وذلك فيما أخرجه الإمام مسلم في قصة جلد الوليد ابـن عقبة بن أبي معيط بأمر سـيدنا عثـمان رضي الله عنه في خلافته، وذلك بعد أن قامـت البينـة عـلى شرب الوليد للخمـر، فعن علي رضي الله عنـه قال: « يا عبـد الله بـن جعفـر قُمْ فاجلـده، فجلـده وعلي يعد، حتـى بلغ أربعـين فقال: أمسـك، ثم قال: جلد النبي ﷺ أربعين، وجلد أبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وكلٌّ سُنَّةٌ، وهـذا أَحبُّ » [1].

ويظهـر ذلك أيضـاً من كراهة مخالفتـه لهما في القضاء والأحـكام فيما كان محـلاً للاجتهـاد، محافظة عـلى جماعة الناس - وكان هذا دأبـه رضي الله عنه - ؛ دفعـاً للاختلاف المؤدي إلى تنازع الناس. فقد كان يفتي أولاً بمنع بيع أمهات الأولاد موافقـاً بذلـك عمـر رضي الله عنه، ثم تغـير اجتهاده بالعـراق، فأفتى بجـواز بيعهـن، فلما روجـع في ذلك رجع عنـه إلى رأيه الأول، وقـال كما رواه البخـاري عـن عَبيدة بن عمرو السـلماني عن علي رضي الله عنه قـال: « **اقضوا كمـا كنتم تقضون، فإني أكره الاختلاف؛ حتى يكـون الناس جماعةً، أو أموت كما مات أصحابي** » [2].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (شرح النووي ١١/ ٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عليّ بن أبي طالب ٣/ ١٥٣٩.

قـال الحافـظ ابن حجر في قوله: (فإني أكره الاختلاف): « قال ابن التين: يعنـي مخالفـة أبي بكر وعمـر ، وقال غيره: المراد المخالفة التـي تؤدي إلى النزاع والفتنة ، ويؤيده قوله بعد ذلك: (حتى يكون الناس جماعة) » [1] .

فانظـر فعله رضي الله عنه مـن كراهته للاختلاف، وذاك مثلٌ مما كان عليه الصحابـة من حب اجتماع الكلمة، وعدم تشـتيت النـاس ، وانظر هذه العبارة الرقيقة الدالة على شوقه إلى أصحابه الذين سبقوه، ومحبتهِ أن يلحق بهم على ما كانوا عليه في قوله: « أو أموت كما مات أصحابي ».

ج- ومن تلك الشـواهد العملية المؤكدة للمحبة بينهم، تسمية سيدنا علي أبناءه بأسماء الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم:

فالناظر في تسـمية سـيدنا علي رضي الله عنه لأبنائه يجده يسـميهم بأسـماء مـن يعتز بهم ويحبهم، سـواء كانوا من أقاربه، أم من بقية أصحاب رسـول الله ﷺ،فقد سـمى منهـم محمداً الأكـبر والأوسـط والأصغر، والعبـاس الأكبر، وجعفراً الأكبر، وأبا بكرٍ، وعمرَ الأكبرَ، والأصغرَ، وعثمانَ وغيرهم [2] . فهذه التسمية من أظهر الدلائل على علو مقام إخوانه عنده ومحبته لهم .

د- ومنهـا: مشـورته في قتـال أهل فـارس ، وهي من المواقـف الدالة على معرفـة عـلي رضي الله عنه بعظم مكان عمر رضي الله عنه في الحفاظ على وحدة

(١) فتح الباري، مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٨/ ٩١-٩٢ .

(٢) ينظر الطبقات الكبرى، ترجمة علي بن أبي طالب ٣/ ١٣-١٥ . وينظر كتاب جمل من أنساب الأشراف للبلاذري، ولد علي بن أبي طالب ٢/ ٩١٣-٩١٦، وينظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٣٧-٣٨ ، والتبيين في أنساب القرشيين لابن قدامة ص ١٣٧ .

الأمـة، فقد شاور عمر أصحاب رسول الله ﷺ، في الخروج بنفسه لقتال فارس لما تجمعوا لقتال المسـلمين في نهاونـد، فبعد أن تكلم عثمان بـن عفان ،وطلحة والزبـير وعبـد الرحمـن بـن عـوف رضي الله عنهم وغيرهـم من أهـل الرأي، فاتفقـوا على عـدم خروج عمر بنفسـه، قام علي رضي الله عنـه فقال: « أصاب القوم يا أمير المؤمنين الرأي ... وإن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه لكثرة ولا قلـة، هـو دينه الـذي أظهر وجنده الذي أعـز وأيده بالملائكـة حتى بلغ ما بلغ، فنحن على موعود من الله، والله منجز وعده وناصر جنده، **ومكانك منهم مـكان النظـام من الخرز، يجمعه ويمسـكه، فإن انحل تفرق مـا فيه وذهب ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً**، والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً فهي كثير عزيز بالإسلام، فأقم واكتب إلى أهل الكوفة فهم أعلام العرب ورؤساؤهم ... فليأتهم الثلثان وليقـم الثلث واكتب إلى أهل البصرة أن يمدوهم ببعض من عندهم فسر عمر بحسن رأيهم وأعجبه ذلك منهم »(١).

هـ - ومنها شهادته لعمر أنه كان راشداً في حكمه، وعدم تغييره لما صنعه عمر :

فقـد جاء نصارى نجـران إلى علي رضي الله عنه ليردهـم إلى الأرض التي أجلاهم عنها عمر رضي الله عنها، كما رواه ابن أبي شـيبة بسـنده عن سـالم بن أبي الجعـد قال: « جاء أهل نجـران إلى علي فقالوا: يا أمير المؤمنين كتابك بيدك وشـفاعتك بلسـانك، أخرجنا عمـر من أرضنـا فارددنا إليها، فقـال لهم علي:

(١) تاريـخ الطـبري ٤/ ١٢٣-١٢٤، البداية والنهاية ٧/ ١٠٩ . ومعنـى النظام: هو كل خيط ينظم بـه لؤلؤ ونحوه (القامـوس المحيط، مادة نظم). قلتُ: فمقام عمـر رضي الله عنه من الأمة هو مكان الخيط الذي يجمع الخرز .

(**ويحكم إن عمر كان رشيد الأمر، ولا أغير صنعة عمر**). قال الأعمش : فكانوا يقولون لو كان في نفسه على عمر شيء لاغتنم هذا علي » [١].

و- ومن شواهد القرب بينهما: ما ذكره الإمام الذهبي في تذكرة الحفاظ وغيره، عن قيس بن عباد رضي الله عنه قال : « دخلت المدينة ألتمس العلم والشرف فرأيت رجلاً عليه بردان، له ضفيرتان، **واضعاً يده على عاتق عمر**، فقلت: من هذا ؟ فقالوا: عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه »[٢].

---

(١) المصنف ، كتاب الفضائل، ما ذكر في فضل عمر بن الخطاب، ١٧/ ٦٥ . وأخرج البيهقي نحوه عن سالم، وعن عبد خير، كتاب آداب القاضي، باب من اجتهد من الحكام ثم تغير اجتهاده ١٠/ ١٢٠ .

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ١٣، والخبر رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (١/ ٨٠)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١/ ١٣٠)، وأخرجه الفسوي في تاريخه (١/ ٤٤٥)، ولكن قال : (هذا علي، وعمر واضع يده على منكب علي) . أي اختلفت الهيئة فقط، وكلاهما يدل على المعنى المقصود، بل الرواية الأولى التي ذكرها الذهبي أدل على التواد لأن عمر كان أسن من عليّ رضي الله عنهما، ومع ذلك كان عليّ هو الواضع يده على كتف عمر .

وذكرها المحب الطبري في الرياض النضرة (٣/ ٩٧) في صفة علي رضي الله عنه ، وعزاها لابن أبي عاصم ، وجمع بينها وبين ما روي من أنه كان أصلع شعر الرأس، قال : « ولا تضاد بينهما، إذ يكون الشعر انحسر عن وسط رأسه، وكان في جوانبه شعر مسترسل، جمع فظفر باثنتين ». ا. هـ

قلتُ: وهذه صفة علي التي رواها أبو نعيم في معرفة الصحابة (١/ ٧٩) عن الشعبي قال: « رأيتُ علي بن أبي طالب يخطب على المنبر شيخاً مربوعاً أسمر أبلج أصلع له ضفيرتان، أبيض الرأس واللحية، له لحية قد ملأت ما بين منكبيه ».

ز- ومن الشواهد على ذلك أيضاً: اعتزاز علي بكسوة كساها له عمر:

فعن أبي السفر سعيد بن يحمد قال: « رُئي على علي بن أبي طالب رضي الله عنه بُرْدٌ كان يُكْثر لُبسه قال: فقيل له: إنك لتكثر لُبس هذا البُرد ؟! فقال: **إنه كسانيه خليلي وصفيي وصديقي وخاصتي عمر، إنَّ عمر ناصحَ اللهَ فنصحهُ، ثم بكى** »[1].

فانظر تعديد عليٍّ لما كان بينه وبين عمر من خلائل المودة، وتعلقه بما أهداه له عمر، وبكاءه المعبر عن تقديره وشوقه إليه، ومعنى قوله: (ناصح الله): أي صدق مع الله، ومعنى (نصحه): أي زكاه وأرشده ووفقه .

وقد كان علي رضي الله عنه يقول في ذلك أيضاً: « ما كنا ننكر ونحن متوافرون أصحاب محمد ﷺ **أن السكينة تنطق على لسان عمر** »[2]، ومعنى متوافرون أي متواجدون بكثرة .

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الفضائل، ما ذكر في فضائل عمر بن الخطاب ١٧/ ٦١ ، والآجرى في الشريعة ٣/ ٤٢٤، وأخرجه الآجري أيضاً عن أبي إسحاق السبيعي عن أبي مريم قال: « رأيت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه برداً ... » . وقال محققه: أثر أبي مريم وأبي السفر صحيح لغيره .

(٢) أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ (١/ ٦٤٢)، والبيهقي في الدلائل (٦/ ٣٧٠)، وقال: تابعه زر بن حبيش والشعبي عن علي، وأخرجه بلفظ قريب عبد الرزاق في المصنف (١١/ ٢٢٢)، وابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الفضائل، ما ذكر في فضل عمر بن الخطاب، بسند صحيح ١٧/ ٥٣. والطبراني في الأوسط (٥/ ٣٥٩)، وقال الهيثمي (٩/ ٦٧): إسناده حسن. وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٢٨، ٨/ ٢١١)، والضياء (٢/ ١٧١). وأحمد بلفظ مقارب (١/ ١٠٦)، وقد ورد ذلك من قول رسول الله ﷺ، رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « **قد كان يكون في الأمم قبلكم مُحَدَّثُونَ، فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم** ». قال ابن وهب: تفسير مُحَدَّثُونَ: مُلْهَمُونَ .

وبعـــــد، فهذه شـواهد ومواقف تبين علو مقام خليفتي رسـول الله ﷺ وصاحبيـه أبي بكـر وعمر رضي الله عنهما عند سـيدنا علي رضي الله عنه، وتبين تعلقـه بهـما وبهديهـما، ومدى ما كانوا ينعمـون به من الأخـوة في الله عَزَّ وجَلَّ، وستقف على مزيد من ذلك في المباحث التالية إن شاء الله تعالى .



المبحث الثاني
في مودة الشيخين رضي الله عنهما
لآل بيت رسول الله ﷺ

تمهيد: في مودة آل بيت النبي ﷺ:

إذا عرفنا مما سبق كيف كان عظم مكانة الشيخين عند سيدنا علي رضي الله عنه، وهي تدل على عظم مقامهما عند آل البيت جميعاً، فإن مقام آل البيت عند أبي بكر وعمر كان أرقى وأكثر شهرة، وكذا كان عند بقية أصحاب رسول الله ﷺ.

فقد علم الصحابة وصية رسول الله ﷺ فيهم جميعاً، وما بين من مناقبهم وفضائلهم، سواء فيهم عامة أم في أفرادهم، كالسيدة فاطمة، وسيدنا علي، وأخيه جعفر بن أبي طالب، وسيدَيْ شباب أهل الجنة الحسن والحسين، وعمه العباس، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين، فعرف الصحابة لهم هذه المنزلة العليا، وهذه القرابة من رسول الله ﷺ المقتضية مزيد المحبة، ومزيد الحرمة، ومزيد الإكرام.

وسمعوا تأكيد النبي ﷺ بالوصية بهم، وهو في طريق رجوعه من حجة الوداع، فقد قال ﷺ فيما رواه مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه مذكراً بهم: « **ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به**، فحث على كتاب الله، ورغب فيه، ثم قال: **وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي** » . وفسر الصحابي

المقصود بأهل البيت هنا عندما سأله الراوي عنه: « فقال له حصين: ومن أهلُ بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرِمَ الصدقة بعده، قال: ومن هم ؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة ؟ قال: نعم » (١) .

وسمعوا قول النبي ﷺ لعمه العباس: « **والذي نفسي بيده، لا يدخل قلبَ رجلٍ الإيمانُ حتى يحبكم لله ولرسوله** ». ثم قال: « **يا أيها الناس من آذى عمي فقد آذاني، فإنما عم الرجل صنو أبيه** » (٢) .

فكان تقديرُ آل البيت وإكرامهم مقرراً عند أصحاب رسول الله ﷺ ، وما كان ذلك ليجعل آل بيت النبي ﷺ يتعالون عليهم، أو يظن الناس فيهم عصمة، أو أن يمتنعوا من أن يطلبوا حقاً لهم عندهم، أو أن لا يخالفوا اجتهاد أهل الاجتهاد منهم، وإنما هو الرفق والمحبة والتقديم وأدب المعاملة من غير مغالاة فيهم رضي الله عنهم (٣)، كل ذلك حفظاً لرحم رسول الله ﷺ ، الذي شرفت به الأمة كلها .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب (شرح النووي ١٥/ ١٧٤-١٧٥)، وأحمد في المسند ٤/ ٣٦٦ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب العباس بن عبد المطلب ٦/ ١٠٨، وأحمد في المسند ٤/ ١٦٥، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح .

(٣) يقول الدكتور فاروق حمادة في تحقيقه لكتاب فضائل الصحابة للنسائي (ص ٧٤) وهو يعلق على فضائل سيدنا علي رضي الله عنه: « مناقبه وخصائصه كثيرة جداً، أُلِّفت فيها كتب في الماضي والحاضر، وقد غالى فيه طائفة في حياته كرم الله وجهه وألهوه فحرقهم بالنار، وأصبح ذيله كرم الله وجهه في العهد الأموي ملاذاً لكل حاقد على الإسلام باسم محبة آل البيت، وهكذا مع الأيام حتى نشأت مذاهب باسم آل البيت بعيدة عن القرآن والسنة ». ومعنى ذيل الرجل: قميصه ورداؤه إذا طال فجرَّه، والمراد ما يتصل به رضي الله عنه من ادعاء مناصرته، والانتماء إليه كذباً وزوراً .

وكان ذلـك الحب والإكرام مما استقر في عقائد المسـلمين وأخلاقهم ، يقـول الإمام البيهقي رحمه الله في شُـعب الإيـمان: « ودخل في جملة محبته ﷺ حب آله، وهم أقرباؤه الذين حرمت عليهم الصدقة، وأوجبت لهم الخمس؛ لمكانهما منه » (١) .

ويقـول الإمـام الآجري رحمه الله: « واجب عـلى كل مؤمن ومؤمنة محبة أهل بيت رسول الله ﷺ: بنو هاشم، علي بن أبي طالب وولده وذريته، وفاطمة وولدهـا وذريتها، والحسـن والحسـين وأولادهمـا وذريتهما، وجعفـر الطيار وولده وذريته، وحمزة وولده، والعباس وولده وذريته رضي الله عنهم، هؤلاء أهل بيت رسـول الله ﷺ ، واجب على المسـلمين محبتُهُم وإكرامهم واحتمالهم وحسـنُ مداراتهم، والصـبر عليهم، والدعاء لهم، فمن أحسـن من أولادهم وذراريهم ، فقد تخلق بأخلاق سـلفه الكرام الأخيار الأبرار، ومن تخلق منهم بما لا يحسـن من الأخلاق ، دُعِيَ له بالصلاح والصيانة والسـلامة، وعاشَرَهُ أهلُ العَقْلِ والأدبِ بأحسن المعاشرة » (٢) .

كان هذا تمهيداً في مودة آل بيت رسـول الله ﷺ عند الصحابة والمسلمين، وقد جعلته بمثابة المقدمة لهذا المبحث .

---

(١) شعب الإيمان، فصل في براءة نبينا ﷺ في النبوة ٢/ ١٨٨ .

(٢) الشريعـة للآجـري ٣/ ٣٨٨: بـاب إيجاب حب بني هاشـم أهل بيـت النبي ﷺ على جميع المؤمنين .

وسوف نتناول هذا المبحث من خلال الصور والشواهد المبينة للمودة ومكانة آل بيت النبي ﷺ:

أولاً: عند سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ثانياً: عند الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقد كان يكفي في بيان تلك المودة ما أوردتُهُ من ثناء سيدنا عليٍّ رضي الله عنه عليهما، وتقديره لمكانتهما .

أولاً: مودة سيدنا أبي بكر رضي الله عنه لآل بيت رسول الله ﷺ :

تجلت مودة سيدنا أبي بكر رضي الله عنه لآل البيت بعد وفاة رسول ﷺ في صور ومواقف عدة .

أ- فمنها: تقديم أبي بكر رضي الله عنه لهم في البر، ورقته لهم:

قد كان أبو بكر رضي الله عنه مقدماً لآل بيت رسول الله ﷺفي البر والصلة على من سواهم، فقد كان مصبوغاً برسول الله ﷺ في كل شيء، وقد علم بوصية رسول الله ﷺ بهم، فقام لها بحقها ، وقد انعكس ذلك أيضاً على حسن علاقة آل البيت به - كما سبق، وكما سيأتي - فهو القائل من محل المسؤولية: « لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ » (١) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الخمس، باب فرض الخمس ٣/ ١١٢٦ .

ولمّـا عتـب عليه عليٌّ رضي الله عنه وقت بيعته في أمرٍ، شـقَّتْ عليه هذه المعاتبـة حتى بكى رضي الله عنه رقـةً أن يعاتَبَ في آلِ بيت حبيبه ﷺ، وذلك فيمـا رواه البخـاري ومسـلم: « فلم يزل يُكَلِّـمُ - يعني عليـاً - أبا بكر حتى فاضـت عينـا أبي بكـر، فلما تكلـم أبو بكر قـال: **والذي نفسي بيـده لقرابــة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي** »[1].

وأبو بكر رضي الله عنه هو الذي كان يُعَلِّم الناسَ، ويذكرهم بأن من أراد برَّ رسولِ الله ﷺ وأداءَ حقه، فليعرِفْ لآل بيته حقَّهُم، وقد جاء هذا المعنى فيما رواه البخـاري عـن عبد الله بن عمر عن أبي بكـر رضي الله عنهم قال: « **ارقبوا محمــداً ﷺ في أهل بيته** »[2].

قـال الحافـظ ابن حجر رحمه الله: « يخاطب بذلـك الناسَ ويوصيهم به، والمراقبـة للـشيء المحافظة عليـه، يقول: احفظـوه فيهم، فـلا تؤذوهم، ولا تسيئوا إليهم »[3].

ب- ومنها: استرضاء أبي بكر رضي الله عنه للسيدة فاطمة رضي الله عنها:

إنه مما لا شـك فيه أنه ما كان أحد أحب إلى الصحابة بعد رسـول الله ﷺ من السيدة فاطمة رضي الله عنها.

---

(١) أخرجـه البخاري، كتاب المغـازي، غزوة ٤/ ١٥٤٩-١٥٥٠، ومسـلم في صحيحه، كتـاب الجهاد والسير، بـاب قول النبـي ﷺ: « لا نـورَث، ما تركنـا صدقة » (شرح النووي ١٢/ ٣٠١)، واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ٣/ ١٣٦١.

(٣) فتح الباري ٧/ ٩٧.

ولمّـا عتبـت السـيدة فاطمـة على سـيدنا أبي بكر بعـد وفـاة النبي ﷺ في أمر [1] كان كلاهما فيه معذوراً، وكان ذلك قبل مرضها الذي توفيت فيه، شق ذلـك عـلى أبي بكر رضي الله عنه، فقد رُوِيَ أنه لم يـزل يترضاها حتى رضيت، قال الحافظ في الفتح: « وأخْلِقْ بالأمرِ أن يكون كذلك لما علم من وُفُور عقلها ودينها رضي الله عنها » [2].

فقـد روى البيهقـي وغـيره عـن الشـعبي قـال: « لمـا مرضـت فاطمـة رضي الله عنهـا أتاها أبو بكر الصديق رضي الله عنه فاسـتأذن عليها، فقال علي رضي الله عنـه: يـا فاطمة، هذا أبو بكر يسـتأذن عليك، فقالـت: أتحب أن آذن لـه ؟ قال: نعـم، فأذنت له فدخل عليها يترضاها، وقـال: والله ما تركت الدار والمـال والأهل والعشـيرة إلا ابتغاء مرضاة الله، ومرضاة رسـوله ومرضاتكم أهل البيت، ثم ترضاها حتى رضيت » [3] .

---

(١) وهـو إما ميراث النبـي ﷺ عامة ، أو تولي توزيع صدقات النبي ﷺ – وهو ما يترجح عندي، والله أعلم – . وكان ذلك غضباً وقتياً من السيدة فاطمة رضي الله عنها . قال الإمـام النـووي رحمه الله نقـلاً عن القاضي عياض: « وأما ما ذكـر من هجران فاطمة أبا بكر – رضي الله عنه – فمعناه: انقباضها عن لقائه ، وليس هذا من الهجران المحرم الذي هو ترك السـلام والإعراض عند اللقاء » ثم قال: « ولم ينقل قط أنهما التقيا فلم تسلم عليه ولا كلمته ».

ونقل عن القاضي عياض قوله في شأن الميراث: « وفي ترك فاطمة منازعة أبي بكر بعد احتجاجه عليها بالحديث التسـليم للإجماع على قضية ، أنها لما بلغها الحديث وبين لها التأويل تركت رأيها ، ثم لم يكن منها – أي السـيدة فاطمة – ولا من ذريتها بعد ذلك طلـب مـيراث ، ثـم ولي عليٌّ الخلافة فلم يعـدل بها عما فعله أبو بكـر وعمر رضي الله عنهما » . صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ٢٩٧ .

(٢) فتح الباري، كتاب فرض الخمس ٦/ ٢٣٣ .

(٣) أخرجـه ابـن سـعد في « الطبقـات » ٨/ ٢٢، وأخرجـه البيهقـي، كتـاب قسـم =

فهكـذا كان حـرص أبي بكـر رضي الله عنـه عـلى رضـا السـيدة فاطمـة رضي الله عنها، وهكذا كان خلق أصحاب رسول الله ﷺ.

ج- ومن شواهد تلك الصلة والمودة: تغسيلُ زوجة أبي بكر للسيدة فاطمة رضي الله عنهم أجمعين:

فقد أوصت السـيدة فاطمة أن تغسـلها السيدة أسماء بنت عميس، وذلك كـما رواه البيهقي وغيره بإسـناد حسـن، وأسـماء هذه زوجـة أبي بكر الصديق رضي الله عنها، وكانت السيدة أسماء زوجة لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، فلما استشـهد جعفـر في غزوة مؤتـة، تزوجها أبو بكر الصديـق رضي الله عنه، بعـد غزوة حنين، وولدت له محمد بن أبي بكر، في حجة الوداع وهم في الطريق من المدينة إلى مكة [(١)].

وقد رُوِيَ هذا الحديث من وجوه عن أسـماء بنت عميس رضي الله عنها، فقد رواه الشـافعي في مسـنده، وفي الأم، بسـنده عن أسـماء بنت عميس: « أن فاطمة بنت رسـول الله ﷺ أوصت أن تغسـلها إذا ماتت هي وعليّ، فغسـلتها هي وعليّ » [(٢)]. ورواه عبد الرزاق والدارقطني بنحوه .

= الفـيء والغنيمـة، بـاب بيـان مـصرف أربعـة أخمـاس الفـيء (٦/ ٣٠١)، وفي الاعتقاد ص ٢٧٩ وقال: هذا مرسل حسن بإسناد صحيح . وقال ابن كثير في البداية والنهايـة (٥/ ٢٨٩ ط مكتبة المعارف): والظاهر أن عامراً الشـعبي سـمعه من علي، أو ممن سمعه من علي.

(١) تنظر ترجمتها في الطبقات الكبرى ٨/ ٢٢٠، ٢٢٢، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٢٨٣.

(٢) المسـند للشـافعي ٢/ ١٩٢٠، والأم ، كتـاب الجنائـز، بـاب الخـلاف في إدخـال الميـت =

ورواه البيهقي عن عمارة بن المهاجر، وعون بن محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي، كلاهما عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر: « أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت: يا أسماء إذا أنا مت فاغسليني أنت وعلي بن أبي طالب فغسلها علي وأسماء رضي الله عنهما »[1]. ورواه أبو نعيم بنحوه.

وروى البيهقي أيضاً عن عون بن محمد بن علي عن عمارة بن المهاجر أن

= القبر ٢/ ٦٢٢-٦٢٣، وقد رواه عن عمارة بن المهاجر، عن أم محمد بنت محمد بن جعفر ابن أبي طالب، عن جدتها أسماء بنت عميس. ورواه عبد الرزاق بإسناده بنحوه، المصنف (٣/ ٤١٠) كتاب الجنائز، باب المرأة تغسل الرجل.

ورواه الدارقطني في سننه (٢/ ٤٤٧) كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر بسنده عن عبد الله بن نافع المدني، عن محمد بن موسى، عن عون بن محمد، عن أمه، عن أسماء بنت عميس: « أن فاطمة أوصت أن يغسلها زوجها عليّ وأسماء فغسلاها ». اهـ. قلتُ: وأم عون هي أم محمد، وهي أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم.

(١) السنن الكبرى للبيهقي كتاب الجنائز، باب الرجل يغسل امرأته إذا ماتت (٣/ ٣٦٦). ورواه أبو نعيم في الحلية ٢ / ٤٣، في ترجمة السيدة فاطمة رضي الله عنها، بإسناده بنحوه، وزاد قول السيدة فاطمة: « ولا يدخل علي أحد ».

وقد حسن إسناده الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير، كتاب الجنائز (٢ / ١٤٣)، فقال بعد أن ذكر رواية الشافعي والدارقطني وأبي نعيم: « ورواه البيهقي من وجه آخر، عن أسماء بنت عميس، وإسناده حسن ». اهـ. ثم جمع بينه وبين حديث الصحيح في دفن السيدة فاطمة ليلاً، وقال: « وقد احتج بهذا الحديث أحمد وابن المنذر، وفي جزمهما بذلك دليل على صحته عندهما ».

وقال الشوكاني في نيل الأوطار (٢/ ٥٤) كتاب الجنائز، باب ما جاء في غسل أحد الزوجين للآخر: « أخرجه الشافعي والدارقطني وأبونعيم والبيهقي بإسناد حسن ». اهـ

أم جعفر بنت محمد بن علي قالت : حدثتني أسماء بنت عميس قالت: « غسلت أنا وعلي رضي الله عنه فاطمة بنت رسول الله ﷺ »[1].

وفي هـذا الحديث مـا فيه من الدلالة، على طيب العلاقة بين تلك البيوت، فالحمد لله رب العالمين، وسوف يأتي في الفصل التالي شواهد من طيب العلاقة بين السيدة فاطمة والسيدة عائشة رضي الله عنهما .

د- ومنها: تعلق أبي بكر الصديق بالحسن بن علي رضي الله عنهم ومداعبته له:

فقـد روى البخاري عـن عقبة بن الحارث قال: « صـلى أبو بكر رضي الله عنـه العـصر ، ثم خرج يمشي، فرأى الحسـنَ يلعبُ مع الصبيـان ، فحمله على عاتقه، وقال: بأبي شَـبيهٌ بالنبي، لا شَـبيهٌ بعلي . وعليٌّ يضحك »[2] . فالظاهر مـن هذا النـص أنه بعد وفــاة النبي ﷺ، وجــاء في رواية الإمـام أحمد وغيره النـصُّ عـلى ذلـك، قـال عقبة بـن الحـارث: « خرجت مـع أبي بكـر الصديق رضي الله عنـه من صلاة العصر بعـد وفاة النبي ﷺ بليالٍ، وعليٌّ رضي الله عنه يمشي إلى جنبه، فمر بحسن بن علي ... الحديث »[3].

فبـالله أليس ذلك مثلاً رائقاً للألفة والمحبـة والرضا المتبادل بينهم ؟ وقد كانوا كذلك في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته . فلتتأمل .

---

(١) السـنن الكبرى للبيهقي، كتاب الجنائز، باب الرجل يغسـل امرأته إذا ماتت (٣/ ٣٦٦).
وقد روى التغسيل أيضاً الحاكم في المستدرك ٣ / ١٦٣-١٦٤، دون ذكر الوصية .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ٣/ ١٣٠٢ .

(٣) مسند أحمد ١ / ٨ .

هـ- احتضان علي لمحمد بن أبي بكر الصديق، ومواقف أخرى:

ومن الصور المؤكدة على تبادل المودة، وأنهم كانوا أطهر قلباً، وأنقى علاقة، وهي من الصور التي يحسن ذكرها من باب المقابلة بين المواقف: احتضان عليٍّ لابن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين، فقد كان محمد بن أبي بكر ربيباً لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، نشأ في حِجْرِه وتربى في بيته بعد أن تزوج علي بأمه أسماء بنت عميس رضي الله عنها بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه، وكان محمد من ألصق الناس به وأقربهم منه [1]. وهذا الاحتضان بالحسنى صورةٌ متكررةٌ في مجتمع المسلمين، وهو تمثيل للرحمة التي شرعها الله تعالى في حكم هؤلاء الصغار التابعين لأمهاتهم.

ومن المواقف الطريفة التي حدثت في بيت سيدنا علي رضي الله عنه ما ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة قال: وأخرج ابن السكن بسند صحيح عن الشعبي قال: «تزوج علي أسماء بنت عميس، فتفاخر ابناها محمد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر، فقال كل منهما: أنا أكرم منك وأبي خير من أبيك، فقال لها علي: اقضي بينهما، فقالت: ما رأيت شاباً خيراً من جعفرَ، ولا كهلاً خيراً من أبي بكر، فقال لها عليٌّ: فما تركْتِ لنا شيئاً، ولو قُلْتِ غير هذا لمقتك...» [2] اهـ. يعني: لم أرضَ منك هذا.

---

(١) تنظر ترجمته في الإصابة ٦/ ١٩٤.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الفضائل، ما ذكر في جعفر بن أبي طالب ١٧/ ١٧٨، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٨/ ٢٢٢، وتنظر الإصابة، ترجمة أسماء بنت عميس ٨/ ١٦.

وهذا موقف في غاية الطرافة، ففضلاً عن دلالته على تقدير أبي بكر وجعفر رضي الله عنهما، يدل على ما كان يتمتع به بيت سيدنا علي من المودة والبساطة ومعرفة الفضائل حتى بين الصغار، وفيه أيضاً جميل إدلال كل من علي وزوجته على الآخر، وهذه الروح في البيوت نموذج لنا أيضاً للتروح والاقتداء !!

وبعد أن وقفنا على طرف من مودة سيدنا أبي بكر لآل بيت رسول الله ﷺ، ورقته لهم ، وما كان له من المكانة عندهم ، وهي أمثلة تعرف بأصل المعروف بينهم، وبأن هذه المحبة وهذا التواد هما سمة أيضاً لهذا المجتمع، فلننتقل إلى بعض المواقف لسيدنا عمر رضي الله عنه معهم ، وبعض مواقف غيره من الأصحاب .

تتمة في محبة الصحابة للحسن بن علي رضي الله عنهما :

وقبل أن ننتقل إلى معرفة شواهد مودة سيدنا عمر بن الخطاب لآل بيت رسول الله ﷺ ، أحببت من باب التتمة والإشارة إلى المتشابهات أن أذكر طرفاً من حب الصحابة للحسن بن علي رضي الله عنهما وإجلالهم له .

فقد أعلن رسول الله ﷺ للناس على المنبر والحسنُ بجواره ما أكرم الله تعالى به الحسن رضي الله عنه من مقام السيادة والإصلاح بين المسلمين، كما رواه البخاري عن الحسن البصري عن أبي بكرة رضي الله عنه، قال: « رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يُقْبل على النّاس مرة،

وعليـه أخـرى، ويقـول: **إنّ ابني هذا سـيد، ولعـلّ الله أن يصلح بـه بين فئتين عظيمتين من المسلمين** »[١].

وعرف المسـلمون عنه الحلم والوقار والكرم والشجاعة، وكانوا لمحبتهم لـه لا يردونـه إذا تقدم إليهم خاطبـاً، مع علمهم بكثرة زواجـه رضي الله عنه؛ إكثاراً لنسل رسول الله ﷺ [٢].

وكان سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه يقول في محبته للحسن رضي الله عنه: « فما كان أحد أحب إلي من الحسـن بن علي بعد ما قال رسـول الله ﷺ ما قال . أي قوله: « **اللهم إني أحبه فأحبه ، وأحب من يحبه** » [٣].

ومـن مواقفه معه مـا رواه الإمام أحمد وغيره عن عمير بن إسـحاق قال: « رأيـت أبا هريرة لقي الحسـن، فقال له: اكشـف عن بطنـك حتى أقبل حيث رأيت رسـول الله ﷺ يقبل منه، قال: فكشـف عن بطنه فقبله » [٤]، وفي رواية ابن حبان: « فكشف عن بطنه، فقبل سرته » [٥].

---

(١) صحيح البخاري ، في مواضع ، ومنها كتاب الصلح، باب قول النبي ﷺ للحسـن بن عليّ: ابني هذا سيد ٢/ ٩٦٣ .

(٢) تنظر ترجمته في الاستيعاب ١/ ٤٣٦-٤٤٢، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٢٤٥-٢٧٩.

(٣) أخرجـه البخاري في صحيحـه، كتاب اللباس، باب السـخاب للصبيان ٥/ ٢٢٠٧ ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه ١٥/ ٤١٧ .

(٤) أخرجـه أحمـد في المسـند ٢/ ٤٢٧ ، ٤٨٨، ٤٩٣ ، والطـبراني في الكبير ٣/ ٣١ ، ٩٤ . قـال الهيثمي في المجمع ٩/ ١٧٧ : رواه أحمد والطـبراني ... ورجالهما رجال الصحيح غير عمير بن إسحاق وهو ثقة .

(٥) صحيح ابن حبان ١٥/ ٤٢٠ .

وعن سعيد بن أبي سعيد المقبري قال: « كنا مع أبي هريرة، فجاء الحسن ابن علي رضي الله عنهم فسلم عليه، فرد عليه القوم ومضى، وأبو هريرة لا يعلم، فقيل له: هذا حسن بن علي يسلم، فلحقه فقال: وعليك يا سيدي، فقيل له: تقول يا سيدي ؟ فقال: **أشهد أن رسول الله ﷺ قال: إنه سيد** »[(١)] .

ومن هذه الأمثلة أيضاً تقدير عبد الله بن الزبير للحسن بن علي، فقد روى ابن عساكر بسنده عن عبد الرزاق، عن عبد الله بن مصعب، قال أخبرني أبي أن عبد الله بن عروة أخبره، قال: « رأيت عبد الله بن الزبير قعد إلى الحسن بن علي في غداة من الشتاء، فأراه قال[(٢)]: فوالله ما قام حتى تفسخ جبينه عرقاً، فغاظني ذلك، فقمت إليه فقلت: يا عم، قال: ما تشاء ؟ قلت: رأيتك قعدت إلى الحسن ابن علي فما قمت حتى تفسخ جبينك عرقاً، قال: **يا ابن أخي، إنه ابن فاطمة، لا والله ما قامت النساء عن مثله** »[(٣)].

إن هذا الأدب الراقي مع الإمام الحسن رضي الله عنه، وهذا النموذج من المودة والمحبة والبساطة، يمثل في الحقيقة هذا المجتمع، وما كان هذا لينقص من قدر أبي هريرة رضي الله عنه، وهو من هو في الرواية والفقه وعظم القدر، وما كان لينقص أيضاً من قدر ابن الزبير رضي الله عنهما، بل يرفعه، وما كانت هذه التزكية لتكون فتنة لصاحبها، بل تزيده تواضعاً لأنهم

---

(١) رواه الطبراني في الكبير ٣/ ٣٥ . وقال الهيثمي في المجمع ٩/ ١٧٩: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٢) أي: يغلب على ظني أنه قال .

(٣) تاريخ دمشق ١٣/ ٢٣٩ – ٢٤٠ ، وأورده المزي في تهذيب الكمال ترجمة الحسن بن علي رضي الله عنه .

ربوا على هذا الخلق، وذاك شاهد كما ذكرنا على ربانية هذا المجتمع، وارتباطه بكل ما يحبه الله ورسوله ﷺ، وخاصة آل بيته .

ثانياً: مودة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لآل بيت رسول الله ﷺ:

لقد كانت مظاهر مودة عمر بن الخطاب لآل بيت رسول الله ﷺ متعددة، قد ظهرت في شخص سيدنا علي والعباس رضي الله عنهما وغيرهما، وفي مواقفه الكثيرة معهم .

فقد كان عمر رضي الله عنه يعرف لعلي رضي الله عنه فضله ، ومنزلته في العلم والقضاء، فكان لا يستغني عنه، بل يتعوذ عمر بالله أن يعيش في أرض ليس فيها أبو الحسن، وكان مقدَّماً عنده في الشورى، يعرف له قربَه من رسول الله ﷺ وسابقته في الإسلام، وجعل تقسيم صدقات النبي ﷺ من أرض خيبر بيده ويد العباس ، وبدأ به وبالعباس وبقرابة النبي ﷺ في أمور كثيرة ، وفي كل ذلك كان عمر من أحب الناس إلى عليٍّ - كما ذكرنا، وكما سيأتي - وأنه الخليفة الراشد الأمين على دين الله وعلى المسلمين ، كما قال علي رضي الله عنه: « سبق رسول الله ﷺ، وصلى أبو بكر، وثلث عمر ... » [1].

---

(١) رواه أحمد ١/ ١١٢، والحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، أبو بكر الصديق بن أبي قحافة ٣/ ٦٧ ، وصححه الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع ٩/ ٥٤: ورجال أحمد ثقات . ومعنى الكلام: سبق السابقون بالخير، أي سبق رسول الله ﷺ ، فلا يلحقه أحد ، ثم تبعه أبو بكر وهو الذي أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بدلاً عنه في مرضه، وهو كناية عن استقامة أبي بكر رضي الله عنه ورضا رسول الله ﷺ به ، ثم تبع عمرُ أبا بكر في الخير ، فكنا في عافية ما كانوا فينا . فرحم الله سيدنا علياً ورضي الله وزاد في رفعته عنده . وينظر حديث علي رضي الله عنه السابق ص (١٢٨) : « قبض رسول الله ﷺ، واستخلف أبو بكر رضي الله عنه ، فعمل بعمله ... » الحديث.

فمن هذه الشواهــد:

أ- ثناؤه على عليٍّ رضي الله عنهما، ومعرفته لقدره:

فمنها ثناؤه عليه في أمر القضاء، وغيره ، فقد روى البخاري في صحيحه، عـن ابـن عباس قال: قال عمر رضي الله عنه: « أقرؤنا أُبيٌّ ، وأقضانا عليٌّ » [(١)]، قـال ذلـك عمر رضي الله عنه على المنـبر وهو يخطب الناس، كـما جاء في رواية للإمام أحمد وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: « خطبنا عمرُ على منبر رسول الله ﷺ فقال: عليٌّ أقضانا وأُبيٌّ أقرؤنا ... » [(٢)] .

وعن سـعيد بن المسـيب قـال: « **كان عمر يتعوذ بالله مـن معضلة ليس لها أبـو الحسـن** » [(٣)] . كل ذلك رغم مقام عمـر رضي الله عنه في الاجتهاد، ولكن الصحابة كان يكمل ويسـدد أحدهم الآخر، ولذلك كثرت الشـورى بينهم ، وقد أُوتِيَ عليٌّ رضي الله عنه هذا المقام في القضاء ببركة دعاء النبي ﷺ له عندما بعثه قاضياً على اليمن، فقال له: « **إن الله سـيهدي لسـانك، ويثبت قلبك**، قال [علي]: فما شككتُ في قضاء بين اثنين بعد » [(٤)].

---

(١) صحيـح البخـاري، كتاب التفسـير، سـورة البقرة، بـاب قولـه: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ ٤/ ١٦٢٩ .

(٢) المسند ٥/ ١١٣ .

(٣) أخرجـه ابن سـعد في الطبقـات ٢/ ٢٥٨ ، وابـن عبد البر في الاسـتيعاب، ترجمة علي ٣/ ٢٠٦ .

(٤) أخرجه أحمد في المسند ١/ ١٥٠ واللفظ له ، وأخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/ ٢٥٧، والحاكم في المستدرك ٣/ ١٣٥ ، كتاب معرفة الصحابة، ذكر إسلام علي بن أبي طالب، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم .

ب- ومن شواهد التقدير مدح عمر له ولعثمان ووصيته لهما:

فقد ورد في الصحيحين - وكما هو معلوم - جعلُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة من بعده شورى، فعين ستة يختار منهم أحدهم خليفة بعده ، ومحل الشاهد هو قول عمر في رواية أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون، - كما ذكرها الحافظ في الفتح -: « أن عمر بن الخطاب لما حُضِرَ قال: ادعوا لي علياً، وطلحة، والزبير، وعثمانَ، وعبد الرحمن بن عوف، وسعداً [١] ، قال: فلم يُكَلِّمْ أحداً منهم إلا علياً وعثمان ، فقال: **يا علي، لعل هؤلاء القوم يعرفون لك قرابَتَك، وما آتاك الله من العلم والفقه، فاتق الله**، وإن وليت هذا الأمر فلا ترفعن بني فلان على رقاب الناس، وقال لعثمان: **يا عثمان، إن هؤلاء القوم لعلهم يعرفون لك صِهْرَكَ من رسول الله ﷺ وسنَّكَ وشرفَكَ، فإن أنت وليت هذا الأمر فاتق الله** ، ولا ترفعن بني فلان على رقاب الناس » [٢].

ج- ومنها استخلاف عمر بن الخطاب لعلي بن أبي طالب على المدينة :

وكما استخلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب حين خرج إلى تبوك،

---

(١) ومن الفوائد في عدم إدخال عمر رضي الله عنه سعيد بن زيد وهو ممن بقي من السابقين من العشرة المبشرين بالجنة، ما قاله الحافظ ابن حجر في الفتح ٧/ ٨٣-٨٤: « أما سعيد بن زيد، فهو ابن عم عمر، فلم يسمه عمر فيهم مبالغة في التبري من الأمر، وقد صرح في رواية المدايني بأسانيده أن عمر عد سعيد بن زيد فيمن توفي النبي ﷺ وهو عنه راضٍ ، إلا أنه استثناه من أهل الشورى لقرابته منه » .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف كتاب المغازي، باب ما جاء في خلافة عمر بن الخطاب ٢٠/ ٥٩٠-٥٩١، وابن سعد في الطبقات، ذكر استخلاف عمر ٣/ ٢٦٠ . وينظر فتح الباري ٧/ ٨٤ .

استخلف عمر بن الخطاب علي بن أبي طالب حين خرج إلى الشام لفتح بيت المقدس، سنة ست عشرة، يقول الطبري : « لما استمد أهل الشام عمر على فلسطين استخلف علياً، وخرج ممدا لهم » [1]. ويقول ابن كثير ملخصاً ما في تاريخ الطبري : « وسار بالجيوش نحوهم - أي عمر- واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب، وسار العباس على مقدمته »[2].

وقد استخلفه عمر من قبل أيضاً على المدينة سنة أربع عشرة، حين خرج استعداداً لقتال فارس، فنزل بصرار، عازماً على قتالهم بنفسه، ثم استشار الناس في ذلك فاستقر الرأي أن يولي قتالهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، فقد ذكر الطبري قال : « وخرج - أي عمر - حتى أتى صراراً وقدم طلحة بن عبيد الله حتى يأتي الأعوص، وسمى لميمنته عبد الرحمن بن عوف ولميسرته الزبير بن العوام، واستخلف علياً رضي الله عنه على المدينة، واستشار الناس فكلهم أشار عليه بالسير إلى فارس، ولم يكن استشار في الذي كان حتى نزل بصرار » [3].

د- ومنها: تقديم عمر لبني هاشم ولقرابة النبي ﷺ في العطاء:

فإن الله عَزَّ وجَلَّ لما فتح على المسلمين أرض العراق، أوقفها عمر فلم يقسمها بين الفاتحين، وجعل خراجها بينهم، ومن يأتي بعدهم من أبناء

---

(١) تاريخ الطبري، أحداث سنة ست عشرة، فتح بيت المقدس .

(٢) البداية والنهاية، فتح بيت المقدس ٧/ ٥٥ .

(٣) تاريخ الطبري، أحداث سنة أربع عشرة ، وينظر البداية والنهاية أحداث سنة أربع عشرة، ٧/ ٣٥ . وتنظر هذه المشاورة ص (١٣٦).

المسلمين، وفي مصالحهم، وفرض للمسلمين رواتب منها ، فبدأ في التقسيم بالأقرب من رسول الله ﷺ ، ثم بالمهاجرين والأنصار ممن شهد بدراً ، وهكذا [1].

فقد بدأ عمر في التقسيم بزوجات النبي ﷺ قبل الناس جميعاً، فأعطى للزوجات اثني عشر ألفاً، ثم بالعباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ فأعطاه وميزه، وإن لم يكن من المهاجرين، ولا ممن قاتل قبل فتح مكة، وإنما ميزه لقربه من رسول الله ﷺ ، ثم بعلي رضي الله عنه، وأعطى لأهل بدر خمسة آلاف، وفرض للحسن والحسين رضي الله عنهما خمسة آلاف كأهل بدر ، فأعطاهم كما أعطى نفسه، وكما أعطى أباهم؛ وذلك لمكانهم من رسول الله ﷺ .

فقد روى ابن أبي شيبة وغيره عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر بن علي بن الحسين رضي الله عنهم: « أن عمر أراد أن يفرض للناس، وكان رأيه خيراً من رأيهم، فقالوا: ابدأ بنفسك، فقال: لا، **فبدأ بالأقرب فالأقرب من رسول الله ﷺ** [2]، ففرض للعباس، ثم علي، حتى والى بين خمس قبائل، حتى انتهى إلى بني عدي بن كعب » [3].

---

(١) ينظر الخراج لأبي يوسف ، كيف كان فرض عمر لأصحاب رسول الله ﷺ، ص ٤٢- ٤٥ .

(٢) وقال في رواية البيهقي في السنن الكبرى، كتاب قسم الفيء، باب إعطاء الفيء على الديوان ومن تقع به البداية ٦/ ٣٦٤ بسنده إلى أبي هريرة عن عمر، قال:« ولكن أبدأ برسول الله ﷺ، ثم الأقرب فالأقرب » .

(٣) المصنف، كتاب السير، ما قالوا فيمن يبدأ به في الأعطية ١٧/ ٤٨٣-٤٨٤، ٤٨٥ ، والخراج لأبي يوسف، ص ٤٣- ٤٤، وشرح معاني الآثار ٣/ ٣٠٥ - ٣٠٦ .

وقـد رُوِيَـتْ عن عمـر رضي الله عنـه في التقديم على القرابة والسـابقة روايات كثيرة، فَفِعْلُه هذا مشهور، وأصلُ فرض الأُعْطِيات في الصحيحين، والتفصيل في غيرهما [(١)].

فعن عامر بن شراحيل الشـعبي، عمن شـهد عمر بـن الخطاب رضي الله عنـه قال: « لمـا فتح الله عليه، وفتح فـارس والروم، جمع أناسـاً من أصحاب الرسـول ﷺ، فقـال: ما تـرون ؟ فإني أرى أن أجعل عطاء الناس في كل سـنة، وأجمع المال فإنه أعظم للبركة، قالوا: اصنع ما أردت، فإنك إن شاء الله موفق، قـال: ففـرض الأُعْطِيات، فدعا باللوح فقال: بمن أبـدأ ؟ فقال له عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه: ابدأ بنفسـك، فقال: لا والله، **ولكن أبدأ ببني هاشـم، رهط النبي ﷺ ، فكتب من شـهد بدراً من بني هاشـم من مولى أو عربي، لكل رجل منهم خمسة آلاف خمسة آلاف، وفرض للعباس بن عبد الطلب اثني عشر ألفاً ... وفرض لأزواج النبي ﷺ ...، وفرض للحسـن والحسـين خمسة آلاف خمسة آلاف، لمكانهما من رسول الله ﷺ ...** » [(٢)] .

(١) ينظر السـنن الكبرى للبيهقي كتاب قسم الفيء، باب التفضيل على السابقة والنسب، وبـاب إعطـاء الفيء على الديوان ومـن تقع به البدايـة ٦/ ٣٤٩-٣٥١، ٦/ ٣٦٤-٣٦٥ .

(٢) الخـراج لأبي يوسـف ص ٤٤ . وتنظـر روايـات هـذا التقسـيم في الخـراج ٤٢-٤٦ ، المصنـف لابن أبي شـيبة، كتاب السـير ، مـا قالوا فيمن يبـدأ في الأعطية ١٧/ ٤٨٣-٤٨٦، وتنظـر روايـة عمر مولى غفرة وغـيره في ذلك المصنف لابن أبي شـيبة، كتاب السـير، مـا قالـوا في الفـروض والدواويـن ١٧/ ٤٧٢-٤٧٤ ، وفي السـنن الكبرى للبيهقي، باب التفضيل على السـابقة ٦/ ٣٥٠ ، وفيهما: « وفرض للحسـن والحسين رضي الله عنهما خمسـة آلاف خمسـة آلاف ألحقهما بأبيهما ؛ لمكانهما من رسـول الله ﷺ ، وفرض لأبناء المهاجرين والأنصار ألفين ألفين ... » .

بـل إن عمر فضل أسـامة بن زيد في العطـاء على ابنه عبد الله ؛ لمزية له عند رسـول الله ﷺ ، فلـما كلمـه في ذلك بعـد أن ألح بعض الناس عـلى عبد الله أن يسأل أباه، قال له عمر: « **إن زيداً كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك ، وإن أسامة كان أحب إليه منك** » (1) .

فانظـر كيـف كان اهتمام عمـر رضي الله عنه بالرعية، وكيـف كان اجتهاد عمـر في القيـاس في الأعطيات على حسـب القرب من رسـول الله ﷺ ، وعلى حسـب البلاء والسـابقة والجهاد في سـبيل الله عَـزَّ وجَلَّ، وكيـف كان تقديره لزوجات النبي ﷺ ، وإكرامه لبني هاشـم في البدء بهم لقرابتهم من النبي ﷺ، وكان هذا متَّفِقاً مع ما عليه الناس، فعلام يدل كل هذا ؟ !

وهكذا يجب أن نفهم أصحاب رسول الله ﷺ .

هـ- معرفة عمر لقدر العباس ومكانته وتقديمه له:

قـد كان عمـر رضي الله عنه يعـرف للعباس قدره ومنزلته من رسـول الله ﷺ، فقد قال له رسـول الله ﷺوهو يشـير إلى تعظيم حق عمه: « **يا عُمَرُ ، أما شَعَرْتَ أن عمَّ الرجل صِنْوُ أبيه ؟** » (2).

---

(1) رواه القـاضي أبو يوسـف في الخـراج ص ٤٣ . وتنظر رواية البيهقـي لهذا الحديث في السنن الكبرى، كتاب قسم الفيء، باب التفضيل على السابقة والنسب ٦/ ٣٤٩ .

(2) رواه مسـلم في صحيحـه عن أبي هريـرة ، كتاب الزكاة، باب في تقديـم الزكاة ومنعها (مسلم بشرح النووي ٧/ ٦٠).

ومـن جميـل ما يروى في ذلـك ، مما يدل على تقديم الصحابـة لكل ما يحبه رسـول الله ﷺ على أنفسهم وأهليهم ، قول عمر رضي الله عنه للعباس في فتح مكـة: « **مهلاً يا عباس، والله لإسـلامك يوم أسـلمتَ أحبُّ إليَّ من إسـلام أبي لو أسـلم**، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسـلامك كان أحبَّ إلى رسـول الله ﷺ من إسلام الخطاب » [1] .

فانظـر كيـف قدم عمـر نجاة العبـاس بالإيمان عـلى نجاة أبيـه، وما كانوا رضي الله عنهم إلا صادقِين .

ومـن جليـل معرفة عمر لقدر العباس توسـله به إلى الله عَـزَّ وجَلَّ دفعاً للقحـط وطلبـاً لغيـث الله عَزَّ وجَلَّ، فـكان يُقَدِّم العبـاس في الدعاء - رغم أن عمر هو الخليفة الذي يؤمهم في صلاتهم، ويتولى شـؤون دنياهم - فكأن عمـر يقـول: يا رب هذا عم نبيك فاسـقنا . فعن أنس بـن مالك أن عمر بن الخطـاب رضي الله عنـه كان إذا قحطوا استسـقى بالعباس بـن عبد المطلب فقال: « **اللهم إنا كنا نتوسـل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فَيُسْقَون** » [2].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٨/ ١١) عن ابن عباس ، وقال الهيثمي في المجمع ٦/ ١٦٧: رواه الطـبراني، ورجالـه رجـال الصحيـح ، وصححـه ابـن حجر العسـقلاني، قال البوصيري في إتحاف الخيرة ٥/ ٢٤٢: قال شـيخنا أبو الفضل العسـقلاني: ومن خطه نقلت: هذا حديث صحيح .

(٢) صحيـح البخـاري ، كتـاب فضائـل الصحابـة، بـاب ذكـر العبـاس بن عبـد المطلب ٣/ ١٣٦٠ . وينظر فتح الباري ٧/ ٩٦ .

وهكـذا كانـوا يعرفـون بركة آل بيـت نبيهم ﷺ، وأنهـم أَوْلى مـن تُجْلَبُ الرحمات بسببهم .

ومنهـا أيضـاً أن عمـر كان يستشـير العباس في مهـام الأمـور، فقد روى الطبري في استشـارة عمر للصحابة في الخروج بنفسـه لقتـال فارس لما تجمعوا للمسـلمين، قـال: « وكان الـذي ينتقـد لـه الـرأي إذا عـرض عليـه العبـاس رضي الله عنه » (١).

وذكـر ابن كثـير: قـال: « وكان عمر إذا استشـار أحداً لا يـبرم أمراً حتى يشـاور العبـاس، فلما أعجبـه كلام الصحابة في هذا المقـام عرضه على العباس فقـال: يـا أمير المؤمنين خفض عليـك، فإنما اجتمع هؤلاء الفُـرسُ لنقمة تنزل عليهم » (٢).

ومن الفوائد ما قاله الحافظ ابن حجر في الفتح في عدم إدخاله للعباس في أهـل الشـورى ، قال: « ولأَجْلِ أنـه لم يهاجر قبل الفتـح لم يدخله عمر في أهل الشورى، مع معرفته بفضله واستسقائه به » (٣).

ومـن طريف ما يـروى مما حدث بـين عمر والعبـاس رضي الله عنهما، مما يحمـل دلالات بالغـة لما كانـت عليه أخلاقهم وحسـن التزامهـم، وجميل ما بينهـم، ما رواه ابن سـعد ويعقوب الفسـوي عـن يعقوب بن زيـد: « أن عمر

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ١٢٣ .

(٢) البداية والنهاية ٤/ ١٠٩ .

(٣) فتح الباري ٧/ ٩٦ .

وهـو في خلافته خرج في يـوم جمعة فقطر عليه ميزاب العبـاس، فأمر به فقلع، فقال العباس: قلعت ميزابي ما وضعه حيث كان إلا رسول الله ﷺ بيده. فقال عمر: **والله لا يضعه إلا أنت بيدك، ثم لا يكون لك سلم إلا عمر**. قال: فوضع العباس رجليه على عاتقي عمر، ثم أعاده حيث كان » (١).

ومـن عظيـم مكانـة العبـاس رضي الله عنـه أيضـاً، مـا كان عليـه علي بن أبي طالـب رضي الله عنـه من الأدب معه، فقد كان يقبل يـده احتراماً له وطلباً لرضاه، فعن صهيب مولى العباس قال: « رأيت علياً يقبل يد العباس، ويقول: يا عم، ارض عني » (٢) .

و - تقريب عمر لعبد الله بن عباس وتقديره لعلمه وأمانته:

قـد كان عبـد الله بن عبـاس رضي الله عنه ممن أوتي العلـم وهو لا يزال في أول سـن الشـباب، وذلك ببركة دعاء النبي ﷺ ، فقد ضمه الرسول ﷺ ودعا له ، كما أخرجه البخاري عن عكرمة عن ابن عباس قال: ضمني النبي ﷺ إلى صدره وقال: « **اللهم علمه الحكمة** »، وفي رواية: « **وعلمه الكتاب** » (٣) .

---

(١) الطبقـات الكـبرى ٤/ ٢٠، والمعرفة والتاريخ ١/ ٥١١، والبيهقي في السـنن الكبرى ٦/ ٦٦، وقـد قلـع عمر الميزاب لأنه رأى أن فيه إيذاء للمارة إلى المسـجد، فلما علم أن رسول الله ﷺ هو الذي وضعه تراجع عن ذلك لئلا يغير شيئاً عمله رسول الله ﷺ، واعتـذاره لله تعـالى ولرسـوله ﷺ، وظهر إكرامـه للعباس رضي الله عنـه بأن أصعده بقدميه على كتفه، وهكذا يوافق ظاهر عمر رضي الله عنه باطنه .

(٢) أخرجه الفسوي في المعرفة ١/ ٥١٤ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب، باب ذكر ابن عباس ٣/ ١٣٧٠ ، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ٦/ ٢٦٥٣ ، وغيرها .

قال ابن عبد البر: « وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحبه ويُدْنِيه ويقربه ويشاوره مع أجِلَّةِ الصحابة » (١) . اهـ .

وقد بين عمر لكبار الصحابة علم عبد الله بن عباس وفقهه، فقد أخرج البخاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال ما تقولون في: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ ، حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئاً، فقال لي: يا ابن عباس أكذلك قولك ؟ قلت: لا، قال: فما تقول ؟ قلت: هو أجَلُ رسول الله ﷺ أعلمه الله له ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ فتح مكة، فذاك علامة أجلك ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴾، قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم » (٢).

ونختم هذه العلاقة بشهادة ابن عباس لعمر رضي الله عنه، وهي شهادته له برضا رسول الله ﷺ ورضا أصحابه عنه، فعن المِسْور بن مخرمة قال: « لمَّا طُعِنَ عمر، جَعَلَ يألمُ، فقال له ابن عباس وكأنه يُجَزِّعُهُ (٣): يا أمير المؤمنين،

---

(١) الاستيعاب ، ترجمة عبد الله بن عباس ٣/ ٦٧ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب منزل النبي ﷺ يوم الفتح ٤/ ١٥٦٣، وكتاب التفسير، سورة النصر ٤/ ١٩٠١.

(٣) أي يخفف عنه .

ولئن كان ذاك لقد صحبت رسول الله ﷺ فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت صحبتهم فأحسنت صحبتهم، ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون »[(١)].

فرح عمر بشهادة ابن عباس له:

قال عمر رضي الله عنه: قال: « أتشهد لي يا عبد الله عند الله يوم القيامة ؟ فقال: نعم . فقال: اللهم لك الحمد »[(٢)] .

وهكذا كان قرب عبد الله بن عباس من عمر رضي الله عنهم أجمعين، ومحبته له .

تتمة في محبة الصحابة لعبد الله بن عباس رضي الله عنهم:

ومن باب التتمات وذكر المتماثلات أيضاً أحببت أن أذكر هنا طرفاً من تقدير الصحابة لابن عباس ، ومحبتهم له .

عرف الصحابة رضوان الله عليهم لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما قرابته من رسول الله ﷺ ، ورأوا منه حِلْمه وحسنَ عشرته، وجِدَّه في طلب

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب ٣/ ١٣٥٠ .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير . والأوسط ١/ ١٨٣ ، وقال الهيثمي في المجمع ٩/ ٧٦: رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده حسن. وأورده أيضاً ابن حجر في الفتح، كتاب فضائل الصحابة ٧/ ٨١ .

العلم، وأدبه فيه ، وما آتاه الله من الفقه وحسن الفهم في كتاب الله ، وما ميزه به عَـزَّ وجَـلَّ مـن رجحان العقـل والأمانة في الرأي ، فـكان محبباً إليهـم ، معظماً عندهم [1] .

أدبه رضي الله عنه ومعرفة الصحابة لقدره:

وكان من أدبه رضي الله عنه أنه كان يسـعى على أصحاب رسـول الله ﷺ يطلـب عندهم العلم والسـنن ، ويتكلف المشـاق، فيعظـم الصحابة له ذلك ، يقول رضي الله عنه: « وأقبلتُ أسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن الحديث، فإن كان ليبلُغُنِي الحديثُ عن الرجل، فآتي بابه وهو قائلٌ، فأتوسد ردائي على بابه، تَسْـفِي الريحُ عليَّ الترابَ، فيخرج فيراني، فيقول لي: يا ابن عم رسول الله ! ألا أرسلت إليَّ فآتيك ؟ فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث » [2] .

وقد سبق من أدبه مع زيد بن ثابت وتعظيم زيد لقرابته من رسول الله ﷺ، كما رواه الشعبي قال: « ذهب زيد بن ثابت ليركب، ووضع رجله في الركاب، فأمسـك ابن عباس بالركاب، فقال: تنحَّ يا ابن عم رسـول الله ﷺ ، فقال: لا، هكذا نفعل بالعلماء والكبراء » [3] .

---

(١) تنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٣١ - ٣٥٩ .

(٢) أخرجـه ابـن سـعد في الطبقـات ٢/ ٢٨٠ - ٢٨١، والفسـوي في المعرفـة والتاريـخ ١/ ٥٤٢، والحاكـم، كتـاب العلـم ٣/ ٥٣٨، وصححـه ووافقـه الذهبـي، وأورده الهيثمي في « المجمع » ٩/ ٢٧٧، وقال: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

(٣) سبق تخريجه ص ١٠٣ .

وقـد أثنـى الصحابة عليه كثـيراً ، وكان محلاً لمشـاورتهم ، فيقول فيه أحد أكابـر الصحابـة وهو عبد الله بن مسـعود رضي الله عنه ، فيـما أخرجه الطبري بسـند صحيح عن مسروق عن عبد الله بن مسـعود قال: « نعم ترجمان القرآن ابن عباس » [1].

وكان عثمان رضي الله عنه يعرف له منزلته من العلم وحسـن الرأي، فكان يشـاوره في المسائل، وقد اسـتخلفه على الحَجِّ في العام الذي قُتِلَ فيه، فقد روى يعقوب بن سـفيان بسـنده عن ابن شهاب قال: « سـنَةَ قُتِلَ عثمانُ حجَّ بالناس عبدُ الله بن عباس بأمرِ عثمانَ » [2].

ومـن نماذج مشـاورته لعبد الله بن عبـاس رضي الله عنهم ، ما أخرجـه عبـد الرزاق وغيره عن أبي عبيد مولى عبـد الرحمن بن عوف قال: « رفعت إلى عثـمان امرأة ولدت لسـتة أشـهر ، فقال: إنها رفعت إليَّ امـرأة – لا أُراه إلا قال: وقد جاءت بِشرٍّ ، أو نحو هذا – ولدَت لسـتة أشـهر ، فقال له ابن عباس: إذا أتمت الرضاع، كان الحمل سـتة أشـهر ، قال: وتلا ابن عباس: ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ﴾ فإذا أتمت الرضاع كان الحمل سـتة أشـهر، فخلى عثمان سبيلها » [3] .اهـ

---

(١) تفسـير الطـبري، المقدمـة ١/ ٨٤- ٨٥ ، وصحح ابن كثير إسـناده في مقدمة تفسـيره ١/ ١٣ ، وذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة ترجمة ابن عباس ٤/ ١٢٧، بسند حسن عن ابن سعد عن سلمة بن كهيل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) الإصابة، ترجمة ابن عباس ٤/ ١٢٩ .

(٣) أخرجـه عبـد الـرزاق في المصنف، بـاب التي تضع لسـتة أشـهر ٧/ ٣٥١ ، والطبري في تفسـيره، سـورة البقـرة الآية ٢٣٣ . وصححـه الحافظ ابن حجـر في التلخيص =

وبهـذا الـرأي وهـذا الفهـم الثاقب لعبـد الله بـن عبـاس رضي الله عنهما لكتاب الله العزيز درأ عثمان عنها الحد وخلَّى سبيلها .

وقـد سـبق أن عمـر رضي الله عنـه كان يدخله في الشـورى مـع أهل بدر تقديراً لعلمه رغم حداثة سنه .

وهكـذا كانت محبـة الصحابة وتعظيمهم وتقديرهم لابن عم رسـول الله ﷺ وقربـه مـن الخليفتين عمـر وعثمان رضي الله عنهما ، ممـا يعكس المودة التي كانت بينهم ، ويُظْهِرُ معرفة الصحابة لأقدار الرجال .

وبعـــد: فهذا نموذج لما كان عليه مجتمع الصحابـة من المودة والتقدير لآل بيـت رسـول الله ﷺ، مثَّلْتُهُ هنا في نموذج الأخـوة والمحبة المتبادلة بين آل البيت وبين كل من خليفتي رسـول الله ﷺ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، كما ظهر في شخص السيدة فاطمة رضي الله عنها، وأمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وابنيهـما الحسـنين رضي الله عنهما، وعم رسـول الله ﷺ العبـاس وابنه عبد الله رضي الله عنهـم أجمعـين ، وما شـملته هذه الأخـوة من المودة والثقـة والوفاء، ومعرفة الأقدار ، وكيف كانوا إخواناً متقاربين كأنهم الأسرة والواحدة !

= الحبير، كتاب الرجعة (٣/ ٢١٩) قال: « حديث: أن عثمان أتي بامرأة ولدت لسـتة أشـهر ، فتشـاور القوم في رجمها ، فقال ابن عباس: أنزل الله: ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًاۚ ﴾، والفصال في عامين ، فكان أقل الحمل سـتة أشـهر . مالك في الموطأ أنه بلغه أن عثـمان . لكـن فيـه أن المناظـر في ذلك علي لا ابـن عباس ، ورواه ابن وهب بسـند صحيـح عن عثـمان ، وأن المناظـر له ابن عبـاس، وكذا أخرجه إسـماعيل القاضي في أحكام القرآن ...».

ونعـرف مـن كل مـا سـبق أيضـاً كـذب وزور مـا ينقـل مـن أن عليـاً رضي الله عنـه كان يداريهـما أو أنـه كان مضطهداً مقهوراً مـن قبلهما هو وآل بيـت رسـول الله ﷺ ، فهـذا كلام غريـب، منكر، وهو مـن الأذى والكذب الذي ينسـب إلى مقام أبي بكر وعمر وآل البيت على السـواء، بل لمقام جميع أصحاب رسول الله ﷺ .

وحسـبك أيها المسـلم ما أوردته لك من هذه السـيرة العطرة ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

المبحث الثالث

في المودة بين أميري المؤمنين عثمان وعلي

رضي الله عنهما

ليس قصدي من هذا المبحث الوقوف على مسائل فقهية خالف فيها اجتهاد أحدهما الآخر فأجيب عنها، لأزيل ما قد يتوهمه البعض إشكالاً ، فإن ذلك حاصل بين أكثر المجتهدين من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، أو مراجعة أحدهما للآخر في موقف من المواقف أو مسألة من المسائل .

وليس ذكرنا للمودة بين علي وعثمان رضي الله عنهما من باب إظهار أمر خفيٍّ ، أو جمع الشواهد لتقوية أمر يحتاج إلى تقوية ،وإنما من باب البيان لما سيحتاج إليه ، كما بيَّن الصحابة في فترة من الفترات مناقب بعض، وذبوا عن أعراض بعض .

وليس قصدي من هذا المبحث أيضاً الإحاطة بسيرة هذه المودة، فذاك أمر يطول، ويكفي داعياً إليها ونائباً عن أي شاهد أنهما الصهران الشريفان، والسابقان للإسلام ، والمبشران بالجنة، اللذان لزما رسول الله وجاهدا معه، وأبلى كل منهما في مسيرة صحبته لرسول الله ﷺ ومن بعده البلاء الحسن بنفسه وماله وبما ميزه الله عَزَّ وجَلَّ وأعطاه، ومات رسول الله ﷺ وهو عنهما راضٍ ، وأنهما شيخا الإسلام بعد أبي بكر وعمر، وصاحبا المناقب التي نطق بها رسول الله ﷺ والمآثر التي شهد بها الصحابة من بعده .

وقد كانت مكانة سيدنا عثمان رضي الله عنه معروفة عند أصحاب

رسول الله ﷺ جميعاً ، ويدل على ذلك ما رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: « كنا نخيِّرُ بين الناس في زمن النبي ﷺ ، فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم » [١] .

ويدل على تلك المكانة أيضاً ما سبق من وصية عمر رضي الله عنه له بعد أن وصى علياً رضي الله عنه، قال: « يا عثمان، إن هؤلاء القوم لعلهم يعرفون لك صِهْرَكَ من رسول الله ﷺ وسنَّكَ وشرفَكَ، فإن أنت وليت هذا الأمر فاتق الله ، ولا ترفعن بني فلان على رقاب الناس » [٢] .

وإنما قصدي من هذا المبحث إظهار بعض ما كان بين علي وعثمان رضي الله عنهما من القرب والمودة وحفظ المكانة ، من خلال الشواهد الثابتة، ومن خلال ثناء علي على أخيه عثمان رضي الله عنهما، وبعض مواقفهما الدالة على ذلك .

فمن تلك الشواهد الإجمالية على علو قدر عثمان عند علي رضي الله عنهما، شهادةُ عليٍّ رضي الله عنه له بالخيرية، وشهادته له بما شهد له به رسول الله من البشريات الكثيرة، وبشارة الرسول له بالجنة، وفي رضا كل منهما بإمارة الآخر، وسمعه وطاعته له إن وقع الاختيار على توليته لإمارة المؤمنين، كما جاء في حديث البيعة.

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ ٣/ ١٣٣٧، ١٣٥٢ .

(٢) سبق تخريجه ص ١٥٦ .

وتجلت هذه المودة والأخوة أيضاً في قرب سيدنا علي منه واستشاراته له في الأمور المهمة ، ومن أجلِّ مشوراته موافقته لعثمان في جمع الناس على مصحف واحد؛ لمنع اختلاف الناس في القرآن .

وتجلت أيضاً في دفاعه عنه وإرساله الحسن والحسين رضي الله عنهما للمشاركة في حراسة دار عثمان وقت أن حاصره الخارجون عليه في الدار [1]، وما جاء من حمل الحسن بن علي يوم قتل عثمان جريحاً، وعزم عثمان على الحسين ابن علي أن لا يقاتل مخافة أن يقتل [2].

ويتجلى مقام عثمان عند علي رضي الله عنهما أيضاً في شهادته له هو وأصحاب رسول الله ﷺ بأنه قتل مظلوماً، وأنه كان أوصلهم للرحم، وفي حُزْنِ علي عليه وتبرئه من قاتليه ولعنه لهم ، عليهم من الله ما يستحقون .

وأمَّا الشواهد التفصيلية على ذلك ، فمنها:

أ- تَقَرُّرُ علوِ مقام عثمان رضي الله عنه عند علي وبنيه رضي الله عنهم:

فقد روى البخاري ما يدل على هذه المكانة الكبيرة عن أحد أبناء علي رضي الله عنهم، وهو محمد ابن الحنفية، قال: « قلت لأبي: أيُّ الناس خير بعد

---

(١) ينظر عصر الخلافة الراشدة ٧٩ - ٨٠ .

(٢) ينظر تثبيت الإمامة ص ١٦٧ ، ١٦٨ ، روى أبو نعيم (ص ١٦٨) بسنده عن نافع مولى ابن عمر قال: « كان ابن عمر عند عثمان رضي الله عنه يوم قتل وهو متقلد سيفه حتى عزم عليه عثمان مخافة أن يقتل ، وكان الحسين بن علي حتى عزم عليه عثمان مخافة أن يقتل » .

رسـول الله ﷺ ؟ قـال: أبـو بكر، قلت: ثـم من ؟ قال: ثم عمر، **وخشـيت أن يقول عثمان**، قلت ثم أنت ؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين »[1].

ففي خشية محمد ابن الحنفية أن يقدم أبوه عثمانَ على نفسه في الفضل دلالةٌ ظاهرة على علو مقام سيدنا عثمان في نفس سيدنا علي وآل بيته رضي الله عنهم، وأن ذلك كان معروفاً ومقرراً عندهم .

كـما نجــد في هـذا الحديـث مـا كان عليـه عـليٌّ رضي الله عنـه مـن مزيد التواضـع، وهضم النفـس ، وذاك هو المعروف مـن أحواله وأحوال أصحاب رسول الله ﷺ[2].

ب- ومن ذلك إخباره عن عثمان رضي الله عنه بأنه من أهل الجنة:

وقـد جاءت بشـارة عثـمان رضي الله عنـه بالجنة عن رسـول الله ﷺ في أحاديـث عـدة ، وأما ما جاء عن عـلي رضي الله عنه، وهـو مأخوذ من تلك البشـارات الكثيرة ، فهو ما أخرجه ابن أبي شـيبة عن محمد بن حاطب قال: « سمعت عليًّا يخطب يقول: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ** ﴾ **قال: عثمان منهم** »[3].

---

(١) صحيـح البخـاري ، كتاب فضائـل الصحابة، باب قول النبـي ﷺ: « لو كنت متخذاً خليلاً » ٣/ ١٣٤٢ .

(٢) ينظر تعليق الحافظ ابن حجر في الفتح ٧/ ٤١ .

(٣) المصنف،كتـاب الفضائـل، باب قول النبي ﷺ: « لو كنـت متخذاً خليلًا » ١٧/ ٨٨ ، وأخرجه الطحاوي في مشكل الآثار ١/ ٤٣٤- ٤٣٥ .

وقريب منه قوله رضي الله عنه - بعد توليه الخلافة - لمحمد بن حاطب، وقد أرسله علي إلى أهل البصرة بالشام ، قال: « إما انطلقت إلى قومك بالبصرة فأبلغهم كتبي وقولي ... فقال علي: أخبرهم أن قولي في عثمان أحسن القول، إن عثمان كان من الذين(آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين) »[1].

ففي هذين الحديثين، بيان لمنزلة عثمان رضي الله عنه عند سيدنا علي، وأن قوله فيه هو أحسن القول، وشهادته له بالجنة، ونشر علي رضي الله عنه لذلك على المنبر، وإرساله بذلك إلى الأقطار رضي الله تعالى عنهما .

ج- ومن دلائل هذا التقدير: رضا كل منهما بإمارة الآخر، وكونه أهلاً لها:

وذلك كما جاء في مفاوضات الشورى لاختيار أمير للمؤمنين بعد عمر رضي الله عنه ، فقد قال عبد الرحمن بن عوف لعثمان وعلي رضي الله عنهم فيما رواه البخاري ، قال: « أفتجعلونه إليّ، واللهُ عليَّ أن لا آلُو عن أفضلكم؟ قالا: نعم ، فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت، **فالله عليك لئن أمرتك، لتعدلن، ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن ؟ ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك**[2]، فلما أخذ الميثاق قال:

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٢١/ ٣٦٤ ، كتاب الجمل في مسير عائشة وعلي وطلحة والزبير، ورجاله ثقات . بل جاء في هذه القصة استياء علي رضي الله عنه ممن أساءوا في حق عثمان رضي الله عنه، حتى رشح جبينه عرقاً كراهية لما يجيئون به .

(٢) وقد ظل عبد الرحمن بن عوف ثلاثة أيام بلياليها يستشير الناس فيمن يختارون منهما.

ارفع يدك يا عثمان، فبايعه، فبايع له علي، وولج أهل الدار فبايعوه »[1]. فكان عبد الرحمن أول المبايعين، ثم علي، ثم تتابع بعد ذلك المبايعون .

د - ومنها: لزوم علي رضي الله عنه طاعته لعثمان في خلافته:

فقد روى ابن أبي شيبة وغيره بسند صحيح عن ابن الحنفية عن علي قال: « لو سيرني عثمان إلى صرار[2] لسمعت وأطعت »[3].

ففي هذا الأثر بيان من علي رضي الله عنه لحق ولي الأمر، ولعدل عثمان رضي الله عنه ، ولطاعته له، حتى ولو أمره بما فيه مشقة، ويُرْوَى ذلك عن آل بيته رضي الله عنهم، تعليماً للناس، وإزالة لأي وهم في ذلك ، وكيف لا وهم الموجهون للأمة، الناصحون لها، الذين تلقت منهم الأمة فتعلمت .

ونجد قريباً من هذا الموقف موقفاً لسيدنا عثمان رضي الله عنه، وهو يعالج رعيته ويدعوهم لطاعته، ببيان كيفية طاعته لرسول الله ﷺ، ثم لأبي بكر ثم لعمر رضي الله عنهما، وأن له عليهم من حق الطاعة مثل ما كان لأبي بكر وعمر، فيقول: « إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، وكنتُ ممن استجاب لله ورسوله ﷺ وآمنتُ بما بُعِثَ به محمد ﷺ ، وهاجرتُ الهجرتين

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان ٣/ ١٣٥٧ .

(٢) صرار: هي بئر قديمة على ثلاثة أميال من المدينة من طريق العراق، وقيل: موضع. النهاية لابن الاثير ٣/ ٢٣.

(٣) المصنف، كتاب الفتن، ما قيل في عثمان ج ٢١، رقم ٣٨٨٥٤ ، وأخرجه الخلال في السنة ١/ ٣٢٥ .

الأولين - كما قلتَ - وصحبتُ رسـول الله ﷺ وبايعته، والله ما عصيتُهُ، ولا غششـته حتى توفاه الله، ثم اسـتَخْلَفَ اللهُ أبا بكر فوالله ما عصيته ولا غششته، ثم اسـتُخْلِفَ عمـرُ ، فوالله ما عصيته ولا غششـته، ثم اسـتُخْلِفْتُ، أفليس لي عليكم مثل الذي كان لهم علي ؟ » [1] .

هـ - ومن دلائل القرب والمودة: استشاراته لعلي رضي الله عنهما:

قد كانت الاستشـارات بين الصحابة من الأمور الشـائعة بينهم ، وكانت استشـارات عثمان لعـلي كثيرة ، واسـتعانته بـه وبأصحاب رسـول الله ﷺ في القضاء ومسائل الأحكام كانت هي السنة الجارية بينهم .

فقـد أخرج البيهقي بسـنده عن عمر بن عثمان بن عبد الله بن سـعيد قال: حدثنـي جـدي، قـال: « كان عثـمان رضي الله عنه إذا جلس عـلى المقاعد جاءه الخصـمان، فقـال لأحدهما: اذهب ادع علياً ، وقـال للآخر: اذهب فادع طلحة والزبـير ونفراً من أصحاب النبي ﷺ ، ثم يقول لهما: تكلما، ثم يقبل على القوم فيقول: ما تقولون ؟ فإن قالوا ما يوافق رأيه أمضاه، وإلا نظر فيه بعد، فيقومان وقد سلما» [2].

ومن نماذج تشـاورهم رضي الله عنهم ، هذه المسـألة التي تحتاج إلى تدقيق النظر، فلم يُرِدْ عثمانُ أن يفصل فيها حتى يستشير، وذلك أنه رفعت إليه مسألةُ

---

(١) أخرجـه البخاري في صحيحه، كتاب فضائـل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان، وباب هجرة الحبشة ٣/ ١٣٥٢، ١٤٠٦ .

(٢) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب آداب القاضي، باب من يشاور ١٠/ ١١٢ .

امـرأة تعتد من طلاقها، والأصل في عدتها أن تعتد بثلاث حيضات، ولكن قد طالت مدة عدتها بسـبب عارض، وهو أن زوجها طلقها وهي ترضع، فانقطع حيضهـا بسـبب رضاعها، فهل ترث مـن زوجها إن مات قبـل أن تتم الثلاث حيضـات، وإن طالـت هـذه المدة ؟ فـكان رأي عليٍّ رضي الله عنـه وغيره أنها ترثه؛ لأنها مازالت في العدة ، وتلك من دقائق المسائل .

فعـن عبـد الله بن أبي بكر أخبره: « أن رجلاً من الأنصار يقال له حبان بن منقذ طلق امرأته وهو صحيح، وهي ترضع ابنته، فمكثت سبعة عشر شهراً لا تحيض، يمنعها الرضاع أن تحيض، ثم مرض حبان بعد أن طلقها سـبعة أشـهر أو ثمانيـة، فقيـل له: إن امرأتك تريـد أن ترث، فقال لأهلـه: احملوني إلى عثمان رضي الله عنـه، فحملـوه إليه، فذكر له شـأن امرأته، وعنده عـلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت رضي الله عنهما، فقال لهما عثمان رضي الله عنه: ما تريان ؟ فقالا: نـرى أنها ترثـه إن مات، ويرثها إن ماتت؛ فإنها ليسـت مـن القواعد اللاتي قد يئسـن من المحيض، وليسـت من الأبكار اللاتي لم يبلغن المحيض، ثم هي على عدة حيضها ما كان من قليل أو كثير » (١).

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب العدد، باب عدة من تباعد حيضها ٧/ ٤١٩، وعبـد الـرزاق في المصنـف، كتاب الطـلاق، باب تعتـد أقراءها ما كانـت ٦/ ٣٤٠، والموطأ، كتاب الطلاق ٢/ ٥٧٢ مختصراً .

و- ومنها: موافقة علي رضي الله عنه له في جمع الناس على مصحف واحد [1]:

وذلك فيما أخرجه ابن أبي داود بإسناد صحيح [2] من طريق سويد بن غفلة، قال: قال علي: « لا تقولوا في عثمان إلا خيراً، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا جميعاً، فقال: ما تقولون في هذه القراءة ؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك ، وهذا يكاد أن يكون كفراً ، قلنا: فما ترى ؟ قال: نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد ، فلا تكون فرقة ، ولا يكون اختلاف ، قلنا: فنعم ما رأيت » [3] .

فواضح من هذا النص، مدى ما كان بينهما من القرب ، وتزكيته لعمل عثمان هذا، ودفعه المتطاولين عليه رضي الله عنه .

ز- ومنها شهادة علي والزبير وطلحة وسعد رضي الله عنهم له ببعض البشارات العظيمة :

وذلك عندما وقف واعظاً الناس مدافعاً عن نفسه، محاولاً درء الفتنة، فاستشهد بإخوانه علي وطلحة والزبير وسعد رضي الله عنهم فشهدوا له، فعن

---

(١) وهو المصحف المجموع في عهد أبي بكر الصديق، والذي جمع من الصحف التي كتبت بين يدي رسول الله ﷺ، وذلك كما رواه البخاري في صحيحه، باب جمع القرآن (٤/ ١٩٠٨) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك » .

(٢) كما قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٨/ ٦٣٥ .

(٣) المصاحف لابن أبي داود ١/ ٢١٣ - ٢١٤ .

عمـر بـن جاوان قال: سـمعت الأحنف يقـول: « أتيت المدينة وأنـا حاج فبينا نحـن في منازلنـا نضع رحالنا إذ أتـى آت فقال: قد اجتمع الناس في المسـجد، فاطلعـت فإذا يعنـي الناس مجتمعون، وإذا بين أظهرهم نفر قعود، **فإذا هو علي ابن أبي طالب والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص رحمة الله عليهم،** فلمَّا قمت عليهم قيل: هـذا عثمان بن عفان قد جاء، قال: فجاء وعليه ملية صفراء، فقلت لصاحبي كما أنت حتى أنظر ما جاء به، **فقال عثمان: أهاهنا عليٌّ، أهاهنا الزبير، أهاهنا طلحة، أهاهنا سـعد؟** قالوا : نعم، قال : فأنشـدكم بالله الذي لا إله إلا هـو أتعلمون أن رسـول الله ﷺ قـال: « **من يبتاع مربد بني فـلان غفر الله له** » فابتعته فأتيت رسول الله ﷺ فقلتُ: إني ابتعت مربد بني فلان، قال: « **فاجعله في مسـجدنا وأجره لك** » ؟ قالوا : نعم، قال: فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو هـل تعلمـون أن رسـول الله ﷺ قال : « **من يبتاع بئر رومـة غفر الله له** » فأتيت رسـول الله ﷺ فقلت: قد ابتعت بئر رومة، قال : « **فاجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك؟** » قالوا: نعم، قال: فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، هل تعلمون أن رسـول الله ﷺ قـال : « **من يجهز جيش العسرة غفر الله له ؟** » فجهزتهم حتى مـا يفقدون عقالاً ولا خطاماً، **قالوا : نعم، قال : اللهم اشـهد، اللهم اشـهد، اللهم اشهد** »[1].

وزاد في حديـث ثمامـة بن حزن القشـيري، عن عثـمان رضي الله عنه قال: « أنشـدكم بالله والإسـلام، هل تعلمـون أن رسـول الله ﷺ كان على ثبير مكة ومعـه أبو بكر وعمر وأنا، فتحرك الجبل حتى تسـاقطت حجارته بالحضيض،

---

(١) أخرجـه النسـائي، كتاب الجهاد، فضـل من جهز غازياً، وكتـاب الأحباس، باب وقف المسـاجد ٦/ ٤٦، ٢٣٤، واللفـظ له، وأحمـد ١/ ٧٠، وابن حبـان ١٥/ ٣٦٢، وأصل الحديث ومناشدة عثمان للصحابة في صحيح البخاري مختصراً برقم (٢٦٢٦).

قال: « **فركضه برجله وقال: اسكن ثبير فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان** »؟ قالوا: اللهم نعم . قال: **الله أكبر شهدوا لي ورب الكعبة أني شهيد**، ثلاثاً »[1].

ح- ومنها تبرؤ علي رضي الله عنه من قتلة عثمان رضي الله عنه، ولعنه لهم:

فقد أخرج ابن أبى شيبة بسند رجاله ثقات عن محمد ابن الحنفية، أن عليًّا قال: « **لعن الله قتلة عثمان في السهل والجبل والبر والبحر** »[2].

وروى الحاكم في المستدرك، عن قيس بن عباد ، قال: سمعت عليًّا رضي الله عنه يوم الجمل يقول: « اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان ، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان ، وأنكرت نفسي وجاؤوني للبيعة ، فقلت: والله إني لأستحيي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال له رسول الله ﷺ: « **ألا أستحيي ممن تستحيي منه الملائكة** » ، وإني لأستحيي من الله أن أُبايَع وعثمانُ قتيلٌ على الأرض لم يدفن بعد ، فانصرفوا ، فلما دفن، رجع الناس فسألوني البيعة ، فقلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه ، ثم جاءت عزيمة فبايعتُ، فلقد قالوا: يا أمير المؤمنين، فكأنما صدع قلبي » . قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[3].

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان (٣٧٠٣)، وأحمد ١/ ٧٤، والنسائي ٦/ ٢٣٦ كالحديث السابق. وقال الترمذي: هذا حديث حسن. وقد روي من غير وجه عن عثمان .

(٢) المصنف، كتاب الجمل، في مسيرة عائشة وعلي وطلحة والزبير ج٢١ ، رقم ٣٨٩٤٨.

(٣) المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، فضائل أمير المؤمنين ذي النورين عثمان بن عفان ٣/ ١٠٣، وقال الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم .

فانظر لعنه لهؤلاء المجرمين المعتدين، وهولَ هذا الأمر ووَقْعَه على سيدنا علي رضي الله عنه، تعرف زور ما ينقل بخلاف ذلك في بعض كتب التواريخ.

وكذا في ذكر علي رضي الله عنه لأظهر خصيصة اختص بها عثمان رضي الله عنه ، والتي تدل على مقامه عند رسول الله وجلالته عند ملائكة الله، وهي قول النبي ﷺ: « **ألا أستحيي ممن تستحيي منه الملائكة ؟!** » تعرف مدى حزن علي على أخيه عثمان ، وما كان يحمله له من المكانة والمحبة والشفقة، فرضي الله عنهم أجمعين.

ولمّا احتاج الناس إلى البيعة كانت لخيرهم، كما قال الحسن البصري رحمه الله: « قتل أمير المؤمنين عثمان، فاجتمع الناس على خيرهم فبايعوه » [(١)].

ك – وقد ذكرنا من قبل تسمية علي رضي الله عنه أبناءه بأسماء بعض من يحب ويعتز من أصحابه وأهله ، ومنهم عثمان رضي الله عنه، وبقية الخلفاء الراشدين.

وهكذا كانت العلاقة بين الصهرين الشريفين عثمان وعلي رضي الله عنهما، علاقة الأخوة في الله، والمسؤولية في دين الله، علاقة التقدير والمحبة، والتناصح والمودة، ولـمَّا احتاج بعض الناس – من غير الصحابة – إلى معرفة قدر الخليفة الثالث، كان سيدنا علي من أكبر القائمين على ذلك، وما ورد بخلاف ذلك إن صح، فلا يتعدى اختلاف وجهات النظر في الإدارة أو الاجتهاد في الأحكام .

وقد أوردت لك بفضل الله تعالى بعض شواهد هذه العلاقة، وما كان

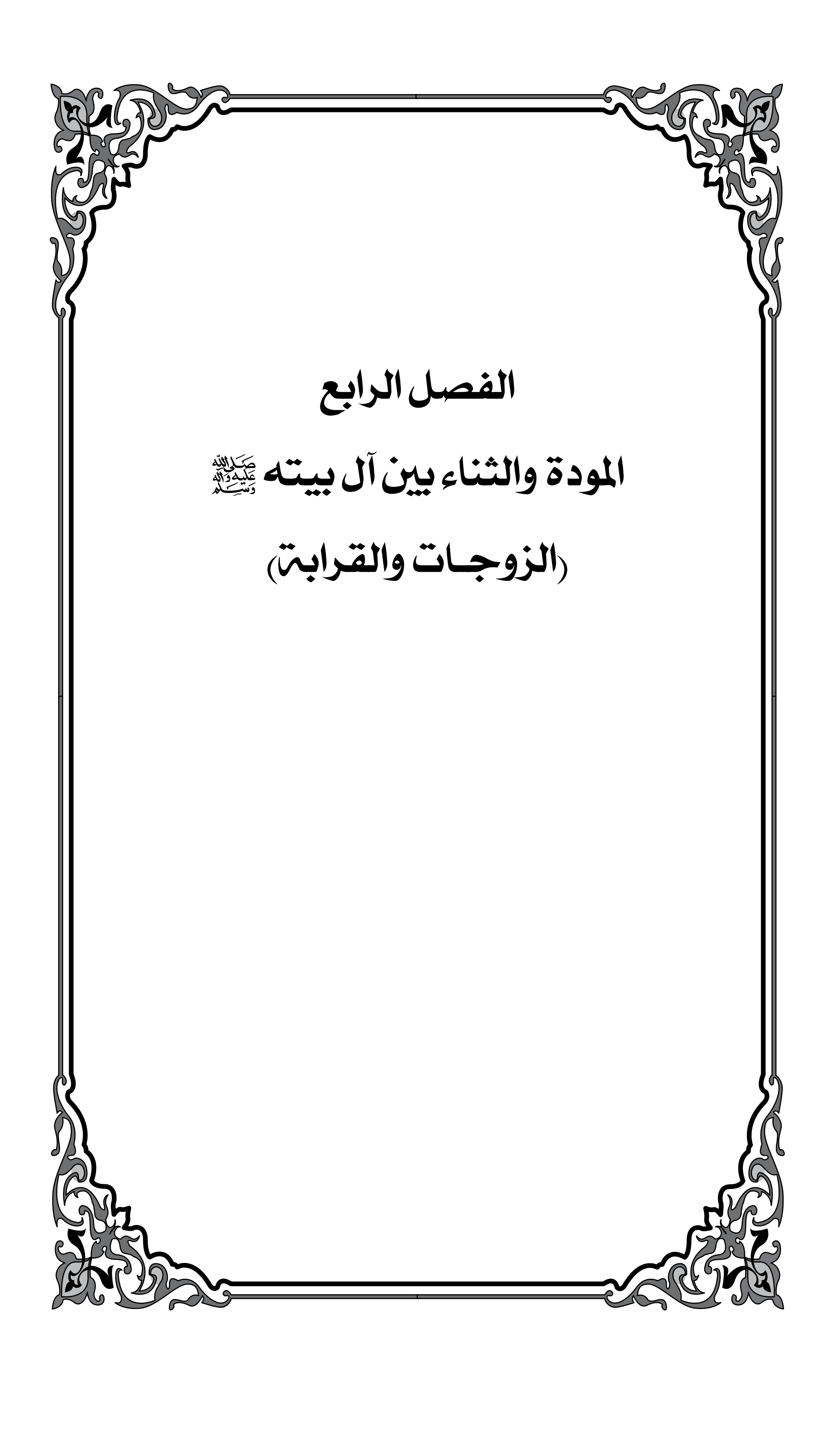
---

(١) أخرجه الخلال في السنة ١/ ٤٣١ .

لسيدنا عثمان رضي الله عنه من التقدير عند سيدنا علي وآل بيته رضي الله عنهم، وعند أصحاب رسـول الله ﷺ، أوردته لك بالأسـانيد الصحـاح والمجودات من خلال كتب السـنة المشرفة، فلا تلتفت لخلاف ذلك، مما تورده بعض كتب التواريخ من روايات مكذوبة أو واهية، أو روايات مليئة بالأوهام .

وبعد هذه الجولة المباركة مع شواهد المودة بين الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وآل بيت رسول ﷺ، خاصة مع سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ننتقل إلى أطهر بيوت عرفتها البشرية، بيوت رسـول الله ﷺ، بيوت الزوجات والقرابة، لنتعرف على بعض آدابها، وبعض مظاهر التواد فيها .

***



الفصل الرابع

المودة والثناء يين آل بيته ﷺ

(الزوجات والقرابة)

الفصل الرابع

المودة والثناء بين آل بيته ﷺ

(الزوجات والقرابة)

واستكمالاً لصور الخير في مجتمع الصحابة رضوان الله عليهم، نعرج في هـذا الفصل على نموذج خاص من العلاقـات، وهو نموذج العلاقة بين آل بيت رسـول الله ﷺ (زوجاته وقرابته)، الذين سـعدوا بانتساب خاص من رسـول الله ﷺ، وقال الله عزَّ وجلَّ فيهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1] . فنقـف في هـذا الفصـل على بعض آداب بيوت النبي ﷺ، وعلى بعض الشـواهد الجليـة للعلاقة الراقية فيما بين زوجاتـه ﷺ ، التـي ذكرتهـا بعـض كتب التراجم والسـنن، ممـا يعد صدىً وبيانـاً لهـذه الآيـات الكثيرة التي نزلـت في مدحهن وتوجيههـن . وكذا بين زوجاته ﷺ وبين آل بيته وقرابته، بحسب ما تيسر لي من تلك الشواهد .

ونركـز في هـذا الفصل عـلى علاقـة أم المؤمنين عائشـة رضي الله عنها بـآل بيتـه ﷺ، نتعـرف منها عـلى صفاء هـذه العلاقة، ونجلي بعـض ما قد يخفى منها، ونجمع ونلتقط بعض ما تفرق من شـواهدها من مظانها وغير مظانها، ونضع الأيدي إن شاء الله تعالى على بعض دقائق العبارات الواردة في النصـوص، التـي ربما تمر على البعـض دون أن يعطيها حقها من التأمل. ونلتمس في هذه العلاقة أيضاً مواطن الاقتداء .

---

(١) سورة الأحزاب، من الآية ٣٣ .

وسوف نتناوله إن شاء الله من خلال مبحثين:

المبحث الأول: المودة والثناء بين نساء النبي ﷺ .

المبحث الثاني: المودة والثناء بين آل بيت رسول الله ﷺوزوجاته (السيدة عائشة نموذجاً).

* * *

المبحث الأول

المودة والثناء بين نساء النبي ﷺ

إن بيوت النبي ﷺ ليست كغيرها من البيوت، فهي مدارس آيات، ومشارق أنوار وهدايات، ومهبط رحمات وتجليات، ومن ثَمَّ كانت المثَل الأعلى للبيوت، ففيها المحبة والمودة، وفيها المؤانسة والملاطفة، فضلاً عما فيها من العبادة والعلم والحكمة.

وإن لدخول بيوت النبي آداباً عالية أدَّب الله تعالى بها المؤمنين؛ والمؤمنون إنما يدخلون بيوت النبي ﷺ للتأسي والاقتداء، والتعلم والاهتداء، فليعلم المؤمن أنه يدخل بيتاً يتنزل فيه الوحي، بيتاً أسس على التقوى، بيتاً فيه زوجات هن خير زوجات عرفتهن البشرية، فليحفظ قلبه، وليلق سمعه، وليسعد بمعرفة أحوال بيت نبيه ﷺ !!

وقد كانت حياة أزواج النبي ﷺ فيما بينهن قائمة على المحبة والمودة، فلا معاداة فيها، وعلى البساطة، فلا تكلف فيها، وما ينقل بخلاف ذلك فشيء عارض، وإنما نقل للتعلم، فهن أمهات المؤمنين اللاتي خَيَّرَهُنَّ رسول الله ﷺ بأمر من الله بين إرادة الحياة الدنيا وزينتها، وبين إرادة الله ورسوله والدار الآخرة، فاخترن كلُّهن اللهَ ورسولَهُ والدارَ الآخرةَ، فلم تتطلع نفوسهن إلى الرغبة في الدنيا وزينتها، واشتركن جميعاً فيما كان يمر برسول الله ﷺ من شدة العيش ورخائه، فلا تجدهن إلا حامدات صابرات، وأمرهن الله أن يذكرن ما يتلى في بيوتهن من الكتاب والحكمة، فقال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ

﴿ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [1]، فكن الفقيهات الحافظات، مرجع الأمة في كثير من الأحكام .

وقد نشر الكتابُ العزيز فضائلهن، وتواترت السنة بمناقبهن، وما ينقل من غيرة بعضهن، فإنه من باب التنافس في محبة رسول الله ﷺ ، والرغبة في تحصيل شدة القرب منه ﷺ ، وذاك مما يعد من فضائلهن طالما لم يؤد إلى غمط إحداهن للأخرى، ولذلك كان رسول الله ﷺ يوجه تلك المحبة ويهذبها ويرقيها، بل ينزل القرآن ببعض تلك الآداب بين اللين والشدة؛ فإنهن زوجات خير البرية، الطاهرات المطهرات العابدات القانتات، ولسن كأحد من النساء؛ حيث قال تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ ﴾[2]، وقال تعالى فيهنّ أيضاً: ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [3]، وهذه الآية وإن نزلت في شأن تبرئة السيدة عائشة رضي الله عنها، فإنها تنسحب على سائر زوجاته ﷺ ، ونزل فيهن وفي عترته الشريفة قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [4] .

وهن اللاتي قال رسول الله ﷺفيهن فيما رواه البخاري عندما سألوه، فقالوا: كيف نصلي عليك ؟ فقال رسول الله ﷺ: « قولوا: اللهم صلِّ على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آلِ إبراهيمَ، وبارك على محمد وأزواجهِ وذريتهِ، كما باركتَ على آل إبراهيمَ، إنك حميدٌ مجيدٌ » [5].

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٤ .

(٢) سورة الأحزاب، من الآية ٣٢ .

(٣) سورة النور، من الآية ٢٦ .

(٤) سورة الأحزاب، من الآية ٣٣ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (يزفون) الصافات: ٣/ ١٢٣٢ –=

من دلائل المودة إجمـالاً:

ومن دلائل مودتهن ما كُنَّ عليه من مكارم الأخلاق وجميل الصفات، ومنها ثنـاءُ بعضهنَّ على بعـضٍ، وروايةُ بعضهن مناقبَ وفضائلَ بعضٍ، وتسـابُقُهُنَّ في الخـيرات؛ وخاصةً إرضاءَ رسـول الله ﷺ ، وشـفاعةُ بعضهـن لبعض عند رسـول الله ﷺ، ونيابةُ بعضهن عن بعض، وكثرةُ اجتماعهن، وإهداءُ بعضهن لبعـض، وروايـةُ بعضهن لبعض بعضَ ما يذكرهُ رسـول الله ﷺ أو يَحدُثُ في بيتها، ولذلك ترويه إحداهن ولم تشـهَدْهُ، والحاصلُ أنها أخذته عن غيرها من الزوجات، ومن الدلائل أيضاً مؤانسـةُ وممازحة بعضِهنَّ لبعضٍ، وقلةُ ما ينقل عنهن مما يحصل غالباً بين الزوجات مع كثرتهِنَّ وتجاورهن واختلاطهن .

وسوف نتناول هذا المبحث إن شاء الله تعالى من خلال النقاط الآتية:

أولاً: مجالسهن وكثرة اجتماعهن .

ثانياً: أقوالهن المبينة لتلك المودة .

ثالثاً: بعض أعمالهن الأخرى .

رابعاً: غيرتهن رضوان الله عليهن والمنهج التربوي الفريد .

= ١٢٣٣ ، وكتاب الدعوات، باب هل يصلى على غير النبي ﷺ ٥/ ٢٣٣٩، ومسلم في صحيحـه، كتـاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشـهد (شرح مسـلم للنووي ٤/ ٣٤٨).

أولاً: مجالسهن وكثرة اجتماعهن:

ومن آدابهن المعيشية الدالة على ما كان بينهن من تواد:

أ- اجتماعهن كل ليلة:

كن رضوان الله عليهن في حجرات متجاورة، يدخل بعضهن على بعض، ويتفقد بعضهن بعضاً، ومن عادتهن أن يجتمعن في الليل في بيت من سيبيت عندها رسول الله ﷺ حتى يجيء رسول الله، فيسلمن ويطمأنن عليه، كما جاء في حديث مسلم عن أنس، قال: « **كان للنبي ﷺ تسع نسوة، فكان إذا قسم بينهن، لا ينتهي إلى المرأة الأولى إلا في تسع، فكن يجتمعن كل ليلة في بيت التي يأتيها** » (١).

ولك أن تتصور ما يدل عليه هذا الاجتماع من التواد والتآلف بينهن، وأنه كما يقول أهل العلم كان برضاهن، ولك أن تتصور هذا النموذج النادر في الدنيا من إذن المرأة ورضاها أن تجتمع ضراتها في بيتها !!

ب- تذاكرهن رضي الله عنهن:

ولك أن تتصور أيضاً ما كان في هذه المجالس من طيب الكلام، وطيب المقاصد، واستماع للذكر، فمن تلك النماذج الطيبة مما كن يتذاكرنه، ما رواه البخاري ومسلم عن عجيبة من العجائب التي رأتها السيدة أم حبيبة بنت

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب القسم بين الزوجات (شرح مسلم للنووي ١٠/ ٢٨٨).

أبي سفيان، والسيدة أم سلمة زوجتا النبي ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: « لما اشتكى النبي ﷺ ذكرت بعض نسائه كنيسة رأينها بأرض الحبشة، يقال لها: مارية، وكانت أم سلمة وأم حبيبة رضي الله عنهما أتتا أرض الحبشة، فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها، فرفع رأسه فقال: « **أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، ثم صوروا فيه تلك الصورة، أولئك شرار الخلق عند الله** » [1].

ج- تطاولهن لمعرفة أولهن لحوقا برسول الله ﷺ:

وفي مثل هذه المجالس يخبرهن رسول الله ﷺ عن أولهن لحوقاً به بعد وفاته، وهي أطولهن يداً، فظنوا أن رسول الله ﷺ يقصد الطول المادي لليد، فكن يقسن طول أيديهن ليعلمن من أولهن لحوقاً به، وتحاول إحداهن أن تطيل يدها كما جاء في الروايات، فكانت السيدة سودة أطولهن في الظاهر كما جاء عند البخاري، وكان مقصد رسول الله الإشارة إلى فضيلة إحداهن، وهي كثرة صدقاتها.

فعن السيدة عائشة أم المؤمنين، قالت: قال رسول الله ﷺ: « **أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً**، قالت: فكن يتطاولن أيتهن أطول يداً، قالت: فكانت أطولنا يداً زينب، لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق » [2]، وفي رواية للبخاري:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب بناء المسجد على القبر ١/ ٤٥٠، ومسلم، كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور (شرح مسلم للنووي ٥/ ١٥)، وهذا لفظ البخاري.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل زينب أم المؤمنين (شرح النووي ١٥/ ٢٢٧، رقم ٦٢٦٦)، وأخرجه البخاري بسياق مقارب، كتاب الزكاة، باب أي الصدقة أفضل رقم (١٣٥٤).

عن عائشة رضي تعالى الله عنها أيضاً: « فأخذوا قصبة يذرعونها، فكانت سودة أطولهن يداً، فعلمنا بعد أنما كانت [1] طول يدها الصدقة، وكانت أسرعنا لحوقاً به، وكانت تحب الصدقة » [2] .

وجاء في المستدرك أنهن كن في اجتماعهن بعد وفاة رسول الله يفعلن ذلك، فعن السيدة عائشة قالت: « فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمد أيدينا في الجدار نتطاول، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ، وكانت امرأة قصيرة، ولم تكن أطولنا فعرفنا حينئذ أن النبي ﷺ إنما أراد بطول اليد الصدقة » [3] .

وهذا الفعل دال على شدة تعلقهن به ﷺ، ومحبتهن سرعة اللحاق به، وعلى بساطتهن فيما بينهن، وكثرة اجتماعهن، وشهادة بعضهن لبعض بالفضائل، فما أرقهن وأعدلهن رضوان الله عليهن !!

على أن تلك المجالس على كثرتها لا يمكن أن تمر جميعها من بعض ما يعكر صفوها، وذاك أمر طبيعي، وهو قليل، إذ الأصل والقاعدة هو صفاء تلك المجالس وطيبها، وفي كثرة تكرارها دليل على رضا رسول الله ﷺ بذلك؛ إذ لو كانت محلاً للتناوش لمنعها رسول الله ﷺ، فكانت بذلك مجالس مرضية عند الله ورسوله، بل كانت بيوتهن مهابط الوحي، وترداد جبريل عليه السلام .

---

(١) المقصود بها بالإجماع: أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها . انظر شرح الإمام النووي لهذا الحديث (١٥/ ٢٢٧) .

(٢) سبق تخريجه الصفحة السابقة، حديث رقم ١٣٥٤ .

(٣) المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، ذكر زينب بنت جحش ٤/ ٢٥، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه . وقال الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم .

د- ومن هذه الدلائل: ممازحة بعضهن لبعض:

وكن رضي الله عنهن يمازح بعضهن بعضاً، خاصة السيدة سودة؛ لما فيها رضي الله عنها من طرافة، ومن طرافتها رضي الله عنها ما رواه ابن سعد بسنده عن إبراهيم النخعي مرسلاً، قال: قالت سودة لرسول الله ﷺ: « صليت خلفك البارحة، فركعت بي حتى أمسكت بأنفي مخافة أن يقطر الدم. قال: فضحك. وكانت تضحكه الأحيان بالشيء »[(1)].

وتحكي السيدة عائشة موقفاً ينبئ عن تباسطهن ولطافتهن وسرور رسول الله ﷺ بذلك؛ إذ تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: « زارتنا سودة يوماً، فجلس رسول الله ﷺ بيني وبينها، إحدى رجليه في حجري والأخرى في حجرها، فعملت لها حريرة- أو قال: خزيرة[(2)] - فقلت: كلي، فأبت، فقلت: لتأكلي، أو لألطخن وجهك، فأبت، فأخذت من القصعة شيئاً، فلطخت به وجهها، فرفع رسول الله ﷺ رجله من حجرها تستقيد مني، فأخَذَتْ من القصعة شيئاً، فلطَّختْ به وجهي، ورسول الله ﷺ يضحك ... »[(3)].

---

(1) الطبقات الكبرى ٨/ ٤٤ ، قال الحافظ ابن حجر في الإصابة ٨/ ١٩٧ : هذا مرسل رجاله رجال الصحيح .

(2) الخزيرة- بفتح الخاء المعجمة، وكسر الزاي، وفتح الراء المهملة- هو حساء يعمل بلحم ، ينظر غريب الحديث لابن الأثير .

(3) أخرجه النسائي، السنن الكبرى في عشرة النساء ، في الانتصار ٨/ ١٦٢ واللفظ له، وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٧/ ٤٤٩ - ٤٥٠)، قال الهيثمى في المجمع (٤/ ٣١٦): رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح، خلا محمد بن عمرو بن علقمة، وحديثه حسن .

فهـذا موقف مـن مواقـف الطرافة والمحبة رغـم الفارق الكبير في السـن بينهـما، وانتهى الأمر بأن غسـلتا وجهيهما وهما مسرورتان والنبي ﷺ مسرور لسرورهما !!

هـ - دعوة بعضهن لبعض على الطعام:

وكـن رضي الله عنهن يجتمعن على الطعام، ويصبرن على ما يجدن كلهن من شدة العيش، فمن أمثلة اجتماعهن على الطعام، ما أخرجه الطبراني: عن صفيـة زوج النبـي ﷺ قالت: « جاء رسـول الله ﷺ في يوم فقـال: « **أعندك شيء يا بنت حيي، فإني جائع؟** ». فقلت: لا والله يا رسول الله، إلا مُدَّيْنِ من طحـين. قال: « **فأسـخنيه** ». قالت: فجعلته في القـدر وأنضجته، فقلت: قد نضج يا رسـول الله. فقال: « **أتعلمين في نِحْي بنت أبي بكر شـيئاً ؟** ». فقلت: مـا أدري يـا رسـول الله. قال: فذهب هو بنفسـه حتى أتى بيتهـا، فقال: « **في نحيك يا ابنة أبي بكر شيء ؟** ». فقالت: ليس فيه شيء إلا قليل، فجاء به هـو بنفسه، فعصر حافتيه في القدر حتى رأيت الذي يخرج موضع يده، فقال ﷺ: « **بسـم الله، ادعـي أخواتك، فإني أعلـم أنهن يجدن مثلما أجـد** » ، فدعوتهن، فأكلنا حتى شبعنا ... » [1]. والنِّحْي هو وعاء السمن [2].

---

(١) أخرجـه الطبراني في الأوسـط ٦/ ٢٦٢ - ٢٦٣، وقـال الهيثمي في المجمع (٨/ ٣٠٨- ٣٠٩): رواه الطبراني في الأوسط وفيه حديج بن معاوية وقد وثق على ضعفه، وبقية رجاله ثقات .

(٢) ينظر النهاية في غريب الحديث (حمت)، والمصباح المنير (نحوت) .

ثانياً: أقوالهن المبينة للمودة بينهن:

أ- ألفاظ المصاحبة والأخوة الصادرة عنهن:

من صور المودة بين نسـاء النبي ﷺ ما روته كتب السـنة من التعبيرات الرائقة، تعبيرات الأخوة والصحبة وما يشابهها، وتلك تعبيرات سواء كانت منهـن أو مـن رسـول الله ﷺ دالة على أنهن كن يعشـن معانيهـا، فقد أخرج أبو داود عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، **كل صواحبي لهن كنى**. قال ﷺ: « **فاكتني بابنك عبد الله** ». يعنى ابن أختها [١] ، وكذا ما ورد في قصة إعمار السـيدة عائشة إذ تعذر عليها أن تعتمر كما اعتمر بقية الزوجات، فقالت: « يا رسـول الله، **أترجع صواحبي بحج وعمرة وأرجع أنا بالحج**، فأمر رسـول الله ﷺ عبـد الرحمـن بـن أبي بكـر، فذهـب بهـا إلى التنعيـم فلبـت بالعمـرة ».

وكذا كان يعبر النبي ﷺ ، كما جاء في المسـاواة بينهن في المهور عندما قال للسـيدة أم سـلمة: « **لا أنقصك مما أعطيت أختك فلانة** » [٢] ، وفي رواية أحمد: « **أما إني لا أنقصك مما أعطيت أخواتك** » [٣] .

---

(١) أخرجـه أبو داود في سـننه، كتـاب الأدب، بـاب في المرأة تكنى ٥/ ٤٩٣١، وإسـناده صحيح .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، ذكر أم المؤمنين أم سلمة ٢/ ١٧، وأبـو يعلى في المسـند ١٢/ ٣٣٨، وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسـناد، ووافقه الذهبي .

(٣) في المسند ٦/ ٣١٤ .

وتقدم السيدة أم سلمة العذر بين يدي طلبها من رسول الله ﷺ أن يأمر المسلمين أن يهدوا إليه في أي بيت من بيوته، ولا يتحروا بهداياهم ليلة أختها عائشة، فتقول: « **إن صواحبى اجتمعن** . فذكرت له» (١) ، أي ما أرسلوها به، وهذا من أدبها رضي الله عنها.

ولما مرض رسول الله ﷺ ، وعرف نساؤه محبته ﷺ أن يكون في بيت السيدة عائشة، قالوا - كما روي مرسلاً عن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم -: « **قد وهبنا يومنا لأختنا عائشة** » (٢)، وروي متصلًا عن عائشة رضي الله عنها: فقلن: « **يا رسول الله، يومنا الذي يصيبنا لأختنا** » (٣).

وقد أوصت السيدة عائشة أن تدفن بجوار أخواتها من نساء النبي ﷺ ، كما رواه البخاري: عن عائشة، قالت لعبد الله بن الزبير: « **ادفني مع صواحبي،** ولا تدفني مع النبي ﷺ في البيت، فإني أكره أن أزكى » (٤) .

فهكذا كن يعبرن بهذه الكلمات الرقيقة ذات الدلالة على التقارب والمحبة والتآلف، فما أعظم هذه الأمثلة، وما أعظم هذه التربية، ويكفيك ما أوصت به

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها، باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض ٢/ ٩١١ .

(٢) رواه ابن أبي شيبة مرسلًا، كتاب المغازي، ما جاء في وفاة النبي ﷺ ٢٠/ ٥٧٠، ورجاله ثقات، ورواه ابن سعد مرسلاً أيضاً في الطبقات الكبرى ٢/ ١٨٠.

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٢/ ١٨٠، عن شيخه محمد بن عمر الواقدي .

(٤) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالسنة، باب ما ذكر النبي ﷺ وحضَّ ٦/ ٢٦٧١، وكذا ١/ ٤٦٩ ، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ.

السـيدة عائشة بأن تكون بجوار صاحباتها بالبقيع، وكراهتها أن تزكى عليهن، فما أعظم ما كان عليه أمهات المؤمنين !!

ب - نشر بعضهن فضائل بعض:

ومن آداب نساء النبي ﷺ أنهن كن ينشرن فضائل بعضهن بعضاً، خاصة إذا دعت الحاجة إلى ذلك؛ تعليماً للناس حفظ الحقوق، وكيف كانت سيرتهن، وإنـزالاً لهـن منازلهن، وطلباً لحسـن الاقتداء بهن في المعـاش وفي الدين، وربما تذكـر إحداهن ذلـك دونما سـبب ظاهر، وذلـك إذا تذكرت إحداهـن موقفاً لأختهـا، خاصـة بعد موتها، فتجيش نفسـها بالثنـاء عليها والدعـاء لها، وذاك وحده من فضائلهن، وكافٍ في الدلالة على علو نفوسهن رضي الله عنهن .

وليس يخفى على العارف أن هذا الأمر ليس أمراً سهلاً على النساء، ولكنه هـو الحاصل بين زوجـات النبي ﷺ ؛ لأنهن الكامـلات المعلمات اللاتي تربين على يدي رسول الله ﷺ .

فمـن هـذه النـماذج: روايـة السـيدة عائشـة مناقـب السـيدة خديجـة رضي الله عنهما:

فقـد كانت السـيدة عائشـة رضي الله عنها من أكثر النسـاء نـشراً لفضائل ومناقـب أم المؤمنـين وأم الإسـلام السـيدة خديجة رضي الله عنهـما، فقد بينت بما روت طرفاً من مكانتها عند رسـول الله ﷺ ، فروت كما في الصحيحين من حديث بدء الوحي وما فيه من حكمة وفضائل السـيدة خديجة رضي الله عنها، وروت كيف كان رسـول الله ﷺ يعدد مناقبها، ويكثر من ذكرها، وكيـف كان

يحتفي بكل ما ينتسب إليها ويتصل بها، وأنه ﷺ ما كان يقدم عليها واحدة من زوجاته، وكيف بشرها الله تعالى بالجنة.

وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها وهي المعلمة العادلة تحكي أنها أخذها ما يأخذ النساء من الغيرة من كثرة ما كان رسول الله ﷺ يذكرها، ويتعلق بها، فقالت: « قد أبدلك الله خيراً منها »، وروت كيف غضب رسول الله ﷺ من ذلك غضباً شديداً، أشفقت منه السيدة عائشة، فكانت حكايتها لذلك من باب البيان لعلو مقام السيدة خديجة، وهو دال أيضاً على صفاء نفس السيدة عائشة رضي الله عنها، وعلو همتها !

فمن هذه الأحاديث:

١- رواية السيدة عائشة رضي الله عنها بشارة جبريل عليه السلام للسيدة خديجة رضي الله عنها ببيت في الجنة: قالت: « **وقد أوحى إلى رسول الله ﷺ أن يبشرها ببيت لها في الجنة من قصب** [١] »[٢] .

٢- ومنها رواية السيدة عائشة إهداء النبي ﷺ لأصدقائها وفضائل أخرى ، قالت: « كان النبي ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة، ثم يقطعها

---

(١) قال الإمام النووي (١٥/ ١٩٦): (من قصب) قال جمهور العلماء: المراد به قصب اللؤلؤ المجوف كالقصر المنيف، وقيل: قصر من ذهب منظوم بالجوهر ... وقد جاء في الحديث مفسراً: ببيت من لؤلؤةٍ محياةٍ، وفسروه بمجوفة، قال الخطابي وغيره: المراد بالبيت هنا القصر .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب النكاح، باب في غيرة النساء ٥/ ٤٩٣٠ ، وأخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين (شرح مسلم للنووي ١٥/ ١٩٧) وهذا لفظ البخاري .

أعضـاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة . فيقول: **إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد** »[(١)].

وفي رواية للإمام أحمد: قال: « **ما أبدلني الله عَزَّ وجَلَّ خيراً منها، قد آمنت بي، إذ كفر بي الناس، وصدقتني، إذ كذبني الناس، وواستني بمالها، إذ حرمني الناس، ورزقني الله عَزَّ وجَلَّ ولدها، إذ حرمني أولاد النساء** »[(٢)] .

٣- ومنها روايتها أنه ﷺ قد رزق حبها، فتقول السيدة عائشة رضي الله عنها: فأغضبته يوماً، فقلت: خديجة، فقال رسول الله ﷺ: « **إني قد رزقت حبها** »[(٣)] . وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة .

فهكذا تروي أمنا عائشة فضائل ومناقب أختها أم المؤمنين خديجة رضوان الله عليها، وكفى بذلك دلالة على المحبة والتقدير !!

ج- ومن دلائل المودة: ثناء بعضهن على بعض ، فمنه:

١ - الثناء بين أمهات المؤمنين سودة وعائشة:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها ٣/ ١٣٨٩ .

(٢) المسند ٦/ ١١٨ . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٢٢٤: رواه أحمد، وإسناده حسن.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين (شرح مسلم للنووي ١٥/ ١٩٧) وقال النووي: (رزقت حبها) فيه إشارة إلى أن حبها فضيلة حصلت .

فمـن ذلك أن السـيدة عائشـة، وهـي الصديقـة ذات الخصـال الحميدة، تتمنَّى أن لو كانت على نفس طريقة السـيدة سـودة وداعة وحلماً وطيب قلب، إذ تقـول: « مـا رأيـت امـرأة أحـب إلي أن أكون في مسـلاخها من سـودة بنت زمعــة »[1].

والمسـلاخ هـو الجلـد: والمقصـود بـه الطريقـة والهـدي، أو كل شيء من صفاتهـا، يقول الإمام النووي: والمسـلاخ بكسر الميـم، وبالخاء المعجمة ، وهو الجلـد ، ومعناه: أن أكـون أنا هي. ويقول الحافظ ابن حجـر: والمراد أن تكون نظيرها في كل شيء [2]. اهـ

٢- ثنـاء كل مـن السـيدة عائشـة والسـيدة زينب بنـت جحش على الأخرى:

تصـف السـيدة عائشـة صلاحهـا، وكـمال أوصافهـا، وكثـرة أعمالها من الـبر، وأنها مـع حدة طبعهـا سريعة الرجـوع عنها، فتقـول: « فأرسـل أزواجُ رسول الله ﷺ زينبَ بنتَ جحش، زوجَ النبي ﷺ ، وهى التي كانت تُساميني منهـن في المنزلـة عنـد رسـول الله ﷺ ، **ولم أر امـرأة خيراً في الديـن من زينب رضي الله عنهـا، وأتقـى لله، وأصدق حديثاً، وأوصـل للرحم، وأعظم صدقة،** وأشـد ابتذالاً لنفسـها من العمل الذي تصدق به وتتقرب بـه إلى الله عَزَّ وجَلَّ ما عدا سَـوْرة من حِدَّةٍ كانت فيها توشـك منها الفيئة » [3]، وفي المسـتدرك عن

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب جواز هبتها نوبتها لضرتها (شرح مسلم للنووي ١٠/ ٢٨٩) .

(٢) شرح مسلم للنووي ١٠/ ٢٨٩-٢٩٠، ومقدمة فتح الباري، ص ١٤٠ .

(٣) أخرجه مسـلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشـة (شرح مسلم للنووي ١٥/ ٢٠١ - ٢٠٢) .

السيدة عائشة قالت: « كانت زينب امرأة صناعة اليد، فكانت تدبغ وتصدق في سبيل الله عَزَّ وجَلَّ »(١) .

ومن ثنائها عليها: ما رواه ابن سعد بإسناده عن عائشة رضي الله عنها قالت: « يرحم الله زينب بنت جحش، لقد نالت في هذه الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرف، إن الله زوجها نبيه ﷺ في الدنيا، ونطق به القرآن، وإن رسول الله قال لنا ونحن حوله: « **أسرعكن بي لحوقاً أطولكن باعاً** » ، فبشرها رسول الله بسرعة لحوقها به، وهي زوجته في الجنة »(٢) .

وتقول السيدة عائشة، وهي تذكر ورع السيدة زينب بنت جحش، وحفظها لحقها، وعدالتها في الشهادة - وهي ضرتها، والتي كانت تناظرها حسباً ونسباً وجمالاً - وذلك حين سألها النبي ﷺ قبل أن ينزل الله براءة السيدة عائشة في حادثة الإفك عما تقول في عائشة ورأيها فيها ؟ فلم يحملها ما يكون في العادة بين الضرائر من انتقاص بعضهن لبعض على أي لمز، بل وفت بما طبعت عليه من الورع، فقد أخرج الإمام مسلم وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت: « وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ عن أمري « **ما علمتِ أو ما رأيتِ ؟** ». فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي

---

(١) المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، ذكر زينب بنت جحش ٤/ ٢٥، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وقال الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم .

(٢) الطبقات الكبرى: ٨/ ٨٥، وأخرجه أبو منصور ابن عساكر في الأربعين: ٩٦، وقال: هذا حديث حسن عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

وبصري، والله ما علمت إلا خيراً. قالت عائشة: **وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ، فعصمها الله بالورع** »[1].

٣- ثناء السيدة أم سلمة على السيدة زينب بنت جحش:

وذلك فيما رواه ابن سعد عن الواقدي بسنده إلى زينب بنت أم سلمة، قالت: « سمعت أمي أم سلمة تقول، وذكرت زينب بنت جحش، فرحَّمَتْ عليها ... وكانت امرأة صالحة صوامة قوامة صَنَاعاً، تتصدق بذلك كله على المساكين »[2].

٤- ترحم السيدة أم سلمة على السيدة عائشة:

ومن الثناء ترحم إحداهن على الأخرى ،وما يذكر فيه أيضاً من بعض مناقبهن، فمن ذلك ترحم أم سلمة على عائشة رضي الله عنهما، فقد أخرج الطيالسي بسند صحيح، عن ابن أبي مليكة، قال: « سمعت أم سلمة الصرخة على عائشة، فأرسلت جاريتها: « انظري ما صنعت » فجاءت، فقالت: قد قضت، فقالت: « **يرحمها الله، والذي نفسي بيده لقد كانت أحب الناس كلهم إلى رسول الله ﷺ إلا أباها** »[3].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك (شرح النووي ١٧/ ١١١- ١١٢)

(٢)الطبقات الكبرى ٨/ ٨١ - ٨٢ . وقال الحافظ في الإصابة بسند موصول فيه الواقدي.

(٣) مسند الطيالسي ص ٢٢٤، وصحح إسناده البوصيري في إتحاف الخيرة ٧/ ٢٤٨ .

وعند ابن سعد في الطبقات: عن عمرة، قالت: سمعت أم سلمة، وهي في بيت عائشة، وعائشة تموت، تقول: « رحمك الله، وغفر لك كل ذنب، وعرفنيك في الجنة »[1] .

٥- ثناء السيدة عائشة على السيدة ميمونة وترحمها عليها:

فقد أخرج الحاكم عن يزيد بن الأصم - ابن أخت السيدة ميمونة، زوج النبي ﷺ - قال: « تلقيت عائشة وهي مقبلة من مكة أنا وابن لطلحة بن عبيد الله، وهو ابن أختها... فأقبلت على ابن أختها تلومه وتعذله، وأقبلت علي فوعظتني موعظة بليغة، ثم قالت ... **ذهبت والله ميمونة ... أما إنها كانت من أتقانا لله عَزَّ وجَلَّ، وأوصلنا للرحم** »[2] .

٦- ذكر السيدة عائشة لبركة السيدة جويرية بنت الحارث:

وذلك عند حكايتها لبركتها على قومها عندما تزوجها رسول الله ﷺ، فأعتق المسلمون أهلها الذين أسروهم في غزوة بني المصطلق .

فعن عروة بن الزبير ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن السيدة عائشة،

---

(١) الطبقات الكبرى ٨/ ١٣٧ .

(٢) المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، ذكر أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث ٤/ ٣٢، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وقال الذهبي على شرط مسلم .اهـ . وصحح الحافظ ابن حجر إسناده في الإصابة ٨/ ٣٢٤ .

قالـت: « فتسـامع تعني الناس أن رسـول الله ﷺ قد تزوج جويرية، فأرسـلوا ما في أيديهم من السـبي فأعتقوهم، وقالوا: أصهار رسـول الله ﷺ ، **فما رأينا امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها، أُعتق في سـببها مائة أهل بيت من بني المصطلق** »[1] .

ثالثاً: بعض أعمالهن الأخرى:

ومن أعمالهن الأخرى التي يظهر فيها هذا التواد:

أ – الإيثار والتزكية بينهن:

ومن مواقف إيثارهن ما أخرجه ابن سـعد في الطبقات عن السـيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها أنها استكثرت عطاء عمر بن الخطاب ، وأن بعض أخواتها أقدر أن يوزعنه وينفقنه منها، فلو أرسل به إليهن لكان أولى.

فعـن برزة بنـت رافع، قالت: « لمّـا خرج العطاء، أرسـل عمر إلى زينب بنـت جحش بالذي لهـا، فلمّا أُدْخِـلَ عليها، قالت: **غفـر الله لعمر، غيري من أخواتي كان أقوى على قسم هذا مني** . قالوا: هذا كله لك. قالت: سبحان الله!

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب العتق، باب في بيع المكاتب إذا نسخت الكتابة ٤/ ٣٥٢، وابن حبان في صحيحه ٩/ ٣٦٢، ٣٦٣، وفيه ابن إسـحاق وقد صرح عند ابن حبان بالتحديـث، ورواه الحاكم في المسـتدرك، كتـاب معرفة الصحابة، ذكـر جويرية بنت الحـارث أم المؤمنين ٤/ ٢٧، وسـكت عنه الذهبي، وهذا لفـظ أبي داود، وباختلاف يسير بين الباقين .

واسترت منه بثوب، وقالت: صبوه، واطرحوا عليه ثوباً. ثم قالت لي: أدخلي يـدك فاقبـضي منه قبضـة، فاذهبي بها إلى بني فلان وبني فـلان، من أهل رحمها وأيتامها، حتى بقيت بقية تحت الثوب، فقالت لها برزة بنت رافع: غفر الله لك يـا أم المؤمنـين! والله، لقـد كان لنا في هذا حقٌّ. فقالت: فلكـم ما تحت الثوب. فوجدنـا تحته خمسـة وثمانين درهمـاً. ثم رفعت يدها إلى السـماء فقالـت: اللهم لا يدركنـي عطـاء لعمر بعد عامي هـذا. فماتت. قال عبد الوهـاب في حديثه: فكانت أول أزواج النبي ﷺ، لحـوقاً بـه »[1].

فهذا نموذج من زهدهن وإيثارهن وتزكية بعضهن لبعض بعد وفاته ﷺ، وهكذا كن كلهن.

ب- ومن أعمالهن: ذكرهن شدة محبة النبي لبعضهن:

وليـس يخفى على العارف أن ذكر المرأة لشـدة تعلق وحب زوجها لبعض زوجاته ليس أمراً سهلاً عليها، ولكن هذا الأمر الصعب حاصل من زوجات النبـي ﷺ؛ لأنهـن الكاملات المعلمات اللاتي تربين على يدي رسـول الله ﷺ، يعلمن أن لكل منهن نصيباً من المحبة عنده، وأن زيادة التعلق ليست بيده ﷺ، وإنـما هو فعـل الله عَزَّ وجَلَّ وفضله يؤتيه من يشـاء، وأنه ﷺ كان يعدل بينهن فلم يميز إحداهن على الأخرى في قسمة المبيت أو المهر أو النفقات، وقد سبق بعض شواهد ذلك.

---

(١) الطبقـات الكـبرى ٨/ ٨٦ - ٨٧، ترجمـة السـيدة زينـب بنـت جحـش، والخـراج لأبي يوسـف ٤٥ - ٤٦، ولكن رواه أبو يوسـف عن محمد بـن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ج – ومنها: تحلل إحداهن من أختها:

وقد روي تحلل إحداهن من الأخرى حتى تخرج من الدنيا ليس عليها من حق أختها شيء، وذلك فيما رواه ابن سعد والحاكم عن الواقدي [1] بسنده عن عوف بن الحارث قال: سمعت عائشة رضي الله عنها، تقول: « دعتني أم حبيبة زوج النبي ﷺ عند موتها فقالت: قد كان بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله ذلك كله، وتجاوز، وحللتك من ذلك كله، فقالت عائشة: سررتني، سرك الله، وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك » [2].

---

(١) أكثر ما أذكره من روايات إمام المغازي والسير محمد بن عمر الواقدي رحمه الله – وهو قليل – لا أثبت به أصلاً؛ لأن أصل الثناء والمودة معلوم، وإنما جئت به شاهداً على ذلك، وكل ذلك ليس من باب الحلال والحرام فيتشدد فيه، وربما اخترت بعض ألفاظ رواياته لتمامها، أو لعدم وجود شاهدي أو تمام الشاهد – وهو في الفضائل والسير مع عدم الغرابة فيه – إلا عنده، وعموماً فالأئمة وإن كان جلهم على تضعيفه في الحديث فلم يستغنوا عنه في التواريخ، ولذلك نجد أكثر من ألف في تراجم الصحابة والسير لا يستغنون عن رواياته، يقول الإمام الذهبي عنه في السير (٩/ ٤٥٤ – ٤٥٥): « العلامة الإمام أبو عبد الله أحد أوعية العلم، على ضعفه المجمع عليه » . اهـ، ثم قال: « ومع هذا فلا يستغنى عنه في المغازي وأيام الصحابة وأخبارهم ». ويقول في (٩/ ٤٦٩): « يحتاج إليه في الغزوات والتاريخ، ونورد آثاره من غير احتجاج ... – وأما في الأحكام – فيقول: مع أن وزنه عندي مع ضعفه يكتب حديثه ».

(٢) الطبقات الكبرى ٨/ ٧٩ – ٨٠ ، والمستدرك، كتاب معرفة الصحابة، ذكر أم حبيبة بنت أبي سفيان ٤/ ٢٢ – ٢٣ . وسكت عنه الذهبي في التلخيص، وذكره في السير ٢/ ٢٢٣، وابن حجر في الإصابة ٨/ ١٤٢ كلاهما بإسناد الواقدي .

د – ومنها: تمريض بعضهن لبعض، وتغسيل بعضهن لبعض:

ومما روي من تمريض بعضهن لبعض، وتغسيل بعضهن لبعض، ما رواه ابن سعد عن القاسم بن عبد الرحمن مرسلاً، قال: « لما توفيت زينب بنت جحش وكانت أول نساء النبي ﷺ لحوقاً به، فلما حملت إلى قبرها قام عمر إلى قبرها، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إني أرسلت إلى النسوة – يعني أزواج النبي ﷺ– حين مرضت هذه المرأة: أنْ مَنْ يمرضها ويقوم عليها ؟ فأرسلن: نحن، فرأيت أن قد صدقن، ثم أرسلتُ إليهن حين قبضت: مَنْ يغَسِّلها ويحنطها ويكفنها ؟ فأرسلنَ: نحنُ، فرأيت أن قد صَدَقْنَ، ثم أرسلتُ إليهن من يدخلها قبرها ؟ فأرسلن: من كان يحل له الولوج عليها في حياتها، فرأيت أن قد صدقنَ، فاعتزِلوا أيها الناس، فنحاهم عن قبرها ثم أدخلها رجلان من أهل بيتها » (١).

هـ – ومن أعمالهن: وصية بعضهن لبعض:

وذلك فيما رواه البيهقي عن بكير بن عبد الله أن أم علقمة مولاة عائشة زوج النبي ﷺ حدثته: « أن صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها أوصت لابن أخ لها يهودي، **وأوصت لعائشة رضي الله عنها بألف دينار،**

(١) الطبقات الكبرى ٨/ ٨٨، وصلاة عمر على زينب، وإرسال عمر لأزواج النبي ﷺ يسألهم عمن يدخلها قبرها ، هذا القدر قد روي بسند متصل صحيح عن عبد الرحمن ابن أبزى، قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٤٨) عن رواية ابن أبزى رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح .

وجعلت وصيتها إلى ابن لعبد الله بن جعفر، فلما سمع ابن أخيها أسلم لكي يرثها، فلم يرثها والتمس ما أوصت له، فوجد ابن عبد الله قد أفسده، فقالت عائشة رضي الله عنها: بؤساً له، **أعطوه الألف الدينار التي أوصت لي بها عمته** »[1].

ففي هذا الحديث وصية السيدة صفية للسيدة عائشة ببعض مالها، وهو دال على ما بينهما من المودة، وفيه أيضاً حث السيدة عائشة رضي الله عنها على تنفيذ وصية أختها السيدة صفية رضي الله عنها، فهذا نموذج من رقي الزوجات رضي الله عنهن .

رابعاً: غيرتهن رضوان الله عليهن والمنهج التربوي الفريد

أ- الغيرة أمر طبيعي:

وأما ما ورد من غيرة إحداهن من الأخرى، فهي أمور تمر وتنتهي، وذاك أمر طبعي لا يذم إلا إذا أدى إلى التعدي، ولذلك لم يذمه رسول الله فيهن، بل هذبه ووجهه، ولم يرد أن ينزعه منهن؛ إذ هو من طبيعة المرأة، بل هو في كثير من أحيانه مما تحمد به المرأة، ويدل على عافية مشاعرها وعدم بلادتها.

وقد كان ﷺ لو أراد لدعا الله فأذهبه عنهن، كما دعا للسيدة أم سلمة رضي الله عنها فذهبت عنها سورة الغيرة، وذلك عندما أراد أن يتزوجها،

(١) السنن الكبرى، كتاب الوصايا، باب الوصية للكفار ٦/ ٢٨١، ووصية السيدة صفية لقريبها اليهودي رويت على أوجه عدة، واستدل بذلك الفقهاء على جواز الوصية لأهل الذمة، ينظر المغني لابن قدامة ٨/ ٢٣٦، ٥١٢ .

فأخبرت الواسطة بينهما أن يخبر الرسول ﷺ بذلك، فقالت كما في المستدرك: « أقرئ رسول الله ﷺ السلام، وأخبره أني امرأة مُصْبِيَة غَيْرَى » - ومصبية: أي ذات أبناء أرعاهم، وغيرى: أي شديدة الغيرة، فكان جواب رسول الله ﷺ هو قوله -: « **وأما قولك: إني غيرى، فسأدعو الله أن يذهب غيرتك** » [1]، فاعتدلت هذه الخصلة عندها، وهي على حد وصف الراوي فيما أخرج النسائي وغيره: « فكانت في النساء كأنها ليست منهن، لا تجد ما يجدن من الغيرة » [2]. ولذلك ولما لها من كبر السن وحصافة الرأي كان أزواج النبي ﷺ يقدمنها تكلم رسول الله ﷺ في بعض الأمور التي ربما يتحرجن أن يكلمن رسول الله ﷺ فيها.

من مواقف الغيرة:

وقد جاء في الصحيح بعضُ مواقف غيرتهن، ومن ذلك دخول السيدة زينب بنت جحش - وهي الشريفة التي أنزل الله تزويجها لرسوله ﷺ من السماء، بواسطة جبريل عليه السلام، وصاحبة المكانة من رسول الله ﷺ؛ إذ كانت ابنة عمته - دخلت وهي غاضبة على السيدة عائشة، حتى نالت منها وارتفع صوتها في حضرة رسول الله ﷺ، فلم يزد رسول الله ﷺ على التبسم، ولم يظهر الميل إلى إحداهما، واستنبطت عائشة رضي الله عنها من سكوت رسول الله عدم كراهته أن ترد عليها، وانتهى الموقف بتبسم النبي ﷺ، وقوله

---

(١) المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، ذكر أم المؤمنين أم سلمة ٤/ ١٧. وقال الذهبي في التلخيص: صحيح.

(٢) وأخرجه أبو يعلى في مسنده ١٢/ ٣٣٨، وقال البوصيري في مختصر إتحاف الخيرة ٥/ ١٤٥: رواه أحمد بن منيع، ورواة الإسناد ثقات، وأبو يعلى بتمامه.

في حق السيدة عائشة لما سكتت فلم ترد حتى علمت عدم كراهة النبي ﷺ ذلك، قال: « **إنها ابنة أبيها** » .

فقد جاء في صحيح مسلم عن السيدة عائشة: قالت: « فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش، زوج النبي ﷺ- وهى التي كانت تساميني منهن فى المنزلة عند رسول الله -ﷺ ... فاستأذنت على رسول الله ﷺ ... فأذن لها رسول الله ﷺ ، فقالت: يا رسول الله، إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل [1] في ابنة أبي قحافة. قالت: ثم وقعت بي فاستطالت عليَّ [2] وأنا أرقُبُ رسول الله ﷺ ، وأرقُبُ طَرْفه هل يأذن لي فيها ؟ قالت: فلم تبرح زينب حتى عرفتُ أن رسول الله ﷺ لا يكره أن أنتصر، قالت: فلما وقعت بها لم أنشبها حين أنحَيْتُ عليها، قالت: فقال رسول الله ﷺ وتبسم: « **إنها ابنة أبي بكر** » [3].

---

(١) أي التسوية في محبة القلب كما قال الإمام النووي، وكان سبب الحديث أن الأنصار كانوا يتحرون بهداياهم لرسول الله ﷺ يوم السيدة عائشة، فأثار ذلك عند بعض الزوجات شيئاً، ويوضحه ما جاء في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، ذكر الصحابيات من أزواج رسول الله ﷺ ٤/ ٩ بسند صححه الذهبي، عن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: « كلمنني صواحبي أن أكلم رسول الله ﷺ أن يأمر الناس فيهدون له حيث كان، فإن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة رضي الله عنها، وإنا نحب الخير كما تحبه عائشة، فسكت رسول الله ﷺ » .

(٢) ومعنى (وقعت بي، فاستطالت علي) أي توجهت إلي بالكلام وارتفع صوتها تنال مني.

(٣) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة (شرح النووي ١٥/ ٢٠٢-٢٠٣) ، وقال النووي: لم أنشبها: لم أُمْهلها. وأنحَيْتُ عليها أي: قصدتها . اهـ، والمعنى: لم أمهلها حتى قصدتها بالرد فغلبتها بردي .

فهـذه المواقـف لم تكن هـي العـادة بينهن، ولم يكـن الموقف منهـا إلا بما وقف رسـول الله ﷺ، وهو التبسـم وعـذر الجميع ؛ لأنهن جميعـاً يطلبن محبته وجـواره ﷺ .

وهـــذا الموقف أيضاً وأمثاله يدل عـلى مدى ما كان يتمتع به بيت النبوة من التوسـط والاعتدال، فلا قهر فيه ولا إرهاب، ولكن تسـير المشـاعر فيه سـيرها الطبيعـي دونما كبـت لها، وهـي في طريـق التخليص من الشـوائب والترقي شـيئاً فشـيئاً بما يتلى في بيوتهن من الآيات والحكمة، وبما يشـاهدن من رسـول الله ﷺ، وبما يُسـارعن فيه من العبادات والتقرب إلى الله تعالى، **وهـذا منهج تربـوي فريـد .**

ب- التشديد عليهن:

وأما إن كان الأمر كبيراً لا يليق بمثلهن، فإنه يحتاج إلى التنبيه الشـديد، كـما جاء في الصحيح من تواصي السـيدة حفصة والسـيدة عائشـة على تنفير النبي ﷺ من العسـل الذي كان يسـتطيبه عند السـيدة زينب، ونزول القرآن بعتابهـما عتاباً شـديداً، فذاك أمر عـارض، وما ظنتا أنهما تفعـلان أمراً كبيراً، ثـم علمتا بعـد ذلك أنه كبير، فتابتا إلى الله منه، وكل هـذا إنما في إطار التربية والتعليم لهما رضي الله عنهما .

وكذلـك جاء في السـنة أيضاً من بـاب التأديب والتعليـم هجر النبي ﷺ

للسـيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها – وكانت من أكرم النساء وأكثرهن صدقة كما مر، ومن أكرمهن عليه ﷺ – لما امتنعت عن أن تحمل السـيدة صفية بنـت حيـي زوجة النبي على بعـير لها وهم في طريقهم إلى الحـج، وذلك عندما انكـسر ظهـر بعير صفيـة، وغلبت عليها حـدة وغضب، فأسرعـت بكلمة في حقها فقالت: « أنا أُفْقِرُ يهوديتك » [(١)] أي: أعطيها بعيراً تركبه، فكَبُرَ ذلك على النبي ﷺ ، وأنه مما لا يقبل في مثل هذا الموقف وخاصة من زوجة من زوجاته، فهجرها النبي ﷺ ثلاثة أشهر حتى يئست أن يعود إليها رسول الله ﷺ، وذلك مبالغة في التأديب والتعليم، وحفظاً لحق أختها صفية !!

ومن مواقف التشـديد أيضاً ما ذكرته السـيدة عائشـة، وهي تذكر مناقب وفضائل السـيدة خديجة، وكثرة ذكر رسـول الله لها، فتذكـر بعض ما كان وقع لها مما يأخذ النساء من الغيرة، وتذكر غضب رسول الله ﷺ، وما قاله في ذلك، ففـي رواية البخـاري: « ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، من كثرة ذكر رسـول الله ﷺ إياهـا . قالـت: وتزوجني بعدها بثلاث سـنين، وأمـره ربه عَزَّ وجَلَّ أو جبريل عليه السلام أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب » [(٢)] .

وفي الصحيحـين أيضاً: « فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز، قريش

---

(١) مسـند الإمام أحمد ٦/ ٣٣٨ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٣٢١: رواه أحمد وفيه سمية روى لها أبو داود وغيره ولم يضعفها أحد،وبقية رجاله ثقات.

(٢) صحيـح البخـاري ، كتاب فضائـل الصحابة، باب تزويج النبـي ﷺ خديجة وفضلها ٣/ ١٣٨٩ .

حمراء الشـدقين، هلكت في الدهر، قد أبدلك الله خيراً منها »[1] زاد أحمد في روايتـه: « قالـت: فتغير وجه رسـول الله ﷺ تغيرا لم أره تغـير عند شيء قط إلا عنـد نـزول الوحـي أو عند المخيلـة[2] حتى يعلم رحمة أو عـذاب »[3]، فخافت، وكان موقفها هو ما جاء في رواية الطبراني: « فقلت: والذي بعثك بالحـق لا أذكرهـا بعد هذا إلا بخير »[4]، وينتهي الموقف الشـديد – والذي يعـتري الكثـير من النسـاء – ببيان النبي ﷺ لمنزلة السـيدة خديجـة، ولم تعد السيدة عائشة إلى مثله.

هكذا كان ﷺ معهن، وبهذه القواعد والآداب الربانية تتخلص شـوائب الغيرة بينهن، وتترقى الزوجات رضي الله عنهن، وتستمر الأخوة والمودة، فلا فضـل لإحداهن على الأخـرى إلا بتقوى الله عَزَّ وجَلَّ، وما علم منهن إلا ثناء بعضهن على بعض .

---

(١) السـابق ٣/ ١٣٩٠ ، وصحيح مسـلم ، فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة (شرح النووي ١٥/ ١٩٨) .

(٢) المخيلة : هي السـحابة التي يتوقع منها المَطَر. (ينظر النهاية مادة : خيل) . والمراد تغير لون السماء بسبب الغمام الشديد، مخافة نزول العذاب .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ ...إذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخـل وأقبـل وأدبر، فإذا مطرت سري عنه، فعرفت ذلك في وجهه، قالت: فسـألته فقال: لعله يا عائشة كما قال قوم عاد: ﴿ فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ ﴾. (أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح، رقم ٨٩٩).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٦/ ١٥٠ .

(٤) المعجم الكبير ٢٣/ ١٤ .

ج- الغيرة عليه ﷺ مما يعد من مناقبهن:

إذا نظرنا إلى الغيرة منهن على رسول الله ﷺ وجدناها من جهة مما يحسب من مناقبهن، وذلك لدلالته على شدة محبتهن وتعلقهن به ﷺ، وكذلك مما يعد من مناقب مَنْ وقعت منها الغيرة: من ناحية أنها قريبة منه ﷺ بحيث يكون لها من الحظوة والمكانة ما تُظْهِرُ به بعض الغيرة عليه ﷺ، وكذا منقبة لمن يُغارُ منها من حيث كانت في مقام يجعلها أهلاً أن يُغارَ منها، أضف إلى ذلك ما اشتركن فيه جميعاً من علو الأصل، وعزة النشأة، مما لهما أثر بالغ في عزة النفس والتي تتفرع عنها بعض ألوان الغيرة .

د- استغراب مواقف الغيرة قصور في النظر:

إذا قلنا: إن مواقف الغيرة المؤدية إلى الغضب لم تكن هي الأمر العادي المتكرر بينهن لما كن ينعمن به من عدل رسول الله ﷺ [1]، وبما كن عليه من سمو الأخلاق والاعتدال في الطباع، وعليه فإن الواقف عند هذه الأحاديث يستغربها قاصر في نظره.

---

(١) كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها لعروة بن الزبير: « يا ابن أختي، كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا ». أخرجه أبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب في القسم بين النساء ٣/ ٤٣، والحاكم في المستدرك، كتاب النكاح ٢/ ١٨٦، وقال الذهبي في التلخيص: صحيح . وعنها أيضاً قالت: « كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه » أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات ٢/ ٩٥٥، وغيره .

وأمـا من يطعن بهذه الغيرة في مقام الزوجات، فذاك من فسـدت فطرته، وفسـد عليـه عقلـه ودينه، فأما فسـاد عقلـه، ففي قصـور نظره، وعـدم علمه وملاحظتـه لمـا عليه طبائع النسـاء حتى ولـو كُنَّ في القمة، ومـن ناحية أخرى أنـه لابـد لهن من نصيب من الغيرة المعتدلة وهي مما يحمدن عليه، كما يحمد على مثلها الرجال.

وقصـور نظـره أيضاً في عـدم ملاحظتـه ما تجـري عليه قوانـين المخالطة والاجتـماع، فكيف تمر الحياة دون مثل هـذا، والملاحظ يجد أنهن كن مثلاً راقياً للاجتماع والمخالطة؛ إذ كن تسـع نسـوة في حجرات متجاورات، ومن قصور نظـره أيضاً تصوره الأمر عـلى غير صورته الكاملـة؛ إذ لم يلاحظ ما بينهن من الثناء والتواد والمؤانسة والمرحمة والإيثار .

وأما فسـاد دينه، فهو إذ لم ينزل الزوجات - اللاتي قال الله تعالى فيهن: ﴿ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾، والـلاتي هن أمهات لنا نحن معشر المؤمنين، وهـن المختـارات الطيبـات للطيـب ﷺ بنص القـرآن - لم ينزلهـن منازلهن اللائقة بهن.

هـ - مَيْلُ بعضهن لبعض:

إن الله عَزَّ وجَلَّ قد ألف بين قلوب أمهات المؤمنين ، ولكن جاء في حديث السـيدة عائشـة السـابق في تحـري الصحابة الإهـداء لرسـول الله ﷺ في بيتها، وطلب نسـائه ﷺ أن يأمر من يهدي إليه أن يهدي إليه في أي بيت كان، جاء في هذا الحديث: « إن نساء رسول الله ﷺ كن حزبين، فحزب فيه عائشة وحفصة

وصفية وسـودة، والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ...» [1]، فكيف نفهم ذلك ؟

ليس ذلك كما يُفْهم عندنا الآن من التعادي أبداً، حاشـاهم ، وإنما هو من باب الاتفاق في الطباع، وشـدة ميل وارتباط مـن اتفقت طباعها مع الأخرى، وذاك أمر طبعي يشـترك فيه النـاس جميعاً، وإلا فاختلاطهـن ومحبتهن وتقدير بعضهـن لبعـض أمر ثابـت، يقول المـلا على القـاري رحمـه الله: « حزبين: أي طائفتين، اتفقت مِزَاجُ كل طائفة ورأيُها في عشرتها وصحبتها » [2] .

وهكـذا كانت علاقة نسـاء رسـول الله ﷺ فيـما بينهن، هـي أرقى صورة لعلاقات الزوجات، امتلأت أخوة في الله وحباً وتراحماً، وإيثاراً، فما كن كأحد من النسـاء، فكن المعلمات المؤمنات القانتات، اللاتي اختارهن الله لرسوله ﷺ فمـا ارتضى له غيرهن، ولا أبدلـه الله خيراً منهن، رضي الله تعالى عنهن، ورفع درجتهن، وألحقنا بهنَّ على الإيمان .

***

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها، باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض ٢/ ٩١١ .

(٢) مرقاة المفاتيح، باب مناقب أزواج النبي ﷺ ٥/ ٦١٣ .

المبحث الثاني

المودة والثناء بين آل بيت رسول الله ﷺ وزوجاته

(السيدة عائشة نموذجاً)

وبعد أن وقفنا على شيء من سير أمهات المؤمنين وبعض شواهد المحبة والتقدير بينهن، فلننتقل إلى حجرة أخرى من حجرات بيت النبوة، وإلى ناحية أخرى تتصل بعلاقة أمهات المؤمنين بالعترة الشريفة، وبقية آل البيت رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، وسوف نطلع إن شاء الله تعالى على بعض تلك الصور لهذه المودة ، خاصة مع السيدة عائشة رضي الله عنها .

وسوف نتناول هذا المبحث إن شاء الله تعالى من خلال النقاط التالية:

أولاً: الصورة العامة للعلاقة بين آل البيت وأمهات المؤمنين .

ثانياً: المودة بين السيدة فاطمة والسيدة عائشة رضي الله عنهما .

ثالثاً: المودة والتقدير بين السيدة عائشة وسيدنا علي رضي الله عنهما .

رابعاً: المودة بين السيدة عائشة وبقية القرابة .

أولاً: الصورة العامة للعلاقة بين آل البيت وأمهات المؤمنين:

إن الناظر في علاقة زوجات المصطفى أمهات المؤمنين بسيدة نساء المسلمين السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ وابنيها سيدي شباب أهل الجنة، وزوجها سيدنا علي، وبقية أقارب المصطفى رضوان الله عليهم جميعاً، ليجد مثلاً أعلى من صور التواد والتقدير، والمحبة والإكرام، والشهادات الحسنى التي تقطع بذلك .

فالعترة والزوجات - وهم آل بيته ﷺ - هم القرابة القربى من رسول الله، وكلهم محل المحبة والثناء منه ﷺ، وكلهم محل وصية رسول الله ﷺ ، ولا يشك مسلم أنار الله قلبه أنهم جميعاً أولى الناس بحفظ حقوق بعضهم بعضاً، وأولى الناس بحفظ وصية رسول الله ﷺ.

وإن المتتبع الفاهم لسيرة هؤلاء العظام الثابتة لهم، ليجد أنهم كانوا يعيشون معيشة الأقارب المتجاورين في أعلى صورها، والعجب كل العجب ممن يقف على بعض ما يحصل بين هؤلاء الكبار من العوارض، فيقلب القاعدة، ويجعل ذلك العارض أصلاً يأتي به على ما أثبت الله لهم من التراحم بينهم، وما عرف من شواهد التعظيم والمودة بينهم ، فإن نقلت جفوة من أحدهم لآخر، فليس ذلك من باب الكره أو الطعن فيه، وإنما يعرض ذلك عروضاً عادياً للنفس البشرية بسبب عند صاحبه، وذاك أمر يحصل مثله بين الأهل والأقارب وبين بعض الكبار من الصحابة، ثم يمر وينتهي [1] .

(١) ولا يختلف في ذلك إلا من لم تتضح له الصورة، أو كان من صغار العقول، أو مرضى القلوب، أو ممن يتاجرون - والعياذ بالله - بدين الله عَزَّ وجَلَّ ، أو وقف على روايات واهية أو موضوعة أو مؤولة وليس هو من أهل العلم فيعرف تأويلها أو كونها ضعيفة أو موضوعة، وتلك آفة الكثير من كتب التواريخ !!

وما كان هؤلاء الكبار إلا على المودة والتقدير وحفظ الحق للآخر، وذاك ثابت لا شك فيه، ويكفي المؤمن معرفة مقامهم العالي من رسول الله ﷺ، وأنه ما كان ليقرب أو يعلن بمحبته إلا للعدول الأطهار أصحاب الديانة والصيانة، والنفوس الزاكية .

فنجد من صور رقي العلاقة بينهم رواية زوجات النبي ﷺ لفضل أهل بيته ﷺ، والثناء عليهم بمحاسن الصفات، خاصة مع السيدة فاطمة رضي الله عنها ، وحسن العشرة معها والإهداء لها كما روى ابن سعد عن سعيد بن المسيب قال: « قدمت صفية بنت حيي في أذنيها خُرصة من ذهب فوهبت منه لفاطمة ولنساء معها » [1] ، ونجد محبتهن ورقتهن لقرابته ﷺ، وقبولهن الاستشفاع بهم، وثناء القرابة عليهن، وشهادتهم لهن بالخير، والإشارة إلى علمهن وبركتهن، والقيام بحق أمومتهن لهم .

من روايات الزوجات لفضائل آل البيت:

ومما روته الزوجات في فضائل آل البيت حديث أهل العباءة ، وهو من أعظم الأحاديث الواردة في فضائل آل بيته ﷺ، السيدة فاطمة وزوجها وابنيها فقد روي عن كل من أم المؤمنين السيدة أم سلمة – وقد نزلت الآية في بيتها–

---

(١) الطبقات الكبرى ٨/ ١٠٠ ، وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة ٨/ ٢١١: سند صحيح من مرسل سعيد بن المسيب . والخرص كما في القاموس المحيط (مادة خرص): حلقة الذهب والفضة أو حلقة القرط أو الحلقة الصغيرة من الحلي .

وأم المؤمنين السيدة عائشة ، نشراً لفضائل آل بيته ﷺ وتعريفاً بقدر ذريته ﷺ، وببعض ما لهم من فضل، ومِنْ أصح ما رُوي في ذلك ما روي عنهن .

فعن شهر بن حوشب عن السيدة أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء، ثم قال: « **اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، أذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً** » . فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله، قال: « **إنك على خير** » (١). قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وهو أحسن شيء روي في هذا الباب .

وعن عطاء بن يسار عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: في بيتي نزلت هذه الآية: ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ﴾، قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى علي وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم أجمعين فقال: « **اللهم هؤلاء أهل بيتي** » قالت أم سلمة: يا رسول الله، ما أنا من أهل البيت ؟ قال: « **إنك أهلي خيرٌ، وهؤلاء أهل بيتي، اللهم أهلي أحق** » (٢) .

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٦/ ١٧٥، أبواب المناقب، باب ما جاء في فضل فاطمة رضي الله عنها .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، تفسير سورة السجدة ٢/ ٤١٦، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه . وقال الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم، وأخرجه عنها أيضاً، كتاب معرفة الصحابة، ومن مناقب أهل بيت رسول الله ﷺ ٣/ ١٤٦ دون سؤال أم سلمة بسند قال عنه الذهبي: على شرط البخاري .

وعن صفية بنت شيبة عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: « خرج النبي ﷺ غداة وعليه مِرط مُرَحَّلٌ من شعر أسودَ، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ »[(١)].

ومن أهمية هذا الحديث أيضا أنه دليل من أدلة دخولهم في آية التطهير السابقة، فإن كان دخول الزوجات ظاهراً في الخطاب بسياق الآيات، فقرابته ﷺ أحق بهذه التسمية، وقد أبان رسول الله ﷺ بفعله دخولهم في الخطاب[(٢)]، وخصهم بهذا البيان وهذا الدعاء.

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: « إذا كان أزواجه من أهل بيته، فقرابته أحق بهذه التسمية كما تقدم في الحديث: وأهل بيتي أحق »[(٣)].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ (شرح النووي ١٥/ ١٩٠) . وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ١٤٧، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم . وأخرجه الحاكم أيضا ٣/ ١٤٧ أيضاً عن واثلة بن الأسقع بلفظ قريب، هو حاضر في بيت علي وفاطمة، وقال الذهبي: على شرط مسلم .

(٢) ينظر تفسير القرآن العظيم لهذه الآية، سورة الأحزاب آية ٣٣ (٦/ ٤٠٧ - ٤١٢)، وينظر التحرير والتنوير عند هذه الآية ٢٢/ ١٤ - ١٧، وغيرهما من كتب التفاسير، وشعب الإيمان للبيهقي ٢/ ١٨٨ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٦/ ٤١٢ .

ثانياً: المودة بين السيدة فاطمة والسيدة عائشة رضي الله عنهما:

نقف هنا إن شاء الله تعالى على بعض الصور والشواهد الكريمة التي تعبر عن هذه المودة، وهذا الرقي في العلاقة بينهما، ومدى مكانة كل منهما عند الأخرى، فمن هذه الصور:

أ- رواية السيدة عائشة مناقب السيدة فاطمة رضي الله عنهما:

إن السيدة فاطمة رضي الله عنها نموذج فريد من النساء، وإن المرء لتأخذه هيبة عند ملاحظته لما أنعم الله به عليها من كمال ووقار، فهي إحدى أربع نسوة لم يكمل من النساء غيرهن؛ وهي أم أبيها [1] ﷺ؛ وابنته؛ الكاملة أدباً ونفساً وديناً؛ المقبلة على شأنها مع ربها؛ لم تنافس أحداً، وأنى لأحد أن ينافسها، فلم يكن ذلك؛ أرضاهن عيشاً؛ لم تتنزل إلى منازعات النساء، أو صغائر الأمور؛ وقافة عند حدود الله عَزَّ وجَلَّ، فلم تعادِ في أمر الدنيا أحداً؛ تحب من يحبه رسول الله ﷺ؛ وتنزله منزلته التي كان رسول الله ينزله إياها؛ ولما كانت قرة عين أبيها ﷺ أسرع الله لها اللحاق به ﷺ.

وإن الواقف على روايات السيدة عائشة لفضائل السيدة فاطمة رضي الله عنهما ليعلم أموراً عدة، منها: محبة السيدة عائشة لها، وتقديرها إياها، ووالله

---

(١) هذه كنية للسيدة فاطمة رضي الله عنها، وإحدى مناقبها، ومن معناها: أنها القائمة على شؤون أبيها، وأنها في قربها وحنوها كالأم، وقد كانت رضي الله عنها كذلك، خاصة بعد وفاة أمها السيدة خديجة رضي الله عنها، والله أعلم.

إني لأعجب من أدب السيدة عائشة معها، وكيف كانت تذكرها بكل إجلال، والأصل عدم العجب من فعل هؤلاء الأكابر، ولكن عبرت عما امتلأت به نفسي من هذا الإجلال، ونبهت والأصل أن هذا شيء لا يحتاج إلى التنبيه إليه، ولكن ربما احتاج البعض إلى تنبيهه إلى ذلك؛ ليعلم أدب هؤلاء، فقد عَبَّرَت السيدة عائشة بعبارة جامعة عن ذلك بأنها: « **لم تر أفضل منها إلا أباها** ﷺ »، ووصفت هديها – أي دينها– وحسن هيئتها وسمتها، وصدقها، وأنها أشبه الناس برسول الله ﷺ في كل ذلك، وكيف كان تقدير رسول الله ﷺ وتوقيره لها وحنوه عليها، وأنها ليست كسائر النساء، فهي أوفر عقلاً ووقاراً، والواقف على الروايات الصحيحة أو المقبولة من السنة يعرف ذلك، ويعرف أن الصلة بينهما كانت مستمرة ، وكذا بينها وبين سائر الزوجات، شأنها شأن العائلة الواحدة المتجاورة، وأنها دائمة في حياته ﷺ ، وبعد وفاته، فكانت السيدة فاطمة تزور رسول الله ﷺ في بيتهن، وكانت تأتي بيت السيدة عائشة فإن لم تجده ﷺ أخبرته السيدة عائشة بمجيئها.

وقد روت عنها السيدة عائشة بعد وفاة رسول الله ﷺ، ومرضت السيدة فاطمة بعد وفاة رسول الله ﷺ ، فكن يزرنها، وكان من باب إدخال السرور على المريض أن بشرتها السيدة عائشة بما سمعته من رسول الله ﷺ في حقها، وهذا الأدب كان من عادات الصحابة فيما بينهم .

ب- تعديد السيدة عائشة لبعض أوصاف السيدة فاطمة:

فمما روته السيدة عائشة في صفتها وسمتها، تقول: « أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ » [1]، وتقول السيدة عائشة أيضاً: « ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلاً وهدياً برسول الله ﷺ من فاطمة بنت رسول الله ﷺ في قيامها وقعودها » وقالت في هذا الحديث: « وكانت إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي ﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها » [2].

وكانت إذا ذكرت السيدة فاطمة تثني عليها، فعن عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها: أنها كانت إذا ذكرت فاطمة بنت النبي ﷺ قالت: « ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة منها إلا أن يكون الذي ولدها » [3]. أي رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، باب من علامات النبوة في الإسلام ٣/ ١٣٢٦، وبلفظ قريب في كتاب الاستئذان، باب من ناجى بين يدي الناس ٥/ ٢٣١٧، ومسلم بنفس اللفظ، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ (شرح النووي ١٦/ ٢٢٥) وغيره.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الأدب (٤/ ٢٧٢) بهذا اللفظ، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم. ورواه أبو داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في القيام (٥/ ٤٣٧)، والترمذي في السنن، أبواب المناقب، باب فضل فاطمة بنت محمد ﷺ (جامع الترمذي ٦/ ١٧٦) قال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عائشة. وأخرجه النسائي في فضائل الصحابة (٢٦٤) وغيرهم.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مناقب فاطمة بنت رسول الله ﷺ ٣/ ١٦٠-١٦١، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وقال الذهبي: على شرط مسلم.

عـن عمـرو بـن دينار قـال: قالت عائشـة: « مـا رأيت أفضل مـن فاطمة غـير أبيهـا . قالـت: وكان بينهـما شيء [1]، فقالـت: يا رسـول الله، سـلها فإنها لا تكذب » [2] .

وأمـا كونهـا تفضل على سـائر النسـاء عقلاً ووقـاراً ، فقد عرفته السـيدة عائشـة عنها طَوال تسـع سـنوات عاشـت قريبة منها في بيت النبي ﷺ ، وقد أبانته السـيدة عائشـة بما روت من فضائلها ، وبما ذكرته من اسـتغرابها لموقف كان على خلاف عادة السـيدة فاطمة، حيث بكت، ثم ضحكت بعده مباشرة، ولم تعلم السـيدة عائشـة بسـببه ، وكان ذلك في آخر حياته ﷺ في مرض موته، فقالت السـيدة عائشـة: « ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن » [3] ، وقالت لزوجات النبي ﷺ في هذه الجلسة كما رواه الحاكم وغيره ، قالت: « فلما مرض النبي ﷺ دخلت فاطمة فأكبت عليه ، ثم رفعت رأسها فبكت ، ثم أكبت عليه ورفعت رأسها فضحكت ، فقلت: إني كنت أظن أن هذه من أعقل نسائنا فإذا هـي من النسـاء» [4] ، وفي روايـة الطبراني « فقلت للنسـوة: إن كنت لأرى أن

---

(١) أي مما لا تخلو منه العلاقة بين الأهل والأحبة .

(٢) رواه الطـبراني في المعجـم الأوسـط (٣/ ١٣٧) بهذا اللفظ ، وقـال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٠١): رواه الطبراني في الأوسـط وأبو يعـلى إلا أنها قالت: « ما رأيت أحداً قط أصـدق مـن فاطمة ». ورجالهما رجال الصحيح. وقـال الحافظ ابن حجر في الإصابة (٨/ ٢٦٤) أخرجه الطبراني ... وسنده صحيح إلى عمرو .

(٣) هذا لفظ البخاري في صحيحه، كتاب المناقب ٣/ ١٣٢٧ .

(٤) جـزء مـن الحديث السـابق أخرجـه الحاكم بهذه الألفـاظ ، المسـتدرك، كتاب الأدب ٤/ ٢٧٢ . وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم .

لهذه المرأة فضلاً على النساء، بينا هي تبكي إذا هي تضحك »[1] ، ولا شك أنها لما علمت بسبب ذلك زال عنها الاستغراب[2]، بل كانت دائمة الثناء عليها ، فانظر كيف عرفت طيلة عشرتها للسيدة فاطمة ما تتصف به من الدين والوقار ووفور العقل، وأنها لم تستغرب منها إلا هذا الموقف اليسير ، وقد بينت لها السيدة فاطمة فيما بعد سبب ذلك .

ج- تبشيرها بما سمعته من رسول الله ﷺ من فضائلها:

وقد بشرتها بما سمعته في حقها من رسول الله ﷺ ، وهذا بخلاف ما حدثته بها السيدة فاطمة رضي الله عنها، ومن ذلك ما أخرجه الحاكم بإسناد على شرط الشيخين ، عن عروة قال: قالت عائشة لفاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ: « ألا أبشرك ؟ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **سيدات نساء أهل الجنة أربع: مريم بنت عمران وفاطمة بنت رسول الله ﷺ وخديجة بنت خويلد وآسية** »[3] .

د -محبة السيدة فاطمة للسيدة عائشة:

ولا شك في محبة السيدة فاطمة - وهي الكاملة ديناً ونفساً - للسيدة عائشة رضي الله عنهما، فقد كانت تحب كل ما يحبه رسول الله ﷺ ، فكيف

---

(١) المعجم الأوسط ٤/ ٢٤٢ .

(٢) سيأتي بيان ذلك من خلال الرواية ص ٢٢٩-٢٣٠ .

(٣) المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ٣/ ١٨٥ . وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم . وأخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة رقم ١٣٣٦ .

إذا أمرها رسـول الله بذلك، ففي صحيح مسـلم، وغيره أن رسول الله ﷺ قال للسيدة فاطمة: « **أي بنية، ألست تحبين ما أحب ؟** ». فقالت: بلى. قال: « **فأحبي هـذه** »[1]. أي عائشة رضي الله عنها .

هـ - استمرار الصلة بينهما بعد وفاة النبي ﷺ:

بعـد كل مـا ذكرتـه مـن الوصـف والثنـاء لم يكـن من الـضروري أن أنبـه عـلى هـذا ، ولكـن أحببـت أن أذكـره، فقـد بشرتهـا بـما سـمعت من رسـول الله ﷺ في حقها، بأنها إحدى أربع نسـوة هن سـيدات نسـاء أهل الجنـة، وروت عنهـا هـذا الحديث العظيم الذي سـنذكره في كون السـيدة فاطمة هي أول أهله ﷺ لحوقاً به، وفيه ما فيه من دلائل نبوته ﷺ ، وفضل السـيدة فاطمـة على سـائر النسـاء ، وذلك بعـد وفاتهﷺ ، وفيـه أيضاً أنها سألتها بحقها عليها أن تحدثها بما أسر إليها الرسول ﷺ ، وانظر دلالة هذه المناشـدة بحقها عليها على المودة وصفاء ما بينهما ! علماً بأن السـيدة فاطمة توفيت بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر .

وقد روي هذا الحديث عن السـيدة عائشـة بوجوه وطرق عدة ، ومنها ما رواه الإمـام مسـلم عن مسروق عن عائشـة قالت: « اجتمع نسـاء النبي ﷺ، فلـم يغـادر منهن امـرأة، فجاءت فاطمة تمشي كأن مشـيتها مشـية رسـول الله ﷺ، فقال: **مرحباً بابنتي**، فأجلسـها عن يمينه، أو عن شـماله، ثم إنه أسر إليها حديثـاً، فبكت فاطمة، ثم إنه سـارها فضحكت أيضاً، فقلـت لها:ما يبكيك؟

(١) صحيح مسـلم، كتـاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشـة رضي الله عنها (شرح النووي ١٥/ ٢٠١) .

فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن، فقلت لها حين بكت: أخصك رسول الله ﷺ بحديثه دوننا ثم تبكين؟ وسألتها عما قال، فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ، حتى إذا قبض سألتها، فقالت: إنه كان حدثني **أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة وأنه عارضه به في العام مرتين، ولا أُراني إلا حَضَرَ أجلي، وإنك أول أهلي لحوقاً بي، ونعم السلف أنا لك**، فبكيت لذلك، ثم إنه سارني فقال: **ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة**(١)؟ فضحكت لذلك » . وفي الرواية التي قبلها في صحيح مسلم عبارة يرى المتأمل مزيداً من القرب والاحترام، وهي قول السيدة عائشة رضي الله عنها: « فلما توفي رسول الله ﷺ قلتُ: **عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما حدثتني ما قال لك رسول الله ﷺ** »(٢).

وهكذا كانت علاقة السيدة عائشة بالسيدة فاطمة، علاقة القرب والمودة والتقدير ومعرفة الحقوق وحفظها، ونشر الفضائل، علاقة زاكية بتزكية الله تعالى لها، مصداق قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾(٣).

---

(١) وفي رواية النسائي في فضائل الصحابة رقم ٢٦١: « **وأني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران**، فرفعت رأسي فضحكت » .

(٢) صحيح مسلم (شرح النووي ١٦/ ٢٢٤-٢٢٥)، ورواه أيضاً البخاري دون المناشدة بألفاظ قريبة مطولاً ومختصراً، منها ٣/ ١٣٢٧، ١٣٦١، ٤/ ١٦١٢، ٥/ ٢٣١٧، وينظر تخريج طرف منه مفصلاً ص ٢٢٦، هامش رقم ١ .

(٣) سورة الأحزاب، من الآية ٣٣ .

وقـد ذكرت هـذه النماذج للاسـتئناس بها، ولتكون ترجمـة لبعض ما شـملته الآية الكريمة من تزكية النفـوس والسرائر، ورقي المعاملة، وكفى بشـهادة الله تعـالى لهـم شـهادة، ومن ظن خـلاف ذلك، فقد تجـرأ على الله تعالى.

ثالثاً: المودة والتقدير بين السيدة عائشة وسيدنا علي رضي الله عنهما:

قـد كان كل من السـيدة عائشـة وسـيدنا علي بـن أبي طالب عـلى التقدير للآخـر، فهـذه أم المؤمنـين، أحب نسـاء رسـول الله ﷺ إليه بعد وفاة السـيدة خديجـة، وهـو ابن عم رسـول الله ﷺ وأخوه، السـابق إلى الإسـلام، ففضائل كل منهما لا تخفى على الآخر، والسـيدة عائشـة إنْ وَجَدَتْ على سـيدنا علي في موقـف - كل منهـما معـذور فيـه [1] - فـإن هذه كانت سـحابة صيـف - كما

(١) وهو قول علي رضي الله عنه عندما سأله رسول الله ﷺ: ما تقول في عائشة ؟ وذلك في حادثة الإفك - والتي نزلت براءتها منها - فقال مغلباً راحة رسـول الله ﷺ لما رأي شـدة انزعاجه ﷺ: « يا رسـول الله لم يضيق الله عليك، والنسـاء سـواها كثير، وسل الجارية - أي عنها - تصدقك » .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح،كتاب التفسير ٨/ ٣٢٤ : « وقال النووي: رأى علي أن ذلك هو المصلحـة في حق النبي ﷺ، واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه، فبذل جهده في النصيحة لإرادة راحة خاطره ﷺ . وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: لم يجزم علي بالإشـارة بفراقها لأنه عقب ذلك بقوله: « وسـل الجارية تصدقك » ففوض الأمر في ذلـك إلى نظـر النبي ﷺ، فكأنـه قال: إن أردت تعجيل الراحـة ففارقها، وإن أردت خـلاف ذلـك فابحث عن حقيقة الأمر إلى أن تطلـع على براءتها . لأنه كان يتحقق أن بريرة لا تخبره إلا بما علمته، وهي لم تعلم من عائشة إلا البراءة المحضة ». وينظر (شرح حديـث الإفـك في فتـح البـاري ٧/ ٥٠١). =

يقولـون - وعـادت النفـوس إلى صفائها ؛ فما حملها ذلك أبـداً على التقليل من قدره أو ذكره بسوء - حاشاهما من ذلك - بل كانت تشهد له بالصدق والعلم، وتشـير بمبايعتـه بالخلافة بعـد عثمان رضي الله عنه ، وقـد كانت تحيل عليه في بعض المسـائل ، وتترحم عليه، وتروي بعض فضائله وبعض الأحاديث التي تتعلق بـه، كان ذلك هو دأب السيدة عائشة وشأن الأصحاب جميعاً .

وقـد بيَّنَتْ السـيدة عائشـة في موقف احتيج فيه إلى البيان، وحتى توضح الصـورة لبعـض مـن لا يعلمون، أنه مـا كان بينهما إلا مثل مـا يكون في بعض الأوقـات بين المرأة وأقـارب زوجها، وأن الأمر لم يتعد هـذا، وأنه عندها لمن الصالحين، وإنما ذكرت ذلك فقط للتنبيه .

فمن تلك الصور التي تدل على التقدير:

أ- إشارة السيدة عائشة بمبايعة سيدنا علي ورضاها به:

روى ابـن أبي شـيبة والطـبري بسـند صحيـح [1] أن الأحنـف بـن قيس سـأل كلاً مـن طلحة والزبـير رضي الله عنهما بالمدينة عمـن يبايع إن قتل عثمان رضي الله عنه ، وسأل السيدة عائشة بمكة عن ذلك فأشاروا عليه جميعاً بتقديم عـلي بـن أبي طالب رضي الله عنه ومبايعته ، قـال: «عن الأحنف بن قيس قال:

= وينظـر تعليـق الإمام النووي على حديث مرض رسـول الله ﷺ، واتكائه ﷺ وهو خارج إلى المسـجد على العباس وعلي وعقيل وأسـامة بن زيد رضي الله عنهم (شرح مسلم ٤/ ٣٥٨ -٣٥٩) .

(١) صحح الحافظ ابن حجر سند الطبري في الفتح ١٣/ ٣٨ . وقد رواه الطبري في تاريخ الطبري (٤/ ٤٩٦) من نفس طريق ابن أبي شيبة .

قدمنـا المدينـة ونحن نريد الحج، فإنـا لبمنازلنا نضع رحالنـا إذ أتانا آت فقال: إن النـاس قد فزعوا واجتمعوا في المسـجد ... قـال الأحنف: فانطلقت فأتيت طلحـة والزبـير فقلت: من تأمـراني به ومـن ترضيانه لي، فـإني لا أرى هذا إلا مقتـولاً؟ قـالا: **نأمرك بعلي**، **قال: قلـت تأمراني به وترضيانـه لي ؟ قالا: نعم**، قـال: ثم انطلقتُ حاجاً حتى قدمت مكة فبينا نحن بها إذ أتانا قَتْلُ عثمانَ، وبها عائشـة أم المؤمنـين، فلقيتها فقلت لها: من تأمريني بـه أن أبايع ؟ **فقالت: علياً، فقلت: أتأمرينني به وترضينه لي ؟ قالت: نعم**، فمررت على عليٍّ بالمدينة فبايعته ثم رجعت إلى البصرة »[١] .

وهـذا كله رضا بأمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه، وتوصية منهم بمبايعته، وأنه أولى الناس بالخلافة بعد عثمان رضي الله عنه، وأن هؤلاء الثلاثة لم ينازعوه الخلافـة ولا طعنوا فيها، وما جرى مـن اختلاف كان باجتهاد ولم يقصدوا إلا مصلحـة المسـلمين[٢]، بل جاء أن سـيدنا علياً طلب مبايعة غـيره، إما طلحة وإما الزبير رضي الله عنهم جميعاً .

---

(١) المصنـف لابن أبي شـيبة، كتاب الأمـراء ١٦/ ١٠٤-١٠٥، وكتاب الجمل، في مسـير عائشة وعلي وطلحة والزبير٢١/ ٣٨٥-٣٧٨ .

(٢) ليس هذا البحث محلًا لدفع الشبه المثارة حول هذا الموضوع، وقد روي ترحم علي على طلحة والزبير وحزنه عليهما وتبشيره قاتل الزبير بالنار، فرضي الله عنهم جميعاً، وقد بحـث المحققون من العلماء قديماً وحديثاً مسـألة الشـجار، وأثبتـوا الاجتهاد وإرادة الخير للجميع، ولي بحث في مسـألة التشـاجر، أسأل الله عَزَّ وجَلَّ أن يتمه على الوجه الـذي يرضيه، وأحيل القارئ إجمالاً على كتـاب تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من مرويـات الإمام الطبري والمحدثين، تأليف د. محمد أمحزون، وكتاب فصل الخطاب في مواقف الأصحاب للشيخ محمد صالح أحمد الغرسي .

ب - استغفار كل منهما للآخر:

نقلت لنا كتب التواريخ فضلاً عن كتب السنن طرفاً مما كان بينهما من التقدير، وجميلِ فعل سيدنا علي بأمه أم المؤمنين رضي الله عنها، ومعرفته لحسن مقصدها عندما خرجت هي وطلحة والزبير رضي الله عنهم في واقعة الجمل، فلننظر إلى ما رواه الطبري وذكره ابن كثير وغيرهما .

روى الطبري عن سيف بن عمر كيف اطمأن سيدنا علي على السيدة عائشة يوم حادثة الجمل، وكيف استغفر كل منهما للآخر وللفريقين جميعاً، وكيف جهز السيدة عائشة بأحسن جهاز عندما أرادت العودة من البصرة إلى المدينة، وكيف أقام الحد على من انتقصها، وأساء الأدب معها .

فعن سيف بن عمر بسنده قال: « فانتهى إليها - أي عائشة يوم الجمل - فقال: **أي أمه**، يغفر الله لنا ولكم، قالت غفر الله لنا ولكم » [(١)] .

وفي رواية أخرى عن سيف عن محمد بن عبد الله وطلحة بن الأعلم بإسنادهما قال: « لما انتهى إليها - أي علي رضي الله عنه - قال: **كيف أنت يا أُمّه** ؟ قالت: بخير، قال: يغفر الله لكِ، قالت: ولكَ » [(٢)].

ج - حسن تجهيز سيدنا علي للسيدة عائشة:

وذلك بعد واقعة الجمل بعد أن أنزلها مكرمة في منزل يليق بها، وأرسل بعض أولاده لوداعها، فهو كما رواه الطبري عن سيف من رواية محمد

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٥٣٣ - ٥٣٤ .

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٥٣٤ .

وطلحة بإسنادهما، قال: « جهز علي عائشة بكل شيء ينبغي لها من مركب أو زاد أو متاع، وأخرج معها كل من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، وقال: تجهز يا محمد فبلغها، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه، جاءها حتى وقف لها، وحضر الناس، فخرجَتْ على الناس وودعوها وودعتهم، وقالت: يا بني، لا يعتب بعضنا على بعض استبطاءً واستزادةً، فلا يعتدّن أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك؛ **إنه والله ما كان بيني وبين عليٍّ في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها؛ وإنه عندي على معتبتي من الأخيار. وقال علي: يا أيها الناس، صدقتْ والله وبرَّتْ، ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة**، وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ست وثلاثين، وشيعها عليٌّ أميالاً، وسرَّح معها بنيه يوماً »(1).

فهذا من الأدب المعروف بين هؤلاء الكبار، وفي بيانهما لذلك دفع لأوهام المتوهمين.

د – إحالة السيدة عائشة على سيدنا علي في بعض المسائل:

وذلك مثل مسألة التوقيت في المسح على الخفين، وهذا من آدابهم رضي الله عنهم أنهم إذا سئلوا عما لم يعلموا، أو لم يتأكدوا، أحالوا إلى مَنْ هو أعلم(2)، فقد أخرج الإمام مسلم عن شريح بن هانئ قال: « أتيت عائشة أسألها

---

(1) تاريخ الطبري ٤/ ٥٤٤، البداية والنهاية ٤/ ٢٥٧.

(2) ينظر شرح صحيح مسلم للنووي ٣/ ١٦٨.

عن المسح على الخفين فقالت: عليك بابن أبي طالب فسله، فإنه كان يسافر مع رسول الله ﷺ، فسألناه فقال: **جعل رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ولياليهن، للمسافر ويوماً وليلة للمقيم** ». وفي رواية أخرى عن شريح بن هانئ قال: « سألت عائشة عن المسح على الخفين فقالت: ائت علياً فإنه أعلم بذلك مني، فأتيت علياً، فذكر عن النبي ﷺ بمثله » [1].

هـ - استشهادها لما سئلت بواقعة حدثت لسيدنا علي وفاطمة رضي الله عنهما:

وذلك عندما سئلت عن الأكل من لحوم الأضاحي فذكرت توسعة رسول الله ﷺ في الأكل منها، وروت عن السيدة فاطمة تقديمه لعلي رضي الله عنه، فما كانت تتحاشى ذكر سيدنا علي، بل ذكرت حرصه في هذا الحديث على استيثاقه لما قالت السيدة فاطمة رضي الله عنها ؛ لأنه يعرف نهي النبي ﷺ عن الأكل منها بعد مرور ثلاثة أيام، ولم يعلم بالتوسعة ، فعن سليمان ابن أبى سليمان عن أمه أم سليمان - وكلاهما كان ثقة - قالت: « دخلت على عائشة زوج النبي ﷺ فسألتها عن لحوم الأضاحي فقالت: قد كان رسول الله ﷺ نهى عنها ثم رخص فيها، قدم علي بن أبي طالب من سفر، فأتته فاطمة بلحم من ضحاياها فقال: أولم ينه عنها رسول الله ﷺ ؟ فقالت: إنه قد رخص

---

(١) صحيح مسلم كتاب الطهارة، باب التوقيت في المسح على الخفين (شرح النووي ٣/ ١٦٧-١٦٨) ، وأخرجه أحمد في المسند ١/ ٩٦ ، ١١٣ .

فيها. قالت: فدخل عليٌّ على رسول الله ﷺ فسأله عن ذلك فقال له: « **كلها من ذي الحجة إلى ذي الحجة** »[1].

و- إحالة كل من سيدنا علي والسيدة عائشة على الآخر في إعلام الناس بوصف النبي ﷺ للخوارج:

وهذه الإحالة من كل منهما على الآخر دليل رضا كل منهما بعلم الآخر وعدالته ودينه، وتزكية كل منهما للآخر؛ إذ يكفي أن يكون شاهداً له، خاصة أن الناس كانوا في حاجة إلى معرفة صفة هؤلاء مما كان فيه تأييد لفعل سيدنا علي رضي الله عنه؛ إذ هو الذي قاتل الخوارج، وفيه أيضاً تزكية السيدة عائشة رضي الله عنها لهم، وتبشيرها لمن شهد قتالهم[2].

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٦/ ٢٨٢، والطبراني في الأوسط ٤/ ٤١٧، وقال الهيثمي في المجمع ٤/ ٣٤: « قلت: حديث عائشة في الصحيح خالياً عن حديث فاطمة، ولذلك ذكره الإمام أحمد في مسند فاطمة. رواه أحمد والطبراني في الأوسط وقال: لم ترو أم سليمان غير هذا الحديث. قلت: وثقت كما نقل في المسند، وبقية رجال أحمد ثقات ».

(٢) وكان قتال سيدنا علي للخوارج أحد أظهر الدلائل على كونه أولى بالحق في الشجار الذي جرى بينه وبين سيدنا معاوية ومن معه من أهل الشام رضي الله عنهم أجمعين، وذاك لتصديقه لما أخبر به رسول الله ﷺ كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: « **تمرق مارقة في فرقة من الناس فيلي قتلهم أولى الطائفتين بالحق** » (صحيح مسلم بشرح النووي ٧/ ١٦٧)، وقد كان بعض المسلمين تحرجوا من قتال الخوارج ووجدوا في أنفسهم شيئاً - (ينظر مسند أبي يعلى ١/ ٣٧٢) - فكانت ظهور العلامات التي أخبر بها رسول الله ﷺ فيهم، وكذا شهادة الصحابة بذلك كالسيدة عائشة وأبي سعيد الخدري وغيرهم مذهباً لهذا الحرج، ومؤيداً لفعل سيدنا علي رضي الله عنهم أجمعين وجزاهم عنا خير الجزاء، قال أبو سعيد الخدري رضي الله =

يقول سيدنا علي رضي الله عنه: « **لقد علمت عائشة بنت أبي بكر أن أهل النهر ملعونون على لسان محمد ﷺ** » [(١)].

وأما إحالتها عَلَى عَلِيٍّ رضي الله عنهما بعد أن سَأَلت عن شأن الخوارج، وزكت من قاتلهم ، وهم سيدنا علي وأصحابه - وقد كانت بمكة وعلي رضي الله عنه بالعراق- وذلك فيما رواه كليب بن شهاب قال: « كنت حاجاً أو معتمراً - قال: لا أدري أي ذلك قال - فمررت على عائشة فقالت: من هؤلاء الذين خرجوا قبلكم يقال لهم: الحرورية ؟ قال: قلت: في مكان يقال له: حروراء ؟ قال: فسموا بذلك الحرورية . قال: فقالت: **طوبى لمن شهد هلكتهم . قالت: أما والله لو شاء ابن أبي طالب لأخبركم خبرهم** » . ثم قال علي رضي الله عنه لهذا السائل الذي زار عائشة رضي الله عنها: « كنت عند رسول الله ﷺ وليس عنده أحد إلا عائشة قال: فقال لي: « **يا علي كيف أنت وقوم يخرجون بمكان كذا وكذا** ». وأومأ بيده نحو المشرق: « **ويقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم - أو تراقِيَهم - يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمِيَّة، فيهم رجل مُخَدَّج اليد، كأن يده ثديُ حَبَشية** » ، ثم قال: أنشدتكم بالله الذي لا إله إلا هو أحدثتكم أنه فيهم ؟ قالوا: نعم. فذهبتم

= عنه بعد أن روى حديث الخوارج: « وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فوجد فأتى به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعت » (صحيح مسلم بشرح النووي ٧/ ١٦٦).

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط: ٢/ ٢١٤ . وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٢٣٩): رواه الطبراني في الصغير والأوسط بإسنادين ورجال أحدهما ثقات . وقد أوردت النص الذي وثق الهيثمي إسناده ، وينظر مجمع البحرين ٥/ ١٣٨-١٣٩ .

فالتمسـتموه حتى جئتم به تسحبونه كما نَعَتُّ لكم؟ قال: ثم قال: صدق الله ورسوله. ثلاث مرات »[1].

ز- تصديقها لعلي رضي الله عنه، وترحمها عليه، وذكرها خصلة له:

وذلك في حديث عبد الله بن شداد عندما قدم عليها بعد مقتل علي رضي الله عنه بالعراق ، وطلبت منه أن يحدثها حديث عليٍّ مع الخوارج، ومعرفتها بذلك تَزَيُّـدَ أهلِ العراق وكذبهم على عليٍّ رضي الله عنه ، فسـألته بعـد أن حدثها عن هــذا الرجـل المخدَّج ذي الثديتين الذي قتل مع الخـوارج، وما الذي قاله علي رضي الله عنـه حين رأى هذه الآية التي أخبر بها رسـول الله ﷺ ؟ قالت: « فما شيء بلغني عن أهل العراق يتحدثونه يقولون ذا الثدية مرتين ؟ قال: قد رأيته، وقمـت مع علي عليه في القتلى ، فدعا الناس فقال: هل تعرفون هذا ؟ فما أكثر مـن جاء يقول: رأيته في مسـجد بني فلان يصلي، ولم يأتـوا فيه بثَبْتٍ يعرف إلا ذلك ، قالت: فما قول علي حين قام عليه، كما يزعم أهل العراق؟ قال: سمعته يقول: صدق الله ورسـوله، قالت: فهل سمعت أنه قال غير ذلك؟ قال: اللهم لا ، قالت: **أجل ، صدق الله ورسوله، يرحم الله علياً إنه كان من كلامـه لا يرى شـيئاً يعجبه إلا قال: صدق الله ورسـوله** ، فذهب أهل العراق فيكذبون عليه، ويزيدون عليه »[2].

---

(١) أخرجـه أبـو يعلى في المسـند ١/ ٣٦٣- ٣٦٤ ، وأخرجه البزار بنحـوه: البحر الزخار ٣/ ٩٣- ٩٤ . قـال الهيثمي في المجمـع ٦/ ٢٣٩: رواه أبو يعلى ورجاله رجال ثقات ورواه البزار بنحوه.

(٢) أخرجـه أبـو يعلى في مسـنده ١/ ٣٦٧ -٣٧٠ ، وأحمد في المسـند ١/ ٨٦- ٨٧ . وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٢٣٧: « رواه أبو يعلى، ورجاله ثقات » .

ح - شهادتها له ولمن معه بالخيرية:

وذلـك فيمـا رواه أبـو الضحى عن مـسروق عن عائشـة رضي الله عنها: « أنها ذكرت الخوارج ، وسألت من قتلهم ؟ - يعني: أصحاب النهر - فقالوا: عـليٌّ، فقالت: سـمعت رسـول الله ﷺ يقـول: **يقتلهم خيار أمتـي، وهـم شرار أمتي** »[1].

وقـد سـبق في حديـث كليـب بـن شـهاب السـابق قولهـا لكليـب وتبشـيرها بالخـير لمـن قاتـل الخـوارج ، وكان قـد رجـع مـن عنـد عـلي رضي الله عنه من العراق بعد قتالهم لهم، قالت: « طوبى لمن شهد هلكتهم » .

وبعـــــد، فهـذه بعـض المواقـف التي تدل عـلى تقدير كل منهـما للآخر، وثنائـه عليه وحفظـه لحقه، وتجعلنا نقف موقف الأدب وحسـن الظن - وهم أولى النـاس به - إن قرأنا أو مـر علينا شيء يخالف ذلك، وتجعلنا أيضاً نتحرى في قبـول الأخبـار المرويـة عنهم، فلا نقبل إلا مـا صح أو قُبِلَ عنـد أهل العلم بالحديـث، خاصة في مسـألة الخلافات بـين الصحابة، والتي دائـماً ما يصورها الجهـال وأهل الأهواء على غير صورتهـا الحقيقية، ويدفعون بالنصوص الثابتة في تزكيتهم، والنصوص الثابتة عنهم في حسـن قصدهم، ولذلك وجب علينا

---

(١) أخرجه البزار في مسـنده: (كشـف الأسـتار ٢/ ٣٦٣) و (مختصر زوائد مسـند البزار ٢/ ٥٦ وصححه الحافظ ابن حجر فيه) ، وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٢٣٩): « رواه البزار وفيه عطاء بن السـائب وقد اختلط » . قلت: وقد حسـن الحافظ في فتح الباري (١٢/ ٢٩٨) ، إسـناد رواية له لعلها - والله أعلم - رواية أخرى وهي عن الشـعبي عن مسروق عن عائشـة بلفظ: قالت: ذكر رسـول الله ﷺ الخوارج فقال: « **هم شرار أمتي يقتلهم خيار أمتي** » .

أن نفهمها على أحسن الوجوه، وهي التي فهمها وكان عليها أهل السنة، فرضي الله عنهم جميعاً ورضي عمن أحبهم وتَرَضَّى عنهم ، وهدى الله مبغضهم أو مبغض أحدهم ، فإن لم يهتد، فجزاه الله شراً !!

رابعاً: المودة بين السيدة عائشة وبقية القرابة:

إن حديث العلاقات والمودة بين أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وبين بقية قرابة النبي ﷺ حديث طويل، وحسبنا أنها أمهم بما يحوي هذا الوصف من شدة الحرمة، ومن الرحمة والشفقة منها على من سواها، ونذكر هنا صوراً تجلي بعض مظاهرها ، فمنها:

أ - تشفع عبد الله بن الزبير عند السيدة عائشة رضي الله عنها بأقارب النبي ﷺ:

وذلك أن السيدة عائشة كانت قد نذرت ألا تكلم ابن أختها عبد الله ابن الزبير عندما بلغها أنه استكثر ما تنفقه وتتصدق به، وقال كما في صحيح البخاري: « لتنتهين عائشة أو لأحجرن عليها » [1]، وفي رواية أخرى عن عروة ابن الزبير قال: « كان عبد الله بن الزبير أحب البشر إلى عائشة بعد النبي ﷺ وأبي بكر ، وكان أبرَّ الناسِ بها ، وكانت لا تمسك شيئاً مما جاءها من رزق الله إلا تصدقت . فقال ابن الزبير: ينبغي أن يؤخذ على يديها . فقالت: أيؤخذ على يدي، عليَّ نذر إن كلمته ...» [2]، فلما طال هجرها له استشفع ابن الزبير بأخوال النبي ﷺ ؛ لمعرفته رقتها وإكرامها لهم حتى قبلت شفاعتهم ، وأعتقت في كفارة نذرها أربعين رقبة في سبيل الله .

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الهجرة ٥/ ٢٢٥ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب قريش ٣/ ١٢٩١ .

قال عروة بن الزبير فيما رواه البخاري: « ذهب عبد الله بن الزبير مع أناس من بني زهرة إلى عائشة ، **وكانت أرقَّ شيء عليهم؛ لقرابتهم من رسول الله ﷺ** » [1] .

فإذا كان هذا حال السيدة عائشة مع أخوال النبي ﷺ ، فكيف بقرابته من عصبته ﷺ وذريته ، اللهم إنه كان أضعاف ذلك .

ب – شهادة ابن عباس للسيدة عائشة، وتورعها عن أن تُزَكَّى:

وذلك أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما استأذن على السيدة عائشة في مرض موتها، فكان من ورعها أنها خافت أن يثني عليها ويزكيها، فلما دخل عليها بشرها، وذكر لها بعض فضائلها، فقد روى البخاري عن ابن أبي مليكة قال: « استأذن ابن عباس قبل موتها على عائشة وهي مغلوبة، قالت: أخشى أن يثنِيَ عليَّ، فقيل: ابنُ عم رسول الله ﷺ ومن وجوه المسلمين، قالت: ائذنوا له، فقال: كيف تجدينك ؟ قالت: بخير إن اتقيتُ، قال: فأنت بخير إن شاء الله، زوجةُ رسول الله ﷺ، ولم ينكِح بِكراً غيركِ، ونزل عذرُك من السماء . ودخل ابن الزبير خِلافَه، فقالت: دخل ابن عباس فأثنىَ عليَّ، ووددت أني كنت نسياً منسياً » [2] **!!**

وفي رواية القاسم بن محمد عند البخاري قال: « **يا أم المؤمنين، تقدمين على فرط صدق على رسول الله ﷺ، وعلى أبي بكر** » [3] .

---

(١) السابق ٣/ ١٢٩٠ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النور ٤/ ١٧٧٩ .

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عائشة ٣/ ١٣٧٥ .

وفي روايـة ابـن أبي مليكـة عند الإمام أحمـد، قال ابن عبـاس رضي الله عنهـما: « **مـا بينك وبين أن تلقي محمـداً ﷺ والأحبة إلا أن تخـرج الروح من الجسد ...**» [1].

يقـول الحافـظ ابن حجر في التعليق على هـذا الحديث: « وفي هـذه القصة دلالة على سعة علم ابن عباس، وعظيم منزلته بين الصحابة والتابعين، وتواضع عائشـة وفضلها، وتشديدها في أمر دينها ، وأن الصحابة كانوا لا يدخلون على أمهات المؤمنين إلا بإذن ، ومشورة الصغير على الكبير إذا رآه عدل إلى ما الأولى خلافه ، والتنبيه على رعاية جانب الأكابر من أهل العلم والدين ، وأن لا يترك ما يستحقونه من ذلك لمعارض دون ذلك في المصلحة » [2].

وبعـــد: فهـــذا كان شـأن السيدة عائشـة مع قرابة النبي ﷺ من المحبة والمودة والإكرام والثناء، ومعرفة بعضهم لأقدار بعض، فما كان بينهم بغض أو شـنآن - حاشـاهم من ذلك - وهذا أيضاً هو شـأن الزوجـات جميعاً مع قرابة النبي ﷺ، وشأن قرابة النبي مع زوجاته؛ وإنما أطلت في ذكر أم المؤمنين عائشـة رضي الله عنهـا خاصـة، لأن هذا هـو الذي وقفت عليـه مما صححه أو قبلـه العلماء من الروايات، ولم أقصد الاسـتقصاء أبـداً، ولعل المتتبع يأتي بالكثـير لمواقف أمهات المؤمنين رضـوان الله عليهن أجمعين، وكذلك أطلت

---

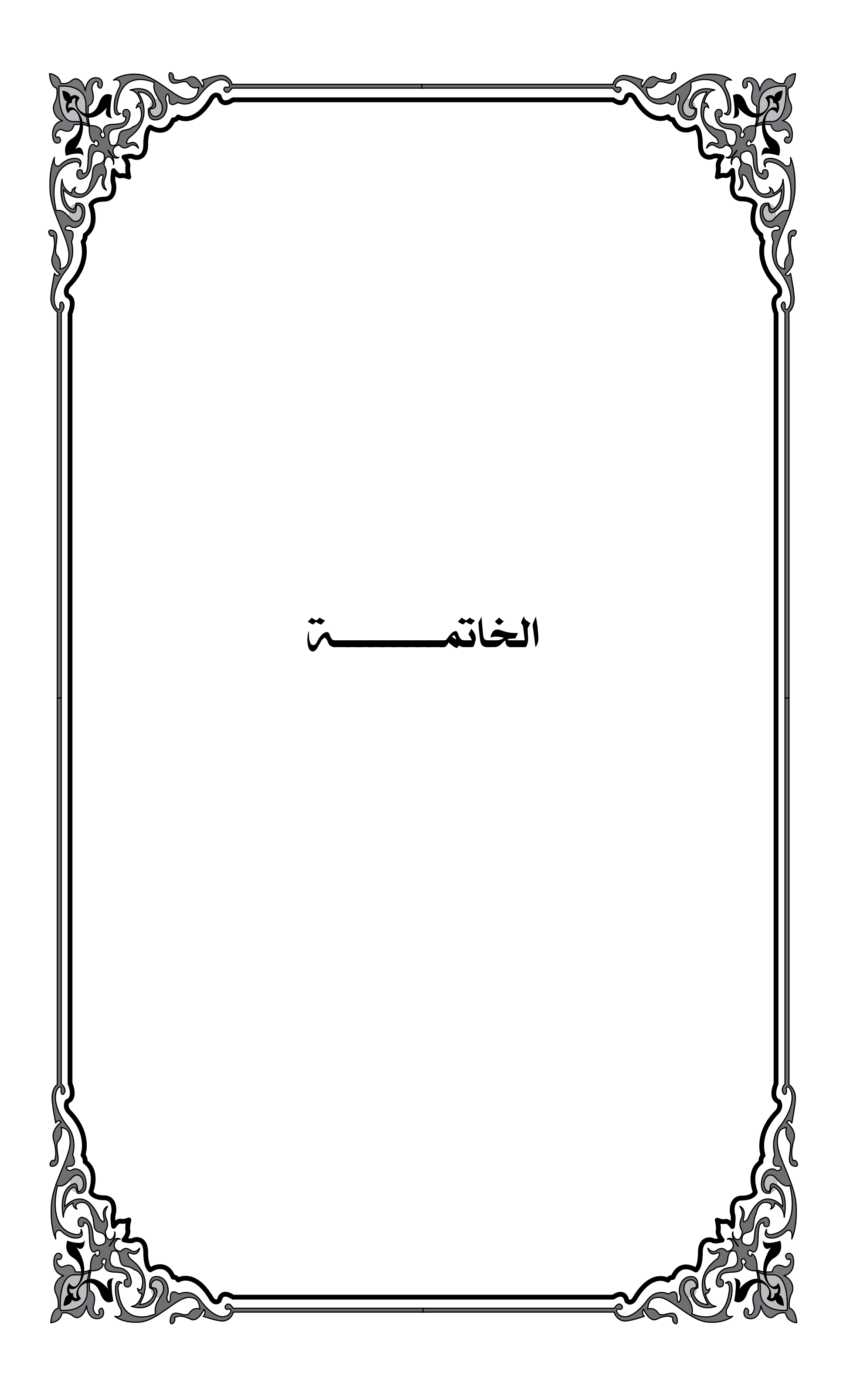
(١) المسند ١/ ٢٧٧ .

(٢) فتح الباري ٨/ ٣٤٢-٣٤٣ .

نظراً للحاجة إلى ذلك، وفاءً بحق أمنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي أُسِيءَ إليها، وتناولها المنافقون وأهل الأهواء بما لا يرضي الله عَزَّ وجَلَّ، رفع الله درجتها ورزقنا شفاعتها .

وقد كان غرضي إثبات شواهد المودة والثناء بينهن وبين آل بيت رسول الله ﷺ ، وخاصة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وما ذكرنا فيه كفاية إن شاء الله تعالى .

* * *



الخاتمـــــــة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله نوفق للخيرات، والصلاة والسلام على المربي الأعظم والرسول الأكرم، سيدنا محمد وعلى آله خير آل، وأصحابه صفوة الرجال .

وبعد هذه الجولة المباركة مع مجتمع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، ومع كبار الصحابة وآل البيت رضي الله عنهم جميعاً ، ومع شذرات من سيرة بيوت زوجات النبي ﷺ، قد استعرضنا خلالها نماذج لما كان عليه هذا المجتمع القرآني من المودة والرحمة ومكارم الأخلاق، فإننا يمكن أن نخلص إلى أهم نقاط، مما تناوله هذا البحث، وهي:

- أن هذا المجتمع كان مجتمعاً ربانياً، قد نصبه الله تعالى وأخرجه ليكون النموذج الأكمل للمجتمعات الإنسانية الفاضلة .

- أن هذا المجتمع كان أظهر مَثَلٍ للخيرية المتمثلة في قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١) .

- أنهم بحق ومن خلال الشواهد السابقة استحقوا مدح الله تعالى لهم في كتابه، وثناء رسول الله ﷺ ، وكفى بذلك شاهداً للمؤمنين .

- القول بخلاف ذلك سواء في حياة رسول الله ﷺ أم بعد وفاته، تكذيب

(١) سورة آل عمران من الآية ١١٠ .

لله ولرسوله، وإبطال لكلام الله تعالى؛ إذ مدح من لا يستحقون- حاشاه تعالى وحاشاهم - ووعد بالجنة وبالحسنى من لا يثبتون .

- أن شـواهد المودة بينهم لا تكاد تحصر، فلا تجد باباً من أبواب الخير إلا ولهم فيه اليد الطولى، وأن الحقائق التي ذكرناها تزيد المؤمن محبة فيهم وتعظيماً لهم ، واعتزازاً وافتخاراً بهم .

- ووجدناهم كيف تربوا على رعاية دقائق آداب علم المعاملة فيما بينهم.

- نجد من سمات هذا المجتمع قرب الحاكم من المحكوم، وقيام كل بحق الآخر قدر استطاعته .

- ونجد تشـاورهم فيما بينهم، وعدم استغناء أحدهم عن أخيه ، سواء في أمور دينهم أم أمور دنياهم، مما يدل على شيوع الثقة فيما بينهم.

- ومن سمات مجتمعهم البساطة مع الوقار، والمروءة ، والتواضع، وإنكار الذات، وتحببهم بعضهم لبعض ، بالتهادي والتزاور، وحسن الجوار.

- وقـد وجدنا فيه الإيثـار والتكافل ، وإنفاق بعضهم على بعض، وتحمل بعضهـم ديـون بعـض، وتفقـد بعضهم لأحـوال بعـض، وكيـف كان يوصي بعضهم لبعض.

- ووجدنا كيف كان الصحابة يدافع بعضهم عن بعض، ويبينون المواقف لمـن لا يعلمـون على وجههـا الصحيح، ذباً عـن عرض إخوانهم، ممـا يُبِيْنُ عن أُخُوَّتهم وتعظيمهم لحق الصحبة .

- ووجدنـا كيـف كانـوا يسـارعون في إرضـاء إخوانهـم، إن أخطؤوا في حقهم، وجبرهم خاطر إخوانهم من الضعفاء .

- وأنهـم مثلـوا مثلاً أعلى في أدبهم مع الاختـلاف، فما كان يدعوهم ذلك إلى انتقاص بعضهم لبعض ، أو الانتصار لأنفسهم بتشكيكهم في علم إخوانهم أو دينهـم، بل يعلمون أن الكثير من ذلك مما يسـوغ الخـلاف فيه، وأن الجميع يقصد وجه الله تعالى .

- أن الصحابة كانوا كباراً ، لا يتبعون هفوات إخوانهم، بل يعلمون أن ما يصدر في حال الغضب لا يعبر عن حقيقة ما كان بينهم.

- ووجدنـا كيـف كان الصحابـة أعـرف الناس بأقـدار بعضهـم بعضاً، وبمنزلة صحبة رسـول الله ﷺ، وكيف كانوا ينزلون الناس منازلهم ، بحسـب قربهم من رسـول الله ﷺ، وجهادهم وبلائهم في سبيل الله، وبحسب ما آتاهم الله من العلم والفضل .

- وجدنـا الصحابة يثنـي بعضهم على بعض، ويعلن أحدهم بمحبة أخيه ويرجو بتلك المحبة أن يلحقه الله تعالى به .

- ووجدنـا كيف كان الصحابة يروون مناقـب بعضهم بعضاً ب، وينشر بعضهم فضائل بعض، ويشهد لأخيه بما سمعه في حقه من رسول الله ﷺ .

- ووجدنا الصحابة يولون آل بيت رسول الله ﷺ المكانة العليا، ويعرفون لهم حق قرابتهم من رسول الله ﷺ .

- ووجدنـا كيـف كانـت لعـم رسـول الله ﷺ سـيدنا العبـاس بـن عبد المطلب مكانة عظيمة في نفوس المسلمين.

- ورأينا كيف كانت مكانة سـيدنا علي بن أبي طالب عندهم علماً وفضلاً وشـجاعة وقِدَمـاً في الإسـلام، وقرباً من رسـول الله ﷺ ، وكيـف كانت محبة الصحابـة والخلفـاء الراشـدين وتقديرهـم لسـبطي رسـول الله ﷺ الحسـن والحسين، لمكانهما من رسول الله ﷺ .

- ووجدنا تعظيمهم لمقام سـيدنا أبي بكر وعمر ، وعدم تقديمهم أحداً عليهما، وكيف كانت منزلة سـيدنا عثمان في نفوسهم، فاختاروه أميراً عليهم بعد عمر بن الخطاب .

- ووجدنـا كيف كانت منزلـة أبي بكر وعمر وعثمان عند علي رضي الله عنهـم، وكيـف كان يثني عليهم، وكيـف كان قربه منهـم، ومنزلته عندهم، وأنهم كانوا كالأسرة الواحدة .

- ووجدنـا كيف كانت بيوت زوجات رسـول الله ﷺ خير بيوت ، وأنها لا تزال نبراساً لنا ، ومثلاً عالياً للاقتداء .

- ووجدنـا كيف ألف الله بين قلوب زوجـات النبي ﷺ، وكيف زكاهن ورباهن الله تعالى ورسوله، وكيف تعددت صور المودة بينهن ، بكثرة اجتماعهن، وتذاكرهن ما يذكر في بيوتهن من الخير، وتباسطهن، وإيثار إحداهن للأخرى، وتمريـض بعضهـن لبعض، وترحـم إحداهن على الأخـرى، ووصية إحداهن للأخرى ، فما كُنَّ كأحد من النساء .

- ووجدنـا كيـف كانـت تثنـي إحداهـن على الأخـرى، وتـروي وتنشر فضائلها، وتبين منزلتها من رسـول الله ﷺ، فكـن الزوجات المطهرات ظاهراً وباطناً .

- ووجدنـا كيـف كانت العلاقة بينهن وبين بقية آل بيت رسـول الله ﷺ، علاقة التكريم والتقدير والمحبة .

- ووجدنـا كيـف كانت علاقة السـيدة عائشـة بالسـيدة فاطمة رضي الله عنهـما، وكيف كانـت محبتها وتقديرها للسـيدة فاطمة، وكيـف كانت لا تقدم عليها أحداً من النساء .

- ووجدنـا العلاقـة الطيبـة بين أم المؤمنين السـيدة عائشـة وسـيدنا علي رضي الله عنهـما، علاقة التقدير، والإشـادة، ومعرفة الحقـوق، فما كانت بينهما عداوات أو مشاحنات حاشاهما .

- ومن المعلوم أن الصحابة قد ترتبت لهم علينا حقوق كثيرة يجب الالتزام بها ، وأن التزامنا بها علامة من علامات حسن الاتباع لهم .

- أن كل من تناولهم بسـوء قد خالف أمر الله عَزَّ وجَلَّ بالاسـتغفار لهم، وأوقع نفسه في هاوية مهلكة .

- أن مـا ذكرناه من شـواهد الأخـوة والمودة بين الصحابـة، تجعل المؤمن يسارع مطمئناً إلى إحسان الظن بهم ، إن وقف على ما يخالف ذلك.

- أن تاريخ الصحابة الكرام تاريخ ناصع ، وقد أسيء فهم بعض جوانبه، عندما تناوله بالدرس والتحليل أهل الأهواء ، أو من لم يمتلك أدوات البحث أو من لم يتمكن منها .

- أن الباحث في تاريخ الصحابة، لابد له من التحري والتثبت من صحة الأخبار التي يتناولها، وأن يستحضر ما للصحابة من فضل ومكانة،حتى لا تختلط عليه الأمور .

وأخيراً ، فهولاء خير القرون ، وهم آباؤنا الذين نعتز بهم، ونتشرف بالانتساب لهم .

نسأل الله تعالى أن يجازيهم عنا خير الجزاء، ويرزقنا محبتهم ومودتهم، وحسن الاتباع لهم، ويجعلنا من أهل شفاعتهم يوم القيامة ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمـــد لله رب العالمين

***

المصادر والمراجع

- الآحـاد والمثـاني لابـن أبي عاصم، طبعـة دار الراية ، الريـاض، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩١ م .
- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، للحافظ أحمد بن أبي بكر البوصيري ، تحقيق دار المشكاة للبحث العلمي ، طبعة دار الوطن، الرياض، ط١ ، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩ م .
- أدب الاختلاف في الإسـلام، للدكتور طه جابر علواني، مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط٦ ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م .
- الأدب المفـرد للإمـام البخاري، بشرح حسـين بن عودة العوايشـة، طبعة دار ابن حزم، بيروت ، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .
- الأحاديث المختارة ، للحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي، تحقيق د. عبدالملك بن دهيش، ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لأبي عمر ابن عبد البر الأندلسي ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .
- الإصابـة في تمييـز الصحابـة، للحافـظ ابن حجر العسـقلاني ، تحقيق عـادل أحمد عبـد الموجـود، وعـلي محمد معوض ، طبعـة دار الكتب العلميـة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م .
- الاعتقـاد ، للإمـام أبي بكـر البيهقي، تحقيق د. السـيد الجميلي، طبعـة دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، ترتيب وضبط محمد عبد السلام إبراهيم، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م .

- الأم، للإمام محمد بن إدريس الشافعي، طبعة دار الوفاء، المنصورة، تحقيق الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب، ط١، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م .
- البحر الزخار المعروف بمسند البزار ، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار ، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله ، طبعة مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م .
- البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم ، وآخرون، طبعة دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، نشر مكتبة المعارف، بيروت، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .
- بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، للحافظ ابن حجر العسقلاني، بعناية عصام الدين سيد الصبابطي، طبعة دار الحديث، القاهرة،ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م .
- تاريخ الإسلام للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، عهد الخلفاء الراشدين ، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، طبعة دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- تاريخ الأمم والملوك، للإمام أبي جعفر الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، بدون تاريخ .
- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، نشر دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ .
- تاريخ مدينة دمشق، للإمام أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، طبعة دار الفكر، بيروت، ط١ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .
- التبيين في أنساب القرشيين ، لموفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق محمد نايف الدليمي ، طبعة عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

- تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، تحقيق إبراهيم علي التهامي، طبعة دار الإمام المسلم، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦ م .
- تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين، للدكتور محمد امحزون، طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- تدريب الراوي شرح تقريب النواوي، للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق الدكتور أحمد عمر هاشم، طبعة دار الكتاب العربي، ١٤١٢هـ - ١٩٩٣م .
- تذكرة الحفاظ للذهبي ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ .
- تفسير القرآن العظيم ، للحافظ ابن كثير، تحقيق د. محمد إبراهيم البنا وآخرون، طبعة دار مطبعة الشعب، القاهرة، بدون تاريخ .
- تفسير التحرير والتنوير ، للإمام محمد الطاهر بن عاشور ، طبعة الدار التونسية للنشر، بدون تاريخ .
- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ، للإمام الحافظ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن الترك، طبعة عالم الكتب، الرياض ، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م .
- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، للحافظ ابن حجر العسقلاني، بعناية السيد عبد الله هاشم يماني، المدينة المنورة، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للإمام الحافظ أبي الحجاج يوسف المزي، تحقيق د. بشار عواد، طبعة مؤسسة الرسالة ، ط٤، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥ م .
- جامع بيان العلم وفضله، للإمام أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، طبعة دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، تحقيق د. محمود الطحان، طبعة مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م .
- الجرح والتعديل، للإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، مصورة دار الكتب العلمية بيروت، عن طبعة دائرة المعارف العثمانية، الهند .
- جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم علي بن أحمد الأندلسي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للإمام الحافظ أبي نعيم الأصفهاني ، مصورة دار الفكر، بيروت ، بدون تاريخ .
- حملة الإسلام الأوائل وما كانوا عليه من المحبة والتعاون على الحق والخير..، لمحب الدين الخطيب .
- دلائل النبوة للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م .
- الرياض النضرة في مناقب العشرة ، للمحب الطبري، طبعة دار الندوة الجديدة، بيروت، ١٩٨٨هـ - ١٤٠٨م .
- سنن الترمذي (الجامع) للإمام أبي عيسى الترمذي، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، طبعة دار بالغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٦ م .
- سنن أبي داود، للإمام أبي داود السجستاني، تحقيق محمد عوامة، طبعة مؤسسة الريان، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م.
- سنن الدارقطني ، للحافظ علي بن عمر الدارقطني ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، طبعة مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م .
- سنن النسائي، للإمام أبي عبد الرحمن النسائي ، بعناية الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب، ط٣ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

- سنن (المسند) الدارمي، للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق حسين سليم أسد، طبعة دار المغني، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
- السنن الكبرى للنسائي، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي ، بإشراف شعيب الأرناؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .
- السنن الكبرى، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، مصورة دار المعرفة، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م .
- السنة لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال، تحقيق ودراسة عطية بن عتيق الزهراني ، طبعة دار الراية، الرياض ، ط٢ ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .
- سير أعلام النبلاء ، للإمام شمس الدين الذهبي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، وحسين أسد ، طبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١٠ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .
- شرح السنة، للإمام الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م .
- شرح معاني الآثار، للإمام أبي جعفر الطحاوي، تحقيق محمد زهري النجار، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- الشريعة، للإمام أبي بكر الآجري، تحقيق الوليد بن محمد سيف النصر، طبعة مؤسسة قرطبة، القاهرة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .
- شعب الإيمان ، للإمام أبي بكر البيهقي، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بسيوني، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .
- الشفا بتعريف حقوق المصطفي، للقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م .
- شمائل النبي ﷺ، للإمام أبي عيسى الترمذي، تحقيق السيد بن أحمد حمودة، طبعة مكتبة العلوم والحكم، مصر، ط١، ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م .

- صحيح البخاري، بعناية الدكتور مصطفى ديب البغا ، طبعة دار ابن كثير ، دمشق، ط٥ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .
- صحيح ابن حبان (الإحسان)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .
- صحيح ابن خزيمة، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
- الطبقات الكبرى لابن سعد ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .
- عصر الخلافة الراشدة، للدكتور أكرم ضياء العمري، نشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي ، وعناية محب الدين الخطيب، نشر دار الريان للتراث، ط١ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م .
- فصل الخطاب في مواقف الأصحاب رضي الله عنهم، لمحمد صالح الغرسي، ط دار السلام، القاهرة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- فضائل الصحابة ، للإمام النسائي، تحقيق ودراسة الدكتور فاروق حمادة، نشر دار الثقافة ، الدار البيضاء، ط١ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ .
- القاموس المحيط للفيروزبادي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .
-كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين، لأبي منصور عبد الرحمن بن محمد ابن الحسن بن هبة الله ابن عساكر، طبعة دار الفكر، دمشق، بتحقيق محمد مطيع الحافظ، ط١، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م .

- كتاب جمل من أنساب الأشراف، لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ت ٢٧٩ هـ، تحقيق سهيل زكار، طبعة دار الفكر، بيروت ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- كتاب الخراج، للقاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم، طبعة دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
- كتاب المصاحف، لابن أبي داود أبي بكر عبد الله بن سليمان الأشعث، تحقيق محب الدين عبد السبحان، طبعة وزارة الأوقاف، قطر، ط١، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥ م.
- كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، طبعة مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- المجتمع المدني في عهد النبوة، للدكتور أكرم ضياء العمري، طبعة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- مجمع البحرين في زوائد المعجمين، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق عبد القدوس محمد نذير، طبعة مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- مختصر إتحاف الخيرة، للإمام شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، تحقيق سيد كسروي حسن، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٧١ هـ - ١٩٩٦ م.
- مختصر زوائد البزار على الكتب الستة ومسند أحمد، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق صبري عبد الخالق، طبعة مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، للعلامة علي بن سلطان القاري ، نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .
- مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، عصر الخلافة الراشدة، دراسة نقديه، ليحيى ابن إبراهيم بن علي اليحيى، طبعة دار العاصمة، الرياض، سنة ١٤١٠ هـ .
- المستدرك على الصحيحين ، للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، ومعه التلخيص للذهبي، مصورة دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، مصور مؤسسة قرطبة، القاهرة، عن الطبعة الميمنية، بدون تاريخ .
- مسند أبي داود الطيالسي ، نشر دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ .
- مسند الإمام الشافعي ، تحقيق الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب ، طبعة دار البشائر ، بيروت ، ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
- مسند أبي يعلى الموصلي ، تحقيق حسين سليم أسد ، طبعة دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط١ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- مشكل الآثار،لأبي جعفر الطحاوي ، نشر دار صادر ، بيروت، عن طبعة دار المعارف النظامية، الهند سنة ١٣٣٣ هـ .
- المصنف لابن أبي شيبة ، تحقيق محمد عوامة، طبعة مؤسسة علوم القرآن ، دمشق، ط١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .
- المصنف لعبد الرزاق بن همام الصنعاني ، بعناية المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- المعجم الكبير للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، طبعة دار إحياء التراث، بيروت، ط٢، بدون تاريخ .

- المعجم الأوسط، للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق د. محمود الطحان، طبعة دار المعرف، الرياض ، ط١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- معرفة السنن والآثار للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق سيد كسروي حسن، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .
- معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، طبعة دار الوطن، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
- المعرفة والتاريخ ، للإمام يعقوب بن سفيان الفسوي، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، طبعة مكتبة الدار ، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٠ هـ .
- المغني، للإمام ابن قدامة المقدسي، تحقيق د. عبد الفتاح محمد الحلو ، طبعة هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، للحافظ أبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، مكتبة طبرية، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م ، بعناية أبي أحمد أشرف عبد المقصود .
- الموطأ للإمام مالك بن أنس، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م .
- من عبر التاريخ، للإمام محمد زاهد الكوثري، بعناية إياد أحمد الغوج، طبعة دار الفتح للنشر، عمان - الأردن - ط١، ١٤٢١ - ٢٠٠٠ م .
- مناقب الشافعي، للإمام أبي بكر البيهقي، تحقيق السيد أحمد صقر، طبعة مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام شرف الدين النووي، تحقيق الشيخ خليل مأمون الميس، طبعة دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات الجزري، تحقيق محمود محمد الطناحي، طبعة المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ .
- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ، للإمام محمد بن علي الشـوكاني، بعناية صدقي محمد جميل ، طبعة دار الفكر، بيروت ، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤ م .

***

الفهرس

❊ ❊ ❊